

٤٨٣

رياض السالكين

في

شرح صحيفة سيد الساجدين صلوات الله عليه

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

السيد علي خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي

قدس سره

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ ق

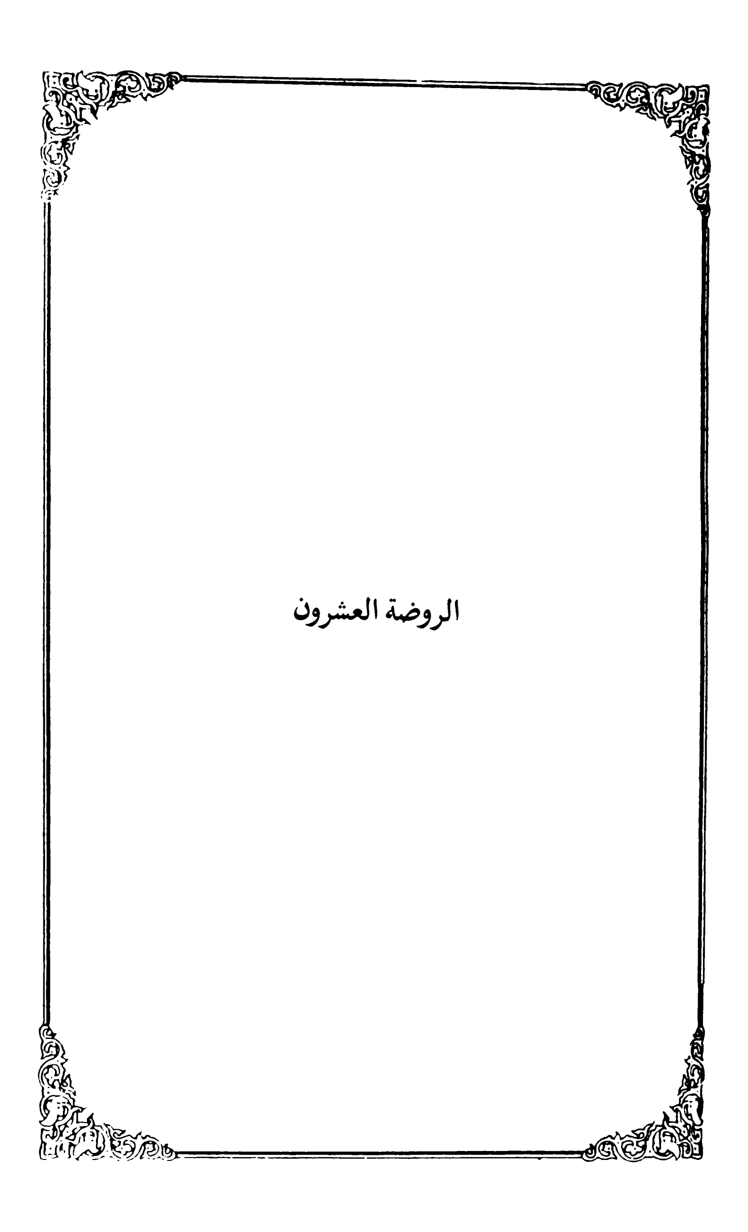




الجزء الثالث

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة



الروضة العشرون

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَرْضِيِّ الْأَفْعَالِ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَبَلِّغْ بِاِيْمَانِيْ اَكْمَلَ الْاِيْمَانِ وَاجْعَلْ يَقِيْنِيْ اَفْضَلَ
الْيَقِيْنِ وَانْتَهِ بِنِيَّتِيْ اِلٰى اَحْسَنِ النِّيَّاتِ وَبِعَمَلِيْ اِلٰى اَحْسَنِ الْاَعْمَالِ اَللّٰهُمَّ
وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِيْ وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِيْنِيْ وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ
مِنِّيْ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَاكْفِنِيْ مَا يَشْغَلُنِي الْاِهْتِمَامُ بِهٖ وَاسْتَعْمِلْنِيْ
بِمَا تَسْئَلُنِيْ غَدًا عَنْهُ وَاسْتَفْرِغْ اَيَّامِيْ فِيْمَا خَلَقْتَنِيْ لَهٗ وَاَغْنِنِيْ وَاَوْسِعْ عَلَيَّ
فِيْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْتِنِّيْ بِالنَّظَرِ وَاَعِزَّنِيْ وَلَا تَبْتَلِيَنِّيْ بِالْكِبْرِ وَعَبِّدْنِيْ لَكَ وَلَا
تُفْسِدْ عِبَادَتِيْ بِالْعُجْبِ وَاَجْرِ لِلنَّاسِ عَلٰى يَدِيَ الْخَيْرَ وَلَا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ وَهَبْ لِيْ
مَعَالِيَ الْاَخْلَاقِ وَاعْصِمْنِيْ مِنَ الْفَخْرِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَلَا تَرْفَعْنِيْ
فِي النَّاسِ دَرَجَةً اِلَّا حَطَطْتَنِيْ عِنْدَ نَفْسِيْ مِثْلَهَا وَلَا تُحْدِثْ لِيْ عِزًّا ظَاهِرًا
اِلَّا اَحْدَثْتَ لِيْ ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِيْ بِقَدَرِهَا اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِ
مُحَمَّدٍ وَّمَتِّعْنِيْ بِهُدًى صَالِحٍ لَّا اَسْتَبْدِلُ بِهٖ وَطَرِيْقَةِ حَقٍّ لَّا اَزِيْغُ عَنْهَا وَنِيَّةِ
رُشْدٍ لَّا اَشُكُّ فِيْهَا وَعَمِّرْنِيْ مَا كَانَ عُمُرِيْ بِذْلَةً فِيْ طَاعَتِكَ فَاِذَا كَانَ عُمُرِيْ
مَرْتَعًا لِّلشَّيْطٰنِ فَاقْبِضْنِيْ اِلَيْكَ قَبْلَ اَنْ يَّسْبِقَ مَقْتُكَ اِلَيَّ اَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ
عَلَيَّ اَللّٰهُمَّ لَا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّيْ اِلَّا اَصْلَحْتَهَا وَلَا عَآئِبَةً اُؤَنَّبُ بِهَا

إِلَّا حَسَّنْتَهَا وَلَا أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلَّا أَتْمَمْتَهَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ الْمَحَبَّةَ وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ
الْمَوَدَّةَ وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثِّقَةَ وَمِنْ عَدَاوَةِ الْأَدْنَيْنَ الْوَلَايَةَ وَمِنْ
عُقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ وَمِنْ خِذْلَانِ الْأَقْرَبِينَ النُّصْرَةَ وَمِنْ حُبِّ
الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ وَمِنْ رَدِّ الْمُلَابِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ
الظَّالِمِينَ حَلَاوَةَ الْأَمَنَةِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لِي يَدًا
عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي وَلِسَانًا عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي وَظَفَرًا بِمَنْ عَانَدَنِي وَهَبْ لِي مَكْرًا
عَلَى مَنْ كَايَدَنِي وَقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي وَتَكْذِيبًا لِمَنْ قَصَبَنِي وَسَلَامَةً
مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ
وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي
بِالصِّلَةِ وَأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَأُغْضِيَ
عَنِ السَّيِّئَةِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ وَأَلْبِسْنِي
زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِي بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَضَمِّ أَهْلِ
الْفُرْقَةِ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ وَلِينِ الْعَرِيكَةِ

وَخَفْضِ الْجَنَاحِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ وَسُكُونِ الرِّيحِ وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ وَالسَّبْقِ إِلَى
الْفَضِيلَةِ وَإِيثَارِ التَّفَضُّلِ وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ وَالْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ وَالْقَوْلِ
بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ وَاسْتِقْلَالِ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ
مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَرَفْضِ أَهْلِ
الْبِدَعِ وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ أَوْسَعَ
رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ وَلَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكَسَلِ عَنْ
عِبَادَتِكَ وَلَا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ وَلَا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ وَلَا مُجَامَعَةِ
مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ وَلَا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ
عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ وَ
لَا تَفْتِنِّي بِالْاِسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ وَلَا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ
إِذَا افْتَقَرْتُ وَلَا بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ فَأَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ
خِذْلَانَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ مَا
يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوعِي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ وَ
تَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ
أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ أَوِ اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ

وَمَا اَشْبَهَ ذٰلِكَ نُطْقًا بِالْحَمْدِ لَكَ وَاِغْرَاقًا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ وَذَهَابًا فِي تَمْجِيدِكَ
وَشُكْرًا لِنِعْمَتِكَ وَاعْتِرَافًا بِاِحْسَانِكَ وَاِحْصَاءً لِمِنَنِكَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ
وَّاٰلِهٖ وَلَا اُظْلَمَنَّ وَاَنْتَ مُطِيْقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّيْ وَلَا اَظْلِمَنَّ وَاَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ
مِنِّيْ وَلَا اَضِلَّنَّ وَقَدْ اَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِيْ وَلَا اَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِيْ وَلَا
اَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِيْ اَللّٰهُمَّ اِلٰى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ وَاِلٰى عَفْوِكَ
قَصَدْتُ وَاِلٰى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ وَلَيْسَ عِنْدِيْ مَا يُوْجِبُ
لِيْ مَغْفِرَتَكَ وَلَا فِيْ عَمَلِيْ مَا اَسْتَحِقُّ بِهٖ عَفْوَكَ وَمَا لِيْ بَعْدَ اَنْ حَكَمْتُ عَلٰى
نَفْسِيْ اِلَّا فَضْلُكَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ اَللّٰهُمَّ وَاَنْطِقْنِيْ
بِالْهُدٰى وَاَلْهِمْنِي التَّقْوٰى وَوَفِّقْنِيْ لِلَّتِيْ هِيَ اَزْكٰى وَاسْتَعْمِلْنِيْ بِمَا هُوَ اَرْضٰى
اَللّٰهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيْقَةَ الْمُثْلٰى وَاجْعَلْنِيْ عَلٰى مِلَّتِكَ اَمُوْتُ وَاَحْيٰى
اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَمَتِّعْنِيْ بِالْاِقْتِصَادِ وَاجْعَلْنِيْ مِنْ اَهْلِ السَّدَادِ
وَمِنْ اَدِلَّةِ الرَّشَادِ وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ وَارْزُقْنِيْ فَوْزَ الْمَعَادِ وَسَلَامَةَ الْمِرْصَادِ
اَللّٰهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِيْ مَا يُخَلِّصُهَا وَاَبْقِ لِنَفْسِيْ مِنْ نَفْسِيْ مَا يُصْلِحُهَا
فَاِنَّ نَفْسِيْ هَالِكَةٌ اَوْ تَعْصِمَهَا اَللّٰهُمَّ اَنْتَ عُدَّتِيْ اِنْ حَزِنْتُ وَاَنْتَ مُنْتَجَعِيْ
اِنْ حُرِمْتُ وَبِكَ اسْتِغَاثَتِيْ اِنْ كُرِثْتُ وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ وَّلِمَا فَسَدَ

صَلَاحٍ وَفِيمَا أَنْكَرْتُ تَغْيِيرٍ فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ وَقَبْلَ الطَّلَبِ

بِالْجِدَةِ وَقَبْلَ الضَّلَالِ بِالرَّشَادِ وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ وَهَبْ لِي أَمْنَ

يَوْمِ الْمَعَادِ وَامْنَحْنِي حُسْنَ الْإِرْشَادِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَادْرَأْ

عَنِّي بِلُطْفِكَ وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ وَ

أَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الْأُمُورُ

لِأَهْدَاهَا وَإِذَا تَشَابَهَتِ الْأَعْمَالُ لِأَزْكَاهَا وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ وَسِمْنِي حُسْنَ الْوِلَايَةِ وَهَبْ

لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ وَلَا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ وَلَا تَجْعَلْ

عَيْشِي كَدّاً كَدّاً وَلَا تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً فَإِنِّي لَا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلَا

أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ وَحَصِّنْ

رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ

فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ الْاِكْتِسَابِ وَارْزُقْنِي

مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ فَلَا أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ وَلَا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ

الْمَكْسَبِ اَللّٰهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ

فَاسْتَرْزِقَ اَهْلَ رِزْقِكَ وَاَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ فَاُفْتَتَنَ بِحَمْدِ مَنْ اَعْطَانِي
وَاُبْتَلٰى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَاَنْتَ مِنْ دُوْنِهِمْ وَلِيُّ الْاِعْطَاۤءِ وَالْمَنْعِ اَللّٰهُمَّ
صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ وَفَرَاغًا فِي زَهَادَةٍ وَعِلْمًا
فِي اسْتِعْمَالٍ وَوَرَعًا فِي اِجْمَالٍ اَللّٰهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ اَجَلِي وَحَقِّقْ فِي رَجَاۤءِ
رَحْمَتِكَ اَمَلِي وَسَهِّلْ اِلٰى بُلُوْغِ رِضَاكَ سُبُلِي وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ اَحْوَالِي
عَمَلِي اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي اَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ
وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي اَيَّامِ الْمُهْلَةِ وَانْهَجْ لِي اِلٰى مَحَبَّتِكَ سَبِيلًا سَهْلَةً
اَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ اَللّٰهُمَّ وَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ كَاَفْضَلِ مَا
صَلَّيْتَ عَلٰى اَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ وَاَنْتَ مُصَلٍّ عَلٰى
اَحَدٍ بَعْدَهُ وَاٰتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْاٰخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ
عَذَابَ النَّارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين(١)

الحمدالله الكبير المتعال، الهادي إلى مكارم الأخلاق و مرضيّ الأفعال، والصّلاة والسّلام علىٰ نبيّه الكريم، المخاطب في الذِكر الحكيم بأنّك علىٰ خُلُقٍ عظيمٍ(٢)، وعلىٰ أهل بيته أولي الأخلاق الرضيّة والشيم المرضيّة.

وبعد فهذه الروضة العشرون من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء العشرين من أدعية صحيفة سيّدالعابدين، إملاء العبد الراجي فضل ربّه السني، عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، أحسن الله أخلاقه، و وفرّ من مرضيّ الأفعال خِلاقه.

---

(١) (ج) و به أستمدّ.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

شرح الدعاء العشرين

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عليهِ السلامُ.
في مَكارم الأخلاقِ وَ مرضيّ الأفعال:

أي في طلبها والتوفيق للتخلّق بها.

والمكارم: جمع مكرمة بضمّ الرّاء، وهي اسم من الكرم ضدّ اللؤم، فإضافتها إلى الأخلاق بمعنى «مِن»، أي: في المكارم من الأخلاق، أو بفتح الراء بمعنى كريمة.

قال في القاموس: الكرم محرّكة: ضدّ اللؤم، كرم بضمّ الراء كرمةً وكرماً فهو كريم وكريمة ومكرم ومكرمة (١).

فإضافتها إلى الأخلاق من إضافة الصفة إلى الموصوف، بتأويل جعلها نوعاً مضافاً إلى الجنس ككرام الناس.

والأخلاق: جمع خلق بضمّتين، وقد يسكن.

قال الراغب: هو والمفتوح في الأصل بمعنىً واحد، لكن خصّ المفتوح بالهيئات والصور المدركة بالبصر، والمضموم بالسجايا والقوّة المدركة بالبصيرة(٢).

وعرّفوه بأنّه ملكة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة من غير رويّة وفكر، وهو

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ١٧٠.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص٣٩ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

قريب من الغريزة، وهي ملكة تصدر عنها صفات ذاتيّة، إلّا أنّ للاعتياد مدخلاً في الخلق دون الغريزة.

والأفعال: جمع فعل بالكسر، اسم من فعل فعلاً بالفتح، وهو الأثر الصادر عن مؤثرّ عالم أو غيره، عن قصد أو دونه، وهو أعمّ من العمل، وهو الأثر الصادر عن عالم قاصد له، فكلّ عمل فعل دون العكس. وقد يطلق كلّ منهما على الآخر توسّعاً كما وقع هنا، فإنّ المراد بالأفعال: الأعمال أعمّ من أن تكون نفسانيّة كأفعال القلوب، أو جسمانيّة كحركات البدن، أو ما كان بمشاركة البدن والنفس كالصناعات.

وبمرضيّها: ما تعلّق به المدح في العاجل والثواب في الآجل.

تنبيه

اختلف في الخلق، فقيل: هو غريزي من جنس الخلقة، ولا يستطاع تغييره خيراً كان أو شرّاً، كما قال:

وما هذه الأخلاق الا غرائز فمنهنّ محمود ومنها مذمّم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه وهو متكرّم

ويدلّ عليه قوله صلّى الله عليه وآله: من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً فليشكر الله(١).

ومحال أن يمكن المخلوق تغيير فعل الخالق، فالتكليف بتهذيب الأخلاق تكليف بما لا يطاق.

ووقيل: بل هو كسبيّ؛ لقوله عليه السّلام: حسّنوا أخلاقكم(٢)، فلو لم يكن

(١) و(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٤٠ الباب الثامن عشر.

....

كسبياً لما أمر به، ولأنّا نرىٰ كثيراً من الناس يزاولون ويمارسون خلقاً من الأخلاق حتّى يصير ملكة.

وقال بعضهم: الحقّ أنّ أصله غريزيّ وتمامه مكتسب. وبيانه: أنّ الله تعالى خلق الأشياء على ضربين:

أحدهما: بالفعل، ولم يجعل للعبد فيه عملاً، كالسماء والأرض والهيئة.

والثاني: بالقوّة، وهو ماخلقه خلقاً ما وجعل فيه قوّة، ورشّح الإنسان لإكماله وتغيير حاله، وإن لم يرشّحه لتغيير ذاته، كالنوىٰ الذي جعل فيه قوّة النخل، وسهّل للإنسان سبيلاً أن يجعله بعون الله نخلاً وأن يفسده إفساداً.

قال: والخلق من الإنسان يجري هذا المجرى في أنّه لا سبيل للإنسان إلى تغيير القوّة التي هي السجيّة والغريزة، وجعل له سبيلاً إلى إسلاسها؛ ولهذا قال تعالىٰ: «وقَد خابَ مَن دَسّاها»(١)، ولولم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والأمر والنهي، ولما جوّز العقل أن يقال: للعبد: لمَ فعلت؟ ولمَ تركت؟ وكيف يكون هذا في الإنسان ممتنعاً وقد وجدناه في بعض البهائم ممكناً؟ فالوحشي قد ينقل بالعادة إلى التأنّس والجامح إلىٰ السلاسة، لكنّ الناس في غرائزهم مختلفون، فبعضهم جبل جبلّة سريعة القبول، وبعضهم بطيئة القبول، و بعضهم في الوسط، وكلّ لاينفك من أثر قبول وإن قلّ.

ومن هنا ماورد في الأدعية من طلب التوفيق لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وفي الأحاديث من الأمر بها والحثّ عليها.

قال الراغب: وأرىٰ أنّ من منع(٢) تغيير الخلق فإنّه اعتبر القوة نفسها، وهذا صحيح؛ فإنّ النوى محال أن ينبت الإنسان منه تفّاحاً، ومن أجاز تغييره فإنّه اعتبر

---

(١) سورة الشمس: الآية ١٠.

(٢) (ج) من قنع.

أَللّهمُ صَلِ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيمانِي أَكْمَلَ الإِيمانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ اليَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلىٰ أَحْسَنِ النيّاتِ، وَ بِعَمَلِي إِلىٰ أَحْسَنِ الأَعْمالِ.

إظهار ما في القوّة إلى الوجود وإمكان إفساده بإهماله، نحو النوىٰ؛ فإنّه يمكن أن يتفقّد فيجعل نخلاً، وأن يترك مهملاً حتّىٰ يفسد، وهذا صحيح أيضاً، فإذن اختلافهما بحسب اختلاف نظريهما.(١)

قال صلوات الله وسلامه عليه (٢):

بدأ عليه السّلام دعاءه بالصلاة على النبيّ وآله عليهم السلام؛ للاستعداد به لقبول الدعاء.

ولما روي عن أمير المؤمنين عليه السّلام: إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ اسأل(٣) حاجتك؛ فإنّ الله تعالىٰ أكرم من يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرىٰ(٤).

وبلغ المكان بلوغاً ـ من باب قعد ـ: وصله، ويتعدّىٰ بالباء والهمزة والتضعيف، فيقال: بلغ به وأبلغه إبلاغاً وبلّغه تبليغاً.

فالباء من قوله: «بإيماني» زائدة للتأكيد، وهي كثيراً ما تزاد في المفعول، نحو: «ولا تُلقوا بأيديكُم إلى التَهْلُكَةِ»(٥)، و«وهُزّي إليكِ بجذِعِ النخْلةِ»(٦)، وقوله:

* تسق الضجيع ببارد بسّام *

أو ضمّن بلّغ معنىٰ انته، أي: انته بإيماني مبلغاً إيّاه أكمل الإيمان.

والإيمان: إفعال من الأمن الذي هو خلاف الخوف، ثمّ استعمل بمعنىٰ

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٤١ الباب الثامن عشر. (٢) راجع المتن.

(٣) (ج)، تسأل. (٤) وسائل الشيعة: ج ٤ ص ١١٣٨ ح ١٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٥. (٦) سورة مريم: الآية ٢٥.

....

التصديق، فالهمزة فيه إمّا للصيرورة، كأنّ المصدّق صار ذا أمنٍ من أن يكون مكذّباً، أو للتعدية، كأنّه جعل المصدّق آمناً من التكذيب والمخالفة.

ويعدّي بالباء لاعتبار معنى الإقرار والاعتراف، نحو: «يؤمنونَ بالغيب»(١).

وباللام لاعتبار معنى الإذعان، نحوَ: «وما أنتَ بمؤمنٍ لنا»(٢)، هذا معناه اللغوي.

وامّا في الشرع فقيل: هو المعرفة، فقومٌ بالله، وقومٌ به وبما جاءت به رسله إجمالاً.

وقيل: هو كلمتا الشهادة.

وقيل: هو التّصديق معهما.

وقيل: هو أعمال الجوارح، فقومٌ هوالطاعات بأسرها فرضاً أو نفلاً، وقومٌ هو الطاعات المفترضة دون النوافل.

وقيل: هو مجموع الثلاثة، فهو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وقيل: هوالتصديق بالله ورسوله وبماجاء به إجمالاً والولاية لأهلها. وهو الحقّ؛ لدلالة الآيات والأخبار عليه، نحو قوله تعالى: «أُولئكَ كَتَبَ في قُلوبِهِمْ الإيمان»(٣)، «ولمّا يَدخُلِ الإيمانُ في قُلوبِكُم»(٤)، «وَقَلْبُهُ مُطْمِئنٌّ بالايمانِ»(٥)، دلّت على أنّه أمر قلبي.

وقوله تعالى: «وإن طائِفتانِ مِنَ المؤمنينَ اقتَتَلوا(٦)»، «يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِصاصُ في القَتْلى»(٧)، «الذينَ آمنوا ولم يَلبسوا إيمانَهُم بِظُلْمٍ»(٨)، دلّ اقتران الإيمان بالمعاصي فيها على أنّ العمل غير داخل في حقيقته.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٧.
(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
(٤) سورة الحجرات: الآية ١٤.
(٥) سورة النحل: الآية ١٠٦.
(٦) سورة الحجرات: الآية ٩.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٧٨.
(٨) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

....

وقوله تعالى: «الّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصالحاتِ»(١) دلّ على التغاير، وأنّ العمل ليس داخلاً فيه، لأنّ الشيء لايعطف على نفسه ولا الجزء علىٰ كله.

وقول الرسول صلّى الله عليه وآله: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلىٰ قلبه لا تذمّوا المسلمين(٢).

وقول الصادق عليه السّلام: الإيمان وقر في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح(٣).

وقوله عليه السّلام: يبتلى المؤمن علىٰ قدر إيمانه وحسن أعماله(٤).

دلّت علىٰ محليّة القلب للإيمان ومغايرته للعمل، على انّ كون الإيمان عبارة عن التصديق المخصوص المذكور لا يفتقر إلى نقله عن معناه اللغوي الذي هو التصديق مطلقاً؛ لأنّ التصديق المخصوص فرد منه، بخلاف ما إذا كان المراد غيره من المعاني المذكورة؛ فإنّه يستلزم النقل وهو خلاف الأصل، ولو كان منقولاً لتبيّن للأُمّة نقله بالتوقيف، كما تبيّن نقل الصلاة والزكاة ونحوهما، ولاشتهر اشتهار نظائره، بل هو كان بذلك أولىٰ.

وأمّا ما ذهب إليه المحقّق الطوسي من أصحابنا، من أنّ الإيمان مركّب من الإقرار والتصديق(٥).

واستدلّ علىٰ أنّ الأوّل وحده ـ وهو الإقرار باللسان ـ ليس بإيمان، بقوله تعالى: «قالت الأعرابُ آمنّاً قُلْ لَم تُؤمِنوا ولكنْ قُولوا أسْلمنا»(٦)، فقد أثبت الإقرار اللساني ونفى الإيمان، فعلم أنّ الإيمان ليس هو الإقرار باللسان.

(١) سورة الرعد: الآية ٢٩. (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٥٤ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٦ ح ٣ وفيه الإيمان ماوقر في القلوب.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٥٢ ح ٢، وفيه: يبتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه.

(٥) تجريد الاعتقاد: ص ٣٠٩. (٦) سورة الحجرات: الآية ١٤.

....

وعلىٰ أنّ الثاني وحده ـ وهو التصديق ـ ليس بإيمان، بقوله تعالىٰ: «وجَحدوا بها واسْتَيْقَنَتْها أنفسُهم»(١)، أثبت للكفّار الاستيقان النفسي وهو التصديق، فلوكان الإيمان نفس التصديق لزم اجتماع الكفر والإيمان في شخص واحد في آن واحد، ولا شكّ أنّهما متقابلان لايمكن إجتماعهما كذلك (٢).

ففيه أوّلاً: أنّ التصديق لمّا كان مقروناً بالإنكار كان غير معتبر؛ لأنّ التصريح بالنقيض ربّما كان مانعاً من القبول والاعتبار؛ ولذلك اشترط فيه عدم الإنكار باللسان.

وثانياً: أنّ هذه الآية إنّما تدلّ على أنّ التّصديق وحده ليس بايمان، ولا تدلّ على أنّ الإقرار باللسان جزء من الإيمان؛ لجواز أنّ يكون شرطاً له، والمشروط ينتفي بانتفاء الشرط كما أنّ الكلّ ينتفي بانتفاء الجزء.

ومن ثمّ حمل المتكلّمون، القائلون بأنّ الإيمان نفس التصديق، الأخبار الدالّة على جزئيّة أعمال الجوارح للإيمان على أنّها للكمال، بمعنىٰ أنّ العمل ليس جزءً للإيمان بحيث يعدم الإيمان بعدم العمل، بل إضافة العمل إليه إضافة كمال، وكذا حملوا الأخبار الدالّة على جزئيّة الإقرار باللسان على أنّه شرط في الإيمان لاجزء منه، وعلى هذا حملوا الأخبار المختلفة الدالّ بعضها على أنّ الايمان نفس التصديق والعمل، وبعضها على أنّه التصديق والإقرار.

ثمّ كون الإقرار باللسان شرطاً في كون التصديق القلبي إيماناً هو مذهب طائفة من العامّة أيضاً.

قال التفتازاني في شرح العقائد: فرقة تقول: الإقرار شرط لصحّته.(٣)

---

(١) سورة النمل: الآية ١٤.

(٢) كشف المراد: ص٤٢٦ـ ٤٢٧، مع تقديم وتأخير واختلاف.

(٣) شرح العقائد للتفتازاني: ص٢٠٤.

....

وقال الدواني في شرحه للعقائد العضديّة: والتلفّظ بكلمتي الشهادة مع القدرة عليه شرط، فمن أخلّ به فهو كافر مخلّد بالنار(١)، إنتهىٰ.

وقال بعض أصحابنا: إنّما يشترط عدم الإنكار باللسان، وأمّا كون الإقرار شرطاً في قبول الإيمان القلبي فلا.

تبصرة

اخلتف في الإيمان، هل يقبل الزيادة والنقصان أم لا؟ فذهب إلى كلٍّ طائفة.

وقال كثير من المتكلّمين: هو بحث لفظي، لأنّه فرع تفسير الإيمان.

فإن قلنا: هو التصديق فلا يقبلهما؛ لأنّ الواجب هو اليقين، وانّه لا يقبل المتفاوت لا بحسب ذاته ولا بحسب متعلّقه.

أمّا الأوّل، فلأنّ التفاوت إنّما هو لاحتمال النقيض، وهو ولو بأبعد وجهٍ ينافي اليقين فلا يجامعه.

وأمّا الثاني، فلأنّه جميع ما علم بالضرورة مجيء الرسول به، والجميع من حيث هو جميع لا يتصوّر فيه تعدّد؛ وإلّا لم يكن جميعاً.

وإن قلنا: هو العمل وحده أو مع التصديق فيقبلهما، وهو ظاهر.

وماورد في الكتاب والسنّة ممّا يدلّ على قبوله إيّاهما فباعتبار الأعمال، فيزيد بزيادتها وينقص بنقصانها.

وقال المحقّقون من الفريقين: الحقّ انّ التصديق يقبل الزيادة والنقصان بحسب ذاته وبحسب متعلّقه.

أمّا الأوّل، فلأنّ التصديق من الكيفيّات النفسانيّة المتفاوته قوّة وضعفاً، فيجوز

---

(١) شرح العقائد العضديّة للدواني: ص٨٧.

....

أن يكون التفاوت فيه بالقوّة والضعف بلا احتمال للنقيض، وللفرق الظاهر بين إيمان النبيّ وآحاد الأُمّة.

وأمّا الثاني، فلأنّ التصديق التفصيلي في أفراد ما علم مجيء الرسول جزء من الإيمان، يثاب عليه ثوابه علىٰ تصديقه بالإجمال، فكان قابلاً للزيادة.

وقوله تعالى: «ولكنْ ليطْمَئِنَّ قَلْبي»(١) ناظر إلى الأوّل، لأنّ عين اليقين أقوىٰ من علم اليقين؛ ولهذا قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: لوكشف الغطاء ما ازددت يقيناً(٢).

وقوله تعالى: «وإذا تُلِيَت عليهِم آياتُهُ زادَتْهم إيماناً»(٣) ناظر إلى الثاني.

إذا عرفت ذلك فقوله عليه السّلام: «بلّغ بإيماني أكمل الإيمان»، يحتمل أن يكون المراد به نفس التصديق وهو أصل الإيمان الكامل، وأن يكون المراد به الإيمان الكامل وهو التصديق مع العمل؛ فإنّ لكلٍّ منهما درجات ومراتب متكثّرة متفاوتة بعضها فوق بعض، وأدناها في التصديق أصل المعرفة؛ لأنّ زواله يوجب الكفر، وفي العمل القيام بالمفروضات واجتناب المنهيّات، وأعلاها فيهما غاية الكمال للبر، وهي في التصديق كمرتبة عين اليقين، أو أعلىٰ منها وهي مرتبة حقّ اليقين، وفي العمل صرف جميع الجوارح في جميع الأوقات في جميع ما خلقت له، وقد وردت أخبار كثيرة في أنّ الإيمان درجات.

فعن أبي عبدالله عليه السّلام: أنّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة(٤).

وعن الزبيري عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: قلت له: إنّ للايمان درجات

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٢) شرح المائة كلمة للإمام عليّ: ص ٥٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢.

(٤) الخصال: ص ٤٤٧ باب الإيمان عشر درجات ح ٤٨.

....

ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم (١).

وعنه عليه السّلام: أنّ الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه(٢).

قال بعض الشارحين: التامّ المنتهي تمامه كإيمان الأنبياء والأوصياء، والناقص البيّن نقصانه هو أدنىٰ المراتب الذي دونه الكفر، والراجح الزائد رجحانه علىٰ مراتب غير محصورة، باعتبار التفاوت في الكميّة والكيفيّة (٣)، والله أعلم.

تتمّة

لبعض محقّقي المفسّرين كلام نفيس في الإيمان، لابأس بإيراده هنا لكمال تعلّقه بالمقام.

قال رحمه الله إنّ للإيمان وجوداً في الأعيان ووجوداً في الأذهان ووجوداً في العبارة،ولا ريب أنّ الوجود العيني لكلّ شيء هو الأصل وباقي الوجودات(٤) فرع وتابع. فالوجود العيني للإيمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحقّ جلّ ذكره «اللهُ وَليُّ الذينَ آمَنُوا يُخرِجُهم مِنَ الظُّلماتِ إلىٰ النُور»(٥)، وهذاالنور قابل للقوة والضعف والزيادة والنقصان كسائر الأنوار «وإذا تُلِيَت عليهِم آياتُهُ زادَتْهُم إيماناً»(٦)، كلّما ارتفع حجاب ازداد نور، فيقوى(٧) الإيمان ويتكامل إلى أن يبسط (٨) نوره، فينشرح الصدر ويطّلع علىٰ حقائق الأشياء، وتتجلّىٰ له الغيوب وغيوب الغيوب، ويعرف كلّ شيء في موضعه، فيظهر

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٠ ح ١. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٤ ح ١.

(٣) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٨ ص ١٠٠.

(٤) (الف): الموجودات، (ج): الوجود. (٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٦) سورة الأنفال: الآية ٢. (٧) (ج): فيتقوّى. (٨) (ج) ينبط.

....

له صدق الأنبياء عليهم السّلام، ولاسيّما محمّد خاتم النبيّين صلوات الله عليه وعلىٰ آله الطاهرين، في جميع ما أخبروا عنه إجمالاً أو تفصيلاً، على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره، وتنبعث من قلبه داعية العمل بكلّ(١) مامور والاجتناب لكلّ محظور، فينضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة «نورُهم يَسْعىٰ بيْنَ أيديهِم وبأيْمانِهِم»(٢)، «نورٌ على نورٍ يهدي اللهُ لنُورِه مَن يشاءُ»(٣).

وأمّا الوجود الذهني فملاحظة المؤمن لهذا النور ومطالعته له ولمواقعه(٤).

وأمّا الوجود اللفظي فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ولا يخفىٰ أنّ مجرّد التلفّظ بقولنا: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، من غير النور المذكورلايفيد،إلّا كما يفيد العطشان التلفّظ بالماء الزلال، إلّا أنّ التعبير عمّا في الضمير لمّا لم يتيسّر الّا بواسطة النطق المفصح عن كلّ خفي، والمعرب عن كلّ مشتبه، كان للتلفّظ بكلمة الشهادة ولعدمه مدخل عظيم في الحكم بإيمان المرء وكفره، فصحّ جعل ذلك وما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشدّ الزنار دليلاً عليهما، وتفويض أمر الباطن إلى عالم الخفيّات المطّلع على السرائر والنيّات، إنتهى.

وكلامه في الوجود العيني للإيمان مأخوذ من قول أميرالمؤمنين عليه السّلام: إنّ الإيمان يبدو لمظة في القلب، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة(٥).

قال الشيخ كمال الدين رحمه الله: أراد أنّ الإيمان وهو التصديق بوجود الصانع تعالى، أوّل مايكون في القلب يكون حالة، ثمّ لايزال يتأكّد بالبراهين والأعمال الصالحة إلى أن يصير ملكة تامّة، ولفظ اللمظة استعارة لمايبدو من نور الإيمان في

---

(١) (ج): لكلّ.
(٢) سورة التحريم: الآية ٨.
(٣) سورة النور: الآية ٣٥.
(٤) (ج) والمواقعة.
(٥) نهج البلاغة: ج٥ ص٥١٨.

....

القلب اوّل كونه ملاحظة، لشبهه باللمظة من البياض والنكتة من نورالشمس(١)، إنتهىٰ.

قال في القاموس: اللمظة بالضمّ النقطة من البياض(٢).

تنبيه

ظاهر معظم الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام أن الإسلام يصدق عليه مجرّد الإقرار باللسان من غير تصديق، سواء كان معه الإقرار بالولاية أولم يكن، وعلىٰ التصديق المجرّد عن الولاية وإن لم يكن معه الإقرار باللسان، وعلىٰ كليهما مجرّداً عن الولاية أو معها، والإيمان يصدق علىٰ التصديق بجميع ماجاء به الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الداخل فيه الولاية، سواء كان معه عمل بما يقتضيه ذلك التصديق أو لم يكن، وإن كان المقرون بالعمل هو الفرد الكامل من الإيمان، بل هو الإيمان المعتبر عند أصحاب العصمة عليهم السّلام، كما يشعر به كثير من أخبارهم عليهم السّلام، فيكون الإيمان -على هذا- أخصّ من الإسلام، فهو كالنوع والإسلام كالجنس، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «واجعل يقيني أفضل اليقين» اليقين: فعيل يكون اسم مصدر، ويكون بمعنىٰ فاعل، من يقن الأمر ييقن يقناً -من باب تعب-: أي ثبت فهو يقين، ويستعمل أيضاً متعدّياً بنفسه وبالباء وبالهمزة والباء، فيقال: يقنته، ويقنت به، وأيقنت به، وتيقّنته، واستيقنته، أي: علمته علماً لا شكّ فيه.

فاليقين لغة: العلم الذي لاشكّ معه، واصطلاحاً قيل: هوالعلم الحاصل من

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٥ ص ٣٧٤، وفيه «النفس» في الموردين بدل «القلب».

(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٩٩.

....

نظر واستدلال؛ ولهذا لايسمّىٰ علم الله تعالىٰ يقيناً.

وقيل: هو غاية الكمال في القوّة النظريّة التي لا تحتمل النقيض، سواء حصلت بالبرهان أو بالمجاهدات والرياضات النفسانيّة والهدايات الخاصّة بالأولياء علىٰ حسب مراتبه.

وقال المحقّق الطوسي في بعض رسائله(١): اليقين: اعتقاد جازم مطابق ثابت لايمكن زواله، وهو في الحقيقة مؤلّف من علمين: العلم بالمعلوم، والعلم بأنّ خلاف ذلك محال، وله مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين(٢).

والقرآن ناطق بذلك، قال تعالى: «لَو تَعلَمونَ عِلْمَ اليقينِ * لتَرَوُنَّ الجحيمَ ثُمَّ لترونَّها عَينَ اليقينِ»(٣)، وقال: «وَتَصْلِيَةُ جحيمٍ إنَّ هذا لَهُوَ حقُّ اليقين»،(٤) وهذه المراتب مرتّبة في الفضل والكمال. وهي مثل مراتب معرفة النار.

فالعلم بالنار مثلاً بتوسّط النار والدخان هو علم اليقين، وهو العلم الحاصل لأهل النظر والاستدلال بالبراهين القاطعة.

والعلم بمعاينة جرم النار المفيض للنور هو عين اليقين، وهوالعلم الحاصل بالكشف للخلّص من المؤمنين الذين اطمأنّت قلوبهم بالله وتيقّنوا بمعاينة القلوب أنّ الله نور السماوات والأرض، كما وصف به نفسه.

والعلم بالنار بالوقوع فيها والاحتراق بها ومعرفة كيفيّتها التي لا يفصح عنها العبارة هو حقّ اليقين، وهو العلم الحاصل بالاتّصال المعنوي لأهل الشهود والفناء في الله (٥).

---

(١) أي: أوصاف الأشراف.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٤٣، نقلاً عن أوصاف الأشراف.

(٣) سورة التكاثر: الآية ٥ و٦ و٧.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٩٤ و٩٥.

(٥) راجع بحارالأنوار: ج ٦٩ ص ١٦٠.

....

وهذا المرتبة هي الدرجة العليا والمنزلة الفضلىٰ التي سألها الداعي عليه السّلام.

وعبّر بعضهم عن هذه المراتب فقال: للعلم ثلاث مراتب:

أولاها: علم اليقين، وهي مرتبة البرهان.

وثانيتها: عين اليقين، وهو أن يرىٰ المعلوم عياناً، فليس الخبر كالعيان.

وثالثتها: حقّ اليقين، وهو أن يصير العالم والمعلوم واحداً(١) ولعلّه لايعرف حقّ هذا المرتبة الّا من وصل إليها، كما أنّ طعم العسل لايعرفه إلا من ذاقه، ولعزّة هذه المرتبة وقلّة الواصلين إليها لم يتعرّض لبيانها الأكثرون.

قال الشيخ بيان الحقّ أبوالقاسم محمودبن أبي الحسن النيسابوري في كتاب خلق الإنسان: قالوا: إنّ اليقين يقينان:

أحدهما: ينفي الشك، وهذا لا يغلب الشهوة، وهو يقين التوحيد.

والآخر: نور مشرق للصدر، غالب للشهوات، مبطل للاختيار، صارت لصاحبه أُمور الدنيا والآخرة وأحوال الملكوت معاينة، وأصبحت لأمره خاضعة طائعة، وعلىٰ هذا جاء عن الله في الزبور المنزل على داود عليه السّلام: لوصدق يقينكم ثمّ قلتم للجبل: انتقل فقع في البحر، لوقع.

وذلك أنّ القلب إذا وصل إلى الله تعالى، وامتلأ من عظمته، وأشرق بنور جلاله وهيبته، فبعد ذلك أينما وقع البصر دارالفكر حوالي ما امتلأ به القلب؛ إذ وصل إلى الله وامتلأ من عظمته من العمل الصرف الصافي الخالص، غير الممزوج بالشبهات المكدّر بالشائبات، بمنزلة الشمس إذا ردّ(٢) قرنها واستوىٰ حاجبها وأشرق ضياؤها، فحيث ماسرت من بلاد الله فضوؤها معك يريك الأشياء بألوانها وهيآتها

---

(١) راجع بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ١٤٢.

(٢) (ج). ورد.

....

ومقاديرها وأشكالها، فكذلك شمس اليقين إذا أشرقت واستضاءت بنورها النفس، أراد ذلك أمر الملكوت، وأحوال الدنيا والآخرة، وبواطن الأشياء والأسرار التي في الغيوب، ممّا كشفها الله لأنبيائه، وأطلع عليها قلوب خيرته وأصفيائه(١).

قلت: وممّا يؤيّد هذا المعنىٰ ماروواه ثقة الإسلام في الصحيح بإسناده عن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفّراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله صلى الله عليه وآله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله، وقال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا ومافيها، حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك متّكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا عبد نوّرالله قلبه بالإيمان، ثمّ قال له: الزم ما أنت عليه، فقال الشابّ: أدع لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله، فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر(٢).

وهذا الشابّ هو حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري، كما وردت به رواية أُخرىٰ.(٣)

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٣ ح ٢.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٥٤ ح ٣.

....

وممّا يدل على التفاوت في اليقين حتى في الأنبياء عليهم السّلام ما روي في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: اليقين يوصل العبد إلى كلّ حال سنّي ومقام عجيب، كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن عظم شأن اليقين ـ حين ذكره عنده أنّ عيسىٰ بن مريم عليهما السّلام كان يمشي علىٰ الماء ـ فقال: لو زاد يقينه لمشىٰ في الهواء.

فدلّ بهذا أنّ الأنبياء عليهم السّلام مع جلالة محلّهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لاغير، ولا نهاية لزيادة اليقين على الأبد، والمؤمنون أيضاً متفاوتون في قوّة اليقين وضعفه، فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبرّي من الحول والقوّة إلّا بالله، والاستقامة علىٰ أمرالله، وعبادته ظاهراً وباطناً قد استوت عنده حالتا العدم والوجود، والزيادة والنقصان، والمدح والذمّ، والعزّ والذلّ؛ لأنّه يرىٰ كلّها من عين واحدة، ومن ضعف يقينه تعلّق بالأسباب ورخص لنفسه بذلك، واتّبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعي في أُمور الدنيا وجمعها وإمساكها، يقرّ باللسان أنّه لا مانع ولا معطي إلّا الله، وأنّ العبد لايصيب إلّا مارزق وقسم له، والجهد لايزيد في الزرق، وينكر ذلك بفعله وقلبه، قال الله عزّوجلّ: «يقولونَ بأفْواهِهِم مالَيْسَ في قُلوبِهِم واللهُ أعلمُ بِما يكتُمونَ»(١) إنتهىٰ.

ومن أخبار أهل اليقين ما حكاه إبراهيم الخواص، قال: لقيت غلاماً في التيه كأنّه سبيكة فضّة، فقلت، إلى أين؟ فقال: إلى مكّة، فقلت: بلا زاد ولا راحلة؟ فقال: يا ضعيف اليقين الذي يحفظ السماوات والأرض لايقدر أن يوصلني إلىٰ بيته بلا علاقة؟ فلمّا دخلت مكّة إذا هو في الطواف يقول:

يا عين سخّي أبدا   يا نفس موتي كمدا

---

(١) مصباح الشريعة: ص١٧٧ـ ١٧٨.

....

ولا تخشـــــي أحـــــدا إلّا الجـلـيـل الصـمـدا.

فلمّا رآني ناداني يا شيخ أنت بعدٌ على ذلك الضعف من اليقين؟ إنّ من وثق بالله في رزقه لم يطلب الرزق قبل وقته(١).

وعن الصادق عليه السلام: أنّ الإيمان أفضل من الإسلام، وأنّ اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيءٍ أعزّ من اليقين(٢).

وعن الرضا عليه السّلام بسندٍ صحيح قال: الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوىٰ فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسم بين العباد شيء أقلّ من اليقين(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ العمل الدائم القليل علىٰ اليقين أفضل عندالله من العمل الكثير علىٰ غير يقين(٤).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة(٥).

قوله عليه السّلام: «وانته بنيّتي إلى أحسن النيّات» الباء: للتعدية، وتسمّىٰ باء النقل، وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً، تقول في قام زيد: أقمْت زيداً وقمت به، أي: صيّرته قائماً.

فمعنىٰ «انته بنيّتي»: اجعلها منتهية إلى أحسن النيّات، أي: بالغة إليه.

والنيّة بالتشديد: اسم من نويت الشيء أنويه أي: قصدته، والتخفيف لغة فيها حكاها الأزهري.(٦)

وكأنّه حذفت اللام وعوّض عنها الهاء على هذه اللغة، كما قيل في ثبة وظبة(٧).

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥١ ح ١. (٣) الكافي: ج ٢ ص ٥٢ ح ٦. (٤) الكافي: ج ٢ ص ٥٧ ح ٣.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٥٧ باب فضل اليقين. (٦) المصباح المنير: ص ٨٦٨، نقلاً عن الأزهري.

(٧) راجع المصباح المنير: ص ٨٦٨، تجد بعض الأقوال فيه.

....

وقيل: مأخذها من نويت الشيء بمعنىٰ: حفظته؛ لأنّ النيّة محلّها القلب، فسميّت بذلك لأنّها تفعل بأنوىٰ عضو في الجسد أي: أحفظ.

واختلفت عبارات العلماء في تعريف النيّة.

فقيل: هي إرادة تفعل بالقلب، فالإرادة بمنزلة الجنس، والوصف بمنزلة الفصل تخرج به إرادة الله تعالى.

وقيل: هي جمع الهمّ في تنفيذ العمل للمعمول له، وأن لا يسنح في السرّ ذكر غيره.

وقيل: هي توجّه القلب نحو الفعل ابتغاءً لوجه الله تعالى.

وقيل: هي الإرادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن معرفة كمال الشيء.

وقال بعض فقهائنا: هي إرادة إيجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً. وأراد بالإرادة: إرادة الفاعل، فخرجت إرادة الله تعالى لأفعالنا، وبالفعل: مايعمّ توطين النفس علىٰ الترك، فدخلت نيّة الصوم والإحرام وأمثالها، وبالمأمور به: ماترجّح فعله شرعاً، فدخل المندوب وخرج المباح.

والظاهر أنّ المراد بالنيّة في الدعاء: هو مطلق القصد إلى إيقاع فعل معيّن لعلّة غائيّة، ولمّا كانت النيّة بهذا المعنىٰ تنقسم باعتبار غايتها إلى قبيح وحسن وأحسن، سأل عليه السّلام أن يبلغ بنيّته أحسن النيّات.

فالقبيح: ما كان غايته أمراً دنيويّاً وحظّاً عاجلاً، وليس له في الآخرة من نصيب، كنيّة أهل الرياء والنفاق ونحوهم.

والحسن: ماكان غايته أمراً أُخرويّاً، من رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب، والأحسن: ماكان غايته وجه الله تعالى لاغير، ويعبّر عنه بالنيّة الصادقة.

قال شيخنا البهائي قدّس سرّه: المراد بالنيّة الصادقة: انبعاث القلب نحو

....

الطاعة، غير ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه(١).

قال بعضهم: أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله أن يعلم أنّه لايريد العبد من الدنيا والآخرة غيره، قال الله تعالى: «واصبِر نفسَك معَ الذينَ يدعُونَ ربّهُمْ بالغَداةِ والعَشِيّ يُريدونَ وجهَه»(٢)، وهو مقام النبيّين والصدّيقين والشهداء.

تبصـرة

روى في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: لابدّ للعبد من خالص النيّة في كلّ حركة وسكون(٣).

لأنّه إذا لم يكن بهذا المعنىٰ يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالىٰ فقال: «إن هُم إلّا كالأنعام بلْ هُم أضلُّ سبيلاً»(٤)، وقال: «أولئك هُمُ الغافلُونَ»(٥).

وشرح ذلك بعض العلماء فقال: يجب أن يكون للعبد في كلّ شيء يفعله وعمل يعمله نيّة وإخلاص، حتّىٰ في مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه؛ فإنّ ذلك كلّه من أعماله التي يسأل عنها ويجازي عليها، فإن كان لله وفي الله كانت في ميزان حسناته، وإن كانت في سبيل الهوى ولغير الله كانت في ميزان سيّئاته، وكان صاحبها في الدنيا على مثال البهائم الراتعة والأنعام المهملة السارحة، ولايكون على الحقيقة إنساناً مكلّفاً موفّقاً، وكان من الذين ذكرهم الله بقوله: «أغْفَلنا قلبَهُ عَنْ ذِكرِنا» (٦) أي: وجدناه غافلاً، كقولك: دخلت بلدة فأعمرتها أي: وجدتها عامرة، أو أخرجتها أي: وجدتها خراباً، فهو غافل عمّا يأتيه ويذره، متّبع لهواه فيما يورده

(١) كتاب الأربعين: ص١٥٨.
(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.
(٣) مصباح الشريعة: ص٥٣.
(٤) سورة الفرقان: الآية ٤٤.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٦) سورة الكهف: الآية ٢٨.

....

ويصدره، وكان أمره فرطاً بغير نيّة في أوّله ولا صحّة في آخره.

قال بعضهم: ومن هنا يعلم أنّه يمكن أن تجعل العادات عبادات، كالأكل والشرب إذا نوىٰ بهما القوّة على الطاعة، وكالتطيّب إن قصد به إقامة السنّة، لا استيفاء اللّذات وتودّد النسوان؛ إذ هو معصية.

ففي الخبر: من تطيّب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من ريح المسك، ومن تطيّب لغيرالله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة(١).

واجتهد في تصيير ذلك ملكة للنفس.

إرشـاد

قال بعض العارفين(٢): قد يسمع الجاهل ماذكره أصحاب القلوب من المبالغة والتأكيد في أمر النيّة، وأن العمل بدونها لاطائل تحته، كما قال سيّد البشر صلى الله عليه وآله: إنّما الأعمال بالنيّات(٣).

فيظنّ أنّ قوله عند تسبيحه وتدريسه: أُسبّح قربةً إلى الله، أو أدرّس قربةً إلى الله، محضراً بمعنىٰ هذه الألفاظ علىٰ خاطره، هو النيّة، وهيهات إنّما ذلك تحريك لسان وحديث نفس أو فكر وانتقال من خاطر إلى خاطر، والنيّة عن جميع ذلك بمعزل.

إنّما النيّة انبعاث النفس وانعطافها وتوجّهها وميلها إلى فعل مافيه غرضها أو بغيتها إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً، وهذا الانبعاث والميل إذا لم يكن حاصلاً لها، لم يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرّد الإرادة المتخيّلة والنطق بتلك الألفاظ، وما ذلك إلّا

(١) المحجة البيضاء: ج٨ ص١١٨ و١٠٥.

(٢) أي المحقّق العظيم والمحدّث الكبير المولىٰ محسن الكاشاني قدّس سرّه.

(٣) مصباح الشريعة: ص٥٣، سنن ابن ماجة: ج ٢ ص١٤١٣ ح٤٢٢٧.

....

كقول الشبعان: أشتهي الطعام وأميل إليه قاصداً حصول الميل والاشتهاء، وكقول الفارغ(١): أعشق فلاناً وأُحبّه وأنقاد له وأُطيعه، بل لاسبيل إلىٰ اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وإقباله عليه، إلّا بتحصيل الأسباب الموجبة لذلك الميل والانبعاث، واجتناب الأُمور المنافية لذلك المضادّة له؛ فإنّ النّفس إنّما تنبعث إلى الفعل وتقصده وتميل إليه، تحصيلاً للغرض الملائم لها بحسب اعتقادها وما يغلب عليها من الأحوال، فإذا غلبت شهوة النكاح واشتدّ توقان النفس إليه، لايمكن الموافقة علىٰ قصد الولد، بل لايمكن إلّا على نيّة قضاء الشهوة فحسب، وإن قال بلسانه: أفعل السنّة وأطلب الولد قربةً إلى الله، وقس علىٰ ذلك قول المصلّي عند نيّة الصلاة، إذا كان منهمكاً في أُمور الدنيا والتهالك عليها والانبعاث في طلبها؛ فإنّه لايتيسّر له توجيه قلبه بكليّته إلى الصلاة وتحصيل الميل الصادق إليها والإقبال الحقيقي عليها، بل يكون دخوله فيها دخول متكلّف لها متبرّم بها، ويكون قوله: أُصلّي قربةً إلى الله كقول الشبعان، أشتهي الطعام، وقول الفارغ: أعشق فلاناً مثلا.

والحاصل: أنّه لاتحصل النيّة الكاملة المعتدّبها في العبادات، وغيرها إذا أُريدت بها القربة، من دون ذلك الميل والإقبال، وقمع مايضادّه من الصوارف والأشغال، وهو لا يتيسّر إلّا بصرف القلب عن الأُمور الدنيويّة، وتطهير النفس عن الصفات الذميمة الدنيّة، وقطع النظر عن الحظوظ العاجلة بالكليّة، وتوجيه القلب إلىٰ المولىٰ وقصده دون جميع ما سواه بالنيّة، وذلك ميل لا يتيسّر إلّا لمن نوّرالله قلبه بالعرفان واليقين، وهداه صراط عباده المخلصين (٢).

ولذلك قال أميرالمؤمنين وسيّد الوصيّين: تخليص النيّة من الفساد أشدّ على

---

(١) (ج): العاشق.

(٢) المحجة البيضاء: ج٨ ص١٢١- ١٢٢.

....

العاملين من طول الجهاد(١).

ومن هنا يظهر سرّ قوله صلى الله عليه وآله: نيّة المؤمن خير من عمله(٢)؛ فإنّ النيّة علىٰ هذا الوجه أشقّ من العمل بكثير فتكون أفضل منه، ويتبيّن لك أنّ قوله صلى الله عليه وآله: أفضل الأعمال أحمزها(٣)، غير مناف لحديث: نيّة المؤمن خير من عمله(٤)، بل هو كالمؤكّد والمقرّر له، والله وليّ التوفيق.

فائدة

قال بعض المحقّقين من علمائنا المتأخّرين: النطق لا تعلّق له بالنيّة أصلاً؛ فإنّ القصد إلىٰ فعل من الأفعال لا يعقل توقّفه على اللفظ بوجه من الوجوه، ولا ريب في عدم استحبابه أيضاً؛ لأنّ الوظائف الشرعيّة موقوفة على الشرع ومع فقده فلا توظيف، بل كان فعله علىٰ وجه العبادة إدخالاً في الدين ما ليس منه، فيكون تشريعاً محرّماً(٥).

قوله عليه السّلام: «وبعملي إلىٰ أحسن الأعمال» العمل: كلّ ما صدر من الحيوان بقصده قلبيّاً أو قالبيّاً، فهو أخصّ من الفعل، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك مبسوطاً.

واعلم أنّ قبح العمل وحسنه وأحسنيّته متفرّع علىٰ النيّة في ذلك، كما قال عليه السّلام: إنّما الأعمال بالنيّات(٦).

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ج ١ ص ٣٥٢، وفيه: الاجتهاد.

(٢) و(٤) الكافي: ج ٢ ص ٨٤ ح ٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٩١، مجمع البحرين: ج ٤ ص ١٦.

(٥) المحجة البيضاء: ص ١٢٣

(٦) مصباح الشريعة: ص ٥٣، سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤١٣ ح ٤٢٢٧.

....

فالمراد بأحسن الأعمال ماكان عن نيّة صادقة، وهو ما تجرّدت فيه النيّة عن ملاحظة غير وجه الله تعالى ورضاه.

روي(١) عن الصادق عليه السّلام في قوله تعالىٰ: «ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً» قال: ليس يعني أكثركم عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة.

ثمّ قال: العمل الخالص الذي لا تريد أن يمدحك عليه أحد إلّا الله(٢).

وهذا هو معنى الإخلاص، وللقوم في تعريفه عبارات، فقيل: هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين حتى عن ملاحظة النفس، فلا يشهد غير الله.

وقيل: هو تنزيه العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب. وقيل: هو إخراج الخلق عن معاملة الحقّ.

وقيل: هو ستر العمل عن الخلائق وتصفيته من العلائق.

وقيل: أن لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين، وهذه درجة رفيعة عزيزة المنال.

وقد أشار إليها أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين صلوات الله عليه، بقوله: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك(٣).

ولعزّة هذه المرتبة قال بعض أرباب القلوب(٤): طوبىٰ لمن صحّت له خطوة واحدة لا يريد بها إلّا الله (٥)

---

(١)(ج): وروي.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٦ ح٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٤.

(٤) هو أبو سليمان، (راجع المحجة البيضاء: ج٨ ص١٢٨).

(٥) المحجة البيضاء: ج٨ ص١٢٨.

....

تبصـرة

ذهب جمّ غفير من علماء الإسلام إلىٰ بطلان العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب أو النجاة من العقاب، قائلين: إنّ ذلك ينافي الإخلاص الذي هو إرادة وجه الله تعالىٰ لاغير، وإنّ من قصد ذلك فإنّما قصد جلب نفع أو دفع ضرر لاوجه الله سبحانه، كما أنّ من أثنىٰ علىٰ أحد طمعاً في نعمته أو خوفاً من نقمته لم يعدّ مخلصاً في ثنائه عليه، وممّن بالغ في ذلك السيّد الجليل عليّ بن طاووس قدّس سرّه.(١).

بل يستفاد من كلام الشهيد الأوّل في قواعده أنّه مذهب أكثر أصحابنا رضوان الله عليهم.(٢)

ونقل الفخر الرازي في التفسير الكبير اتّفاق المتكلّمين على أنّ من عبدالله لأجل الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب لم تصحّ عبادته،(٣) وجزم في أوائل تفسير الفاتحة بأنّه لوقال: أُصلّي لثواب الله أو الهرب من عقابه، فسدت صلاته(٤).

وذهب آخرون إلى أنّ القصد المذكور غير مفسد للعبادة، ومنعوا خروجها به عن درجة الإخلاص ومنافاته له، قائلين: إنّ إرادة ثواب الله والنجاة من عقابه ليست أمراً مخالفاً لإرادة وجه الله سبحانه، كيف؟ وقد قال تعالىٰ في مقام المدح لأصفيائه: «كانوا يُسارِعونَ في الخَيراتِ ويدعُونَنا رَغَباً ورَهَباً»(٥)، أي: للرغبة في الثواب والرهبة من العقاب، وقال سبحانه: «وادعُوه خَوْفاً وطَمَعاً»(٦)،(٧).

---

(١) راجع بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٢٣٤.

(٢) القواعد والفوائد: ج ١ ص ٧٧.

(٣) التفسير الكبير: ج ١٤ ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٤) التفسير الكبير: ج ١ ص ١٥٨.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(٧) راجع بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٢٣.

....

واعترض قولهم: بأنّ دعوىٰ عدم المخالفة كلام ظاهري؛ للفرق الظاهر بين طاعة المحبوب لمحض محبّته وبين طاعته لغرض آخر، وأمّا الاعتضاد بالآيتين ففيه: أنّ كثيراً من المفسّرين ذكروا أن المعنى: راغبين في الإجابة راهبين من الردّوالخيبة.

قال شيخنا البهائي رحمه الله: والاولىٰ أن يستدلّ على ذلك بمارواه ثقة الإسلام في الكافي بطريق حسن، عن هارون بن خارجة عن الإمام أبي عبدالله عليه السّلام، أنّه قال: العبّاد ثلاثة، قوم عبدواالله عزّوجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدواالله تبارك وتعالىٰ طلباً للثواب فتلك عبادة الاجراء، وقوم عبدواالله عزّوجل حبّاً له فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة؛ فإنّ قوله عليه السلام: وهي أفضل العبادة، يعطي أنّ العبادة على الوجهين السابقين لاتخلو من فضل أيضاً، فتكون صحيحة وهو المطلوب. ثمّ المفهوم من كلام القائلين ببطلان العبادة بقصد تحصيل الثواب أو دفع العقاب، الحكم بفسادها وإن انضمّ إليه قصد وجه الله سبحانه، أمّا بقيّة الضمائم اللازمة للعبادة، كالخلاص من النفقة بعتق العبد في الكفّارة، والحمية بالصوم، والتبرد في الوضوء، وإعلام المأموم الدخول في الصلاة بالتكبير، ومماطلة الغريم بالتشاغل بالصلاة وملازمته بالطواف والسعي، وحفظ المتاع بالقيام لصلاة الليل وأمثال ذلك، فالظاهر أن قصدها عندهم مفسد أيضاً بالطريق الأولىٰ.

وأمّا القائلون بعدم الفساد بقصد الثواب ودفع العقاب، فقد أختلفوا في الإفساد بهذه الضمائم، فأكثرهم على عدمه، وبه قطع الشيخ في المبسوط، والمحقق في المعتبر، والعلاّمة في التحرير والمنتهىٰ؛ لأنّها لازمة الحصول قصدت أولم تقصد، فلا يضرّ قصدها(١).

---

(١) كتاب الأربعين: ص ١٦٠.

....

وفيه: أن لزوم حصولها لا يستلزم صحّة قصد حصولها (١).

والمتأخّرون من أصحابنا حكموا بفساد العبادة بقصدها، وهو مذهب العلاّمة في النهاية والقواعد، وولده فخر المحقّقين في الشرح، وشيخنا الشهيد في البيان؛ لفوات الإخلاص(٢).

قال شيخنا البهائي رحمه الله(٣): وهو الأصحّ (٤).

واستقرب بعض علمائنا المتأخّرين (٥) القول بالتفصيل، وهو أنّ العبادة إن كانت هي المقصودة بالذات والضميمة مقصودة تبعاً صحّت، وإن انعكس الأمر أو تساويا بطلت(٦).

قال شيخنا البهائي رحمه الله: واعلم أنّ الضميمة إن كانت راجحة، ولاحظ القاصد رجحانها وجوباً أو ندباً، كالحمية في الصوم لوجوب حفظ البدن، والإعلام بالدخول في الصلاة للتعاون على البرّ، فينبغي أن لا تكون مضرّة؛ اذهي حينئذٍ مؤكّدة، وإنّما الكلام في الضمائم الغير الملحوظة الرجحان، فصوم من ضمّ قصد الحمية مثلاً صحيح، مستحبّاً كان الصوم أو واجباً، معيّناً كان الواجب أو غير معيّن وان كان في النفس من صحّة غير المعين شيء، وعدمها محتمل (٧)، إنتهى كلامه.

وأمّا ضميمة الرياء فالظاهر أنّه لا خلاف في بطلان العبادة بها عند أصحابنا.

قال المحقّق الشيخ علي: ضمّ الرياء إلى القربة يبطل العبادة قولاً واحداً، إلاّ ما يحكى عن المرتضى أنّه يسقط الطّلب عن المكلّف ولا يستحقّ بها ثواباً، وليس بشيء (٨)، إنتهى *.

---

(١) و (٢) راجع بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٣٦.

(٣) (ج) : قدّس سرّه.

(٤) كتاب الأربعين: ص ١٦٠ - ١٦١.

(٥) أي الشهيد الأوّل قدّس سرّه.

(٦) القواعد والفوائد: ج ١ ص ٧٩.

(٧) كتاب الأربعين: ص ١٦١.

(٨) راجع بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٩٤.

أَللّهمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِما عِنْدَكَ يَقيني، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مافَسَدَ مِنّي.

وفر الشيءيفر ـمن باب وعدـ وفورا: تمّ وكمل، ووفرته وفراً ـمن باب وعدـ أيضاً أتممته وأكملته، يتعدّىٰ ولايتعدّىٰ، والمصدر فارق، ويتعدّىٰ بالتثقيل أيضاً مبالغة(١).

قال أبو زيد: وفّرت له طعامه توفيراً: إذا أتممته ولم تنقصه (٢).

والرواية في الدعاء بوجهين:

أحدهما: وفر بالتثقيل، فتكون الواو فاء الفعل.

والثاني: وفّر بالتخفيف، من وفرته كوعدته، فتكون الواو عاطفة، وعين الفعل محذوفة؛ لأنّها تحذف حذفاً مطّرداً في الأمر من باب وعد؛ حملاً على المضارع ذي الياء منه.

والمعنىٰ على الوجهين: اجعل نيّتي تامّة كاملة بكونها خالصة لوجهك الكريم، من غير نقص فيها بشوب غرض آخر.

قال بعض العارفين: إنّ عون الله للعبد بقدر نيّة العبد، فمن تمّت نيّته تمّ عون الله له بقدرها(٣)، وقد قال الله عزّ من قائل: «إنْ يُريدا إصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بينهما»(٤)،فجعل سبب التوفيق إرادة الإصلاح، ويجوز أن يكون توفير النيّة بمعنىٰ صيانتها ووقايتها، من وفرت عرضه وفراً ووفّرته توفيراً أي: صنته ووقيته من الثلب والعيب.

والمعنىٰ: صن نيّتي وقها مِن أن تثلب وتعاب برياء ونحوه.

وفي رواية بعض النسخ: «وفرّه» بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة وكسرها

---

(١) و(٢) المصباح المنير: ص٩١٩.

(٣) بمضمونه ماورد في بحارالأنوار: ج ٧٠ ص ٢١١ ح ٣٤. (٤) سورة النساء: الآية ٣٥.

....

وبعدها هاء ساكنة، فعل أمر من الفراهة.

قال ابن الأثير في النهاية: دابة فارهة أي: نشيطة جادّة قويّة، وقد فرهت فراهةً وفراهيةً(١)، إنتهىٰ.

وهو إمّا استعارة تبعيّة، بأنّ شبّه إحداث حالة في نيّته حاملة لها علىٰ الخفّة في الانبعاث نحو الخيرات، بالمعنىٰ المصدري الحقيقي للتفريه الذي هو تنشيط الدابّة للسير، بجامع عدم الكلال في التوجّه نحو المطلوب، فاستعار له لفظ التفريه، ثمّ اشتقّ منه الفعل، علىٰ ما قرّروه في معنىٰ الاستعارة التبعيّة أو استعارة مكنيّة تخييليّة، بأن أضمر في نفسه تشبيه النيّة بالدابّة في قيامها بالمنوي وتحمّلها له، كما قالوا: لا يعجز البدن عمّا قامت به النيّة، ولم يصرّح بغير المشبّه، ودلّ عليه بذكر مايخصّ المشبّه به وهو التفريه.

ومن عجيب ما وقع لبعض المترجمين هنا أنّه ظنّ أنّ الهاء ـ في هذه الرواية ـ ضميراً متّصلاً بفعل ألامر من التوفير، فقال: مرجع الضمير النيّة بتأويل المذكور، ونيّتي بدل من الضمير في وفرّه، إنتهىٰ.

وهو خبط أوقعه فيه التصحيف المذكور.

وقوله عليه السّلام: «بلطفك» يحتمل أن يراد به المعنىٰ العرفي المشهور للطّف، وهو ما يقرب به العبد من الطاعة ويبعد عن المعصية.

ويحتمل أن يراد به تصرّفه تعالى في الذوات والصفات تصرّفاً خفيّاً، بفعل الأسباب المعدّة لها لإفاضة كمالاتها.

قوله عليه السلام: «وصحّح بما عندك يقيني» أي: اجعل يقيني صحيحاً ثابتاً مستقرّاً لا يعتريه شك.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٤٤١.

....

والظرف إمّا متعلّق بما قبله، فيكون المعنى: صحّح بما عندك من القدرة والرحمة واللطف والعناية يقيني، فتكون الباء للسببيّة.

وإمّا متعلّق بما بعده، فيكون المعنى: صحّح يقيني بما عندك من النفع والضرّ، حتّىٰ لا أرجو ولا أخشىٰ غيرك للدنيا والآخرة، فتكون الباء صلة لليقين.

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: من صحّة يقين المرء المسلم أن لايرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم علىٰ ما لم يؤته الله(١).

وعنه عليه السّلام: حدّ اليقين أن لاتخاف مع الله شيئاً(٢).

وصورة صحّة اليقين بما عنده سبحانه: أن تثبت في نفسك وتتيقّن بكشف أو اعتقاد جازم، أنّ إسناد جميع الأسباب والمسبّبات إليه سبحانه، وأنّه الفاعل المطلق التامّ القدرة على مايريد، بحيث لا تكون وراء قدرته قدرة، ولا يقع في نفسك التفات إلى غيره بوجه، حتّى نفسك وحولك وقوّتك؛ فإنّك تجد عن نفسك الطمأنينة بتسليم أُمورها بالكليّة إليه، والبراءة من الاعتماد على أحد إلّا عليه، فإن لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك غلبة الوهم على النفس في معارضته لذلك اليقين.

قوله عليه السلام: «واستصلح بقدرتك مافسد منّي» الصلاح: حصول الشيء علىٰ الحالة المستقيمة النافعة، ونقيضه الفساد وهو خروجه عن تلك الحالة، والاستصلاح هنا ليس معناه طلب الصلاح حقيقةً، كما تقتضيه صيغة الإستفعال؛ لأنّ طلب الصلاح قد وقع منه تعالىٰ عامّاً من جميع العباد، وذلك بالأوامر والنواهي الشرعيّة.

قال الزمخشري في الأساس: أمرالله ونهى لاستصلاح العباد(٣).

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٧ ح ٢. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٧ ح ١. (٣) أساس البلاغة: ص ٣٥٩.

اللّـهُـمَّ صَلِّ عَلـىٰ مُـحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَاكْفِني ما يَشْغَلُني الإهْتِمـامُ بِهِ، واسْتَعْمِلْني بِما تَسْأَلُني غَداً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أيّامي فيْما خَلَقْتَني لَهُ.

بل هو من باب استخرجت الوتد من الحائط، فإنّه ليس فيه طلب خروجه، بل معناه: لم أزل أتلطّف وأتحيّل منه حتّىٰ خرج.

فمعنىٰ «استصلح ما فسد منّي»: تلطّف فيما فسد منّي حتّىٰ يصلح.

ويحتمل أن يكون «استصلح» بمعنى أصلح، كاستجاب بمعنىٰ أجاب *.

الكفاية: قيام شخص مقام آخر في قضاء حوائجه، يقال: كفيت زيداً الأمر كفايةً: قمت به مقامه وأغنيته عن معاناته.

واهتمّ بالأمر: اعتنىٰ به، أي: تولّ كفايتي في كلّ أمر يشغلني اهتمامي واعتنائي به عن طاعتك وعبادتك، حتّىٰ لايكون لي توجّه والتفات إلى غير وجهك الكريم.

واستعملته: جعلته عاملاً.

والغد: اليوم الذي يأتي بعد يومك علىٰ أثره، ثمّ توسّعوا فيه حتّى أُطلق على البعيد المترقّب كما وقع هنا؛ فإنّ المراد به يوم الحساب، وأصله «غدو» مثال فلس، لكن حذفت اللام وجعلت الدال حرف إعراب.

والمراد بالمسؤول عنه غداً: هو الأعمال التي يثاب أو يعاقب الإنسان علىٰ فعلها أو على تركها، كما قال تعالى: «ولَتُسئَلُنَّ عمّا كُنتم تعْمَلونَ»(١).

قالوا: وفائدة السؤال مع علمه تعالى بذلك إظهار المعدلة وقطع المعذرة، فتعلم الخلائق أنّه سبحانه لايظلم أحداً، وليزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم بما يظهر من أفعالهم الحسنة، ويزداد غمّ الكفّار بما يظهر من أفعالهم القبيحة.

واستفرغ أيّامي: أي اجعل أيّامي كلّها مبذولة فيما خلقتني له.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٣.

وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ في رِزْقِكَ، وَلا تَفْتِنّي بِالبَطَرِ، وَأَعِزَّني وَلا تَبْتَلِيَنّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْني لَكَ، وَلا تُفْسِدْ عِبادَتي بِالعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلناسِ عَلىٰ يَدِيَ الخَيْرِ، وَلا تَمْحَقْهُ بِالمَنّ، وَهَبْ لي مَعالِيَ الأَخْلاقِ، وأَعْصِمْني مِنَ الفَخْرِ.

يقال: استفرغ مجهودة أي: استقصىٰ طاقته، وفرس مستفرغ: لايدّخر من عدوه شيئاً، وأصله من إفراغ الإناء، وهو قلب مافيه وصبّه حتّى لايبقى فيه شيء.

وفيما خلقتني له: أي في عبادتك، كما قال تعالى: «وما خلقتُ الجِنَّ والإنْسَ إلّا ليَعْبُدونَ»(١).

وفي: ظرفيّة مجازيّة، بتشبّه(٢) ملابسة استفراغ أيّامه لماخلقه له بملابسة المظروف للظرف، فتكون لفظة «في» استعارة تبعيّة *.

أغنني: أي أعطني ما أستغني به عن الناس، أو ارزقني غنىٰ النفس عمّا في أيدي الخلق.

وفي الحديث: ومن يستغن بالله وعطائه يغنه الله(٣). قيل: معناه: يخلق في قلبه غنى، أو يعطيه مايغنيه عن الخلق.

وأوسع عليّ في رزقك: أي اجعل رزقك لي واسعاً، وعدّاه بـ «في» لتضمينه معنىٰ بارك، كما عدّي أصلح بها من قوله: «وأصلِح لي في ذُرِّيّتي»(٤)، أي: بارك لي فيها، وإلّا فأوسع وأصلح كلاهما متعدّيان بأنفسهما.

وفتنه ـ من باب ضرب: أوقعه في الفتنة، وهي الضلال عن الحقّ والخروج عن الطاعة، وإنما يكون ذلك منه تعالى بسلب اللطف والتوفيق، فقصد بنفي اللازم نفي

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦. (٢) (ج): بتشبيه.

(٣) سنن الترمذي: ج ٤ ص ٣٧٣ ح ٢٠٢٤، سنن أبي داود: ج ٢ ص ١٢١- ١٢٢ ح ١٦٤٤؛ مع نقيصة فيهما. (٤) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

....

الملزوم من باب الكناية.

والبطر بالباء الموحّدة والطاء المهملة المفتوحة والراء المهملة: الطغيان بالنعمة، وهو رذيلة الإفراط من فضيلة الغنىٰ، كما قال تعالى: «إنّ الإنسانَ ليَطْغى * أنْ رآه استغْنىٰ»(١)، وقال سبحانه: «ولو بَسَط الله الرِزقَ لعبادِهِ لَبَغوا في الأرضِ»(٢).

وفي نسخة: «بالنظر» بالنون والظاء المعجمة مفتوحة.

قيل: هو بمعنىٰ الانتظار، أي: لا تفتنّي بانتظار حصول الرزق، بل عجّل لي بالغنىٰ والسعة.

وقيل: هو بمعنىٰ الإبصار، أي: لا تفتنّي بالنظر والالتفات إلى ما في أيدي الناس من متاع الدنيا، كما قال تعالى: «ولا تَمُدّنَّ عَينَيكَ إلى ما مَتّعنابِهِ أزواجاً مِنهُمْ زَهْرَةَ الحياةِ الدُنيا لِنَفْتِنَهم فيهِ ورِزق رَبـِّكَ خَيرٌ وأبْقى»(٣) نهى سبحانه نبيّه عن النظر بطريق الرغبة والميل إلى ما متّع به أصنافاً من الكفرة، من زهرة الحياة الدنيا وزينتها وزخارفها؛ تحذيراً من الميل إلى الزخارف الدنيويّة، ولقد شدّد العلماء المتّقون في وجوب غضّ البصر عن أبنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم؛ لأنّهم اتّخذوها لعيون النّظارة، فالناظر إليها محصّل لغرضهم، فيكون إغراءً لهم على اتّخاذها.

وأعزّه الله: جعله عزيزاً أي: منيعاً لا يغلب ولا يقهر وأعزّه أيضاً: أكرمه وأحبّه.

وابتلاه: اختبره، والابتلاء يكون بالخير لامتحان الشكر، ويكون بالشّر لامتحان الصبر، ويكون بمعنىٰ الإصابة بالمكروه أيضاً.

والكبر بكسر الكاف وسكون الباء الموحّدة: اسم من التكبّر، وهو العظمة والتجبّر، وهو رذيلة الإفراط في العزّ.

وقال الراغب: الكبر: ظنّ الإنسان بنفسه أنّه أكبر من غيره، والتكبّر: إظهاره

---

(١) سورة العلق: الآية ٦ و ٧. (٢) سورة الشورى: الآية ٢٧. (٣) سورة طه: الآية ١٣١.

....

ذلك من نفسه(١)، وهو نتيجة جهل الإنسان بقدر نفسه وإنزالها فوق منزلتها، كما أنّ العزّ نتيجة معرفة الإنسان بقدر نفسه وإكرامها عن الضراعة للأغراض الدنيويّة.

واعلم أنّه لمّا كان حقيقة العزّ هو ترفّع الإنسان بنفسه عمّا يلحقه غضاضة، وهي منزلة شريفة متوسّطة بين رذيلة التفريط منها وهو الضراعة، ورذيلة الإفراط منها وهو الكبر، سأل عليه السّلام رفعه عن رذيلة التفريط، بطلب الإعزاز وصونه عن رذيلة الإفراط بعدم الابتلاء بالكبر؛ لتحصل له الحالة المتوسّطة التي هي مجتمع الفضائل، فقد تقرّر أنّ لكلّ فضيلة حدّاً معيّناً، إذا جاوزته في طرف التفريط أو في طرف الإفراط.ينتهي(٢) إلىٰ رذيلة، فالفضيلة بمثابة الوسط، والرذيلة بمثابة الأطراف.

ويروي قوله عليه السّلام: «ولا تبتليني بالكبر» بوجهين:

أحدهما: بالجزم بحذف حرف العلّة، والنون مخفّفة للوقاية.

والثاني: بإثبات حرف العلّة مفتوحاً، والنون مشدّدة وهي نون التأكيد الثقيلة، وفتح حرف العلّة فتحة بناء علىٰ المشهور؛ لمباشرة نون التأكيد للفعل.

ولا: على الوجهين ناهية.

والواو: عاطفة.

ووقع في بعض التعليقات أنّ الواو للحال، و «لا» نافية.

وهذا لايصحّ على الروايتين المذكورتين، وكأنّه توجيه لرواية ثالثة وهي «ولا تبتليني» بإثبات حرف العلّة ساكناً، وتخفيف النون على أنّها نون الوقاية، فيتعيّن حينئذٍ أن تكون الواو للحال و«لا» نافية، وهو على تقدير مبتدأ على الأصحّ، أي: وأنت لاتبتليني؛ لأنّ الجملة الفعليّة المبدوّة بمضارع منفيّ بـ «لا» إذا وقعت حالاً،

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٥٣ الباب السابع.

(٢) (ج): تنتهي.

....

لزم ربطها بالضمير وحده وتجرّدها عن الواو، نحو: «ومالنـا لانُؤمِنُ باللهِ»(١)، فإن وردت بالواو قدّر مبتدأ على الأصحّ، كقراءة ابن ذكوان(٢) «فاستقيما ولا تَتْبِعان» بتخفيف النون، فالتقدير: فاستقيما وأنتما لا تتبعان، نصّ على ذلك ابن مالك في التسهيل(٣).

وجعل بعضهم ترك الواو أكثرياً والظاهر عدم التأويل. إذا عرفت ذلك، فما وقع لبعض المترجمين من قوله:

ومن العجائب ما قيل: إنّ الواو حاليّة و«لا» نافية، لا وجه له إذا كان توجيهاً لهذه الرواية، كيف؟ وهو متعيّن، فلا محلّ للتعجّب إلّا من تعجّبه، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

قوله عليه السّلام: «وعبّدني لك» أي: ذلّلني، من قولهم: بعير معبّد وطريق معبّد أي: مذلّل، ومنه: العبادة، وهي التذلّل للغير عن اختيار لغاية تعظيمه، والعبوديّة أدنىٰ منها.

وقيل: العبادة: فعل مايرضي الله، والعبوديّة: الرضا بما فعله الله تعالى.

وإفساد الشيء: إخراجه عن أن ينتفع به.

والعجب بضمّ العين وسكون الجيم الزهو، و رجل معجب: مزهوّ بما يكون منه حسناً أو قبيحاً، والعجب في العبادة: استعظام العمل الصالح واستكباره والابتهاج له والإدلال به، وأن يرىٰ نفسه خارجاً عن حدّ التقصير، وهذا هو العجب المفسد للعبادة؛ لأنّه حجاب للقلب عن الربّ، ومانع له عن رؤيّة منّته(٤) ونعمته وتوفيقه ومعونته، وصادّ له عن الوصول إلى حقيقة توحيده والإخلاص في ربوبيّته. وقد تقدّم

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٤.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ص١١٣.

(٤) (ج): مننه.

....

الكلام مبسوطاً على حقيقة العجب وأنواعه في الروضة الثامنة، فليرجع إليه.

وروىٰ ثقة الأسلام في الكافي بسنده عن عليّ بن سويد عن أبي الحسن عليه السّلام، قال: سألته عن العجب الذي يفسد العمل، فقال: العجب درجات منها: أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه، ويحسب أنّه يحسن صنعاً، ومنها: أن يؤمن العبد بربّه، فيمنّ على الله عزّ وجلّ، ولله عليه فيه المنّ(١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال الله عزّوجلّ لداود عليه السّلام: يا داود بشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين، قال: كيف أُبشّر المذنبين وأُنذر الصدّيقين؟ قال: يا داود بشّرالمذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفوعن الذنب، وأنذر الصدّيقين أن لايعجبوا بأعمالهم؛ فإنّه ليس عبدٌ أنصبه للحساب إلّا هلك(٢).

وعنه عليه السّلام: أنّ الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه، ويعمل العمل فيسّره ذلك فيتراخىٰ عن حاله تلك، فلئن يكون علىٰ حاله تلك خير له ممّا دخل فيه(٣).

وعنه عليه السّلام: أوّل مايفعل بالمعجب نزع ما أعجب به؛ ليعلم أنّه عاجز حقير، ويشهد علىٰ نفسه بالعجز؛ لتكون الحجّة عليه(٤).

قوله عليه السلام: «وأجر للناس على يدي الخير» أي: اجعل الخير داراً متّصلاً. يقال: هذه صدقة جارية أي: دارّة متّصلة، كالوقوف المرصدة(٥) لأبواب البرّ، ومنه: الأرزاق جارية أي: دارّة متّصلة.

والخير: كلّي يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة، والمراد به هنا: الإحسان إلى الناس، وإعطاء فضل المال، إلى غير ذلك من مكارم الأعمال ومحاسن الأفعال،

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣١٣ ح ٣. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣١٤ ح ٨.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣١٣ ح ٤. (٤) مصباح الشريعة: ص ٨١. (٥) (ج) المؤصدة.

....

التي يتعدّىٰ نفعها إلى الغير.

والمراد باجرائها علىٰ يديه: جعله واسطةً وسبباً في إيصال الخير إلى الغير؛ تحرّياً للثواب المترتّب على ذلك وحبّاً للمعروف وفعله.

فعن أبي جعفر عليه السّلام: أنّ من أحبّ عباداللّه إلى اللّه لمن حبّب إليه المعروف وحبّب إليه فعاله(١).

وعن أبي عبداللّه عليه السّلام: لوجرى المعروف على ثمانين كفّاً لأُجروا كلّهم فيه، من غير أن ينقص صاحبه من أجره شيئاً.(٢)

والأخبار في هذا المعنىٰ أكثر من أن تحصىٰ.

ومحقه محقاً ـ باب نفع ـ: نقصه وأذهب منه البركة.

وقيل: هو إذهاب الشيء كلّه حتّىٰ لايرىٰ له أثر، ومنه: «يَمحقُ اللّهُ الربا»(٣).

والمراد بمحقه: محق أجره وإبطال ثوابه.

والمنّ: أن يعتدّ المحسن على من أحسن إليه بإحسانه، ويريه أنّه أوجب عليه بذلك حقّاً، وهو مذموم جدّاً مبطل لأجر الإحسان، قال تعالى: «يا أيُّها الّذينَ آمَنوا لا تُبْطِلوا صَدَقاتِكُمْ بالمَنِّ والأذى» (٤)؛ وذلك لما فيه من انكسار قلب الفقير، ومن تنفير ذوي الحاجة عن معروفه، ومن عدم الاعتراف بأنّ النعمة نعمة اللّه والعباد عباده، وإذا كان العبد في هذه الدرجة كان محروماً من مطالعة الأسباب الربانيّة الحقّة، فكان في درجة البهائم التي لا يترقّىٰ في نظرها من المحسوس الى المعقول ومن المؤثر إلى المؤثّرات.

واعلم أنّ المراد بمحقّ الإحسان (٥) وإبطاله بالمنّ: عدم استحقاق الثواب عليه

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٥ ح ٣. (٢) الوسائل: ج ٦ ص ١٩٤ ح ٣، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٧٦. (٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٥) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٢٨ ح ٣٥٠٢.

....

رأساً؛ لا تيانه به علىٰ غير الوجه المأمور به، وهو إيقاعه علىٰ الوجه الذي لايستحقّ عليه الثواب، لا أنّ الإحسان أوجب أجراً و ثواباً، ثمّ إنّ ذلك المنّ أزالها وأبطلها، كما ذهبت إليه المعتزلة جرياً علىٰ مذهبهم من الإحباط.

فإن قلت: كيف أضاف إفساد العبادة بالعجب ومحقّ الخير بالمنّ الى الله تعالىٰ، والمفسد والماحق إنّما هو المعجب والمانّ بعجبه ومنّه؟.

قلت: هذا من باب الدعاء بطلب الإمداد باللطف والتوفيق، أي: لا تمنعني لطفك الذي تسلم معه عبادتي من الفساد وخيري من المحقّ، وهو يجري مجرى قولهم: اللّهم لا تسلّط علينا من لايرحمنا، أي: لاتخلّ بيننا وبين من لايرحمنا فيتسلّط علينا، أو المعنى: احرسني من الشيطان وشرّ نفسي الداعين إلى العجب والمنّ، حتّى لا تفسد عبادتي وينمحق خيري، أو لمّا كان العجب الذي هوسبب الإفساد، والمنّ الذي هو سبب المحقّ متسبّبين عن امتحانه وخذلانه تعالى، أضاف ذلك إليه سبحانه، وهو كقوله تعالى: «ربّنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بعدَ إذ هدَيْتَنا»(١).

قوله عليه السّلام: «وهب لي معالي الأخلاق» أي: أفض علَيّ قوّةً واستعداداً لقبول معالي الأخلاق.

والمعالي: جمع معلاة، اسم من العلاء وهو الرفعة والشرف، كالمكرمة من الكرم، والإضافة بمعنى «من»، أي: المعالي من الأخلاق، وهي جمع خلق بالضمّ، وهو ملكة نفسانيّة يقتدر معها على الا تيان بالفعل بسهولة.

والمراد بمعالي الأخلاق: محاسنها ومكارمها، وعبّر عنها بالمعالي إيذاناً بعلوّها وشرفها ورفعتها واختلف العلماء في تعريف حسن الخلق:

فقيل: هو بسط الوجه، وكفّ الأذىٰ، وبذل الندىٰ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨.

....

وقيل: هو صدق التحمّل، وترك التجمّل، وحبّ الآخرة، وبغض الدنيا.

وقيل: هو أنّ لايظلم صاحبه، ولايمنع ولايجفو أحداً، وإن ظلِم غفر، وإن منع شكر، وإن ابتلي صبر.

والحقّ أنّ كلّ ذلك تعريف له بالآثار والأفعال التابعة له الدّالة عليه، وأنّه ملكة يسهل علىٰ صاحبها فعل الجميل وتجنّب القبيح، ويعرف ذلك بمخالطة الناس بالمعروف، والصدق، والصلة، والتودّد، واللطف، والمبرّة، وحسن الصحبة والعشرة، والمراعاة، والمواساة، والرّفق، والحلم، والصبر، والاحتمال لهم، والإشفاق عليهم، وهو حسن الصورة الباطنة التي هي صورة النفس الناطقة، كما أنّ حسن الخلق بالفتح هو حسن الصورة الظاهرة، إلّا أن حسن هذه الصورة الظاهرة ليس بقدرتنا واختيارنا، بخلاف حسن الصورة الباطنة فإنّه من فيض الحقّ، وقد يكون مكتسباً؛ ولهذا تكرّر في الدعاء سؤاله من الله تعالى، وتظافرت الأخبار بالحثّ عليه وبتحصيله والترغيب فيه بمدحه.

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مايوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق(١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم(٢).

وعن عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أكثر ما تلج به أُمّتي الجنّة تقوىٰ الله وحسن الخلق(٣).

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٩٩ ح ٢ باب حسن الخلق.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ ح ٥.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ ح ٦.

....

وعنه عليه السّلام قال: إنّ الخلق الحسن، يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد (١).

وعن أبي جعفر عليه السّلام قال: إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً(٢).

والروايات في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً.

قوله عليه السّلام: «وأعصمني من الفخر» عصمه الله من المكروه يعصمه- من باب ضرب-: حفظه ووقاه، والاسم العصمة بالكسر.

والفخر: ادّعاء العظمة والكبر والشرف.

وقيل: هو التطاول على الناس بتعديد المناقب، ولمّا كان الحصول على معالي الأخلاق ربّما جمحت به النفس الأمّارة إلى الفخر المذموم، سأل عليه السّلام عصمته منه، وقد ورد في ذمّ الفخر أخبار عديدة.

قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: مالابن آدم والفخر، أوله نطفة، وآخره جيفة، لايرزق نفسه، ولايدفع حتفه(٣).

ونظم ذلك بعضهم فقال:

ما بال من أوّله نطفة ... وجيفة آخره يفخر

اصبح لايملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر(٤)

وفي رواية أُخرىٰ عنه عليه السّلام: مالابن آدم والفخر، وانّما أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة(٥).

ونظم ذلك أبو محمّد الباقي فقال:

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٠ ح ٧.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٩٩ ح ١.
(٣) نهج البلاغة: ص ٥٥٥ الحكم ٤٥٤.
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٥٠.
(٥) راجع تعليقة الكافي: ج ٢ ص ٣٢٩.

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلا تَرْفَعْني في النّاسِ دَرَجَةً إِلّا حَطَطْتَني عِنْدَ نَفْسي مِثْلَها، وَلا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظاهِراً إِلّا أَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِنْدَ نَفْسي بِقَدَرِها.

عجبت من فاخرٍ بنخوته	وكان من قبل نطفة مذرة
وفي غدٍ بعد حسن صورته	يصير في القبر جيفة قذرة
وهو على عجبه ونخوته	مابين جنبيه يحمل العذرة(١)

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: آفة الحسب الافتخار(٢).

أي: أنّ الافتخار يهدم الحسب، وهو شرف الإنسان ومكارمه كالشجاعة والسخاء وحسن الخلق.

وبهذا الحديث يظهر سرّ سؤال زين العابدين عليه السّلام العصمة من الفخر بعد سؤاله معالي الأخلاق.

ومن الأحاديث المشهورة قوله صلى الله عليه وآله: أنا سيّد ولد آدم ولا فخر(٣).

أي: لا أفتخر بذلك؛ لأنّي لم أنله من قبل نفسي بل بفضل ربّي، ولا أقوله تبجّحاً، ولكن شكراً لله وتحدّثاً بنعمة، وتبليغاً إلى الأمّة مايجب معرفته والإيمان به، والله أعلم *.

في الناس: أي ظاهراً فيما بينهم مميّزاً منهم.

والدرجة: المنزلة، والمراد بها هنا: المزية في الفضل والشرف. ونصبها على المصدريّة؛ لوقوعها موقع المرّة من الرفع، أي: لا ترفعني رفعةً، أو على الظرفيّة، أو على نزع الخافض، أي: إلىٰ درجة، أو على التميز.

---

(١) راجع تعليقة الكافي: ج ٢ ص ٣٢٩. (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٢٩ ح ٦.

(٣) سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤٤٠ ح ٤٣٠٨.

....

والاستثناء مفرّغ من حال عامّة مقدّرة محذوفة هي المستثنى منه، والمستثنىٰ محلّه النصب علىٰ الحاليّة، والتقدير: لا ترفعني درجة في حال من الأحوال إلّا حال حطّك لي عند نفسي حطاً مثل تلك الدرجة في المقدار من الكميّة المعنويّة.

إذا عرفت ذلك، فقول بعضهم: إنّ الاستثناء منقطع، والمستثنى ناب عنه الجملة بعده، ومثله مازاد إلّا مانقص، غلط صريح، بل الاستثناء متّصل؛ لكونه مفرّغاً من حال عامّة متناولة لهذا الفرع وغيره، فالمستثنىٰ بعضٌ من المستثنىٰ منه كما عرفت، فكيف يكون منقطعاً؟

وقوله: إنّ المستثنىٰ ناب عنه الجملة بعده، غلط آخر، بل الجملة الحاليّة نفسها هي المستثنىٰ، و«إلّا» ملغاة عن العمل على قول، أو عن التوصّل بها إلى العمل على قول آخر.

وقوله: ومثله مازاد إلّا مانقص، غلط ثالث؛ فإنّ المستثنىٰ في عبارة الدعاء مفرّغ اتّفاقاً، والمثال الذي ذكره لايصحّ فيه التفريغ قطعاً؛ إذ لا يمكن إعمال ما قبل «إلّا» فيه فيما بعدها، ألا ترىٰ أنّه لايستقيم أن يقال: مازاد إلّا النقص، بخلاف عبارة الدعاء؛ فإنّ العامل في الجملة الحاليّة الواقعة بعد «إلّا» هو الفعل قبلها، بل المستثنىٰ في المثال ما المصدرية، وصلتها في موضع نصب علىٰ الاستثناء، والاستثناء منقطع، والتقدير فيه: مازاد لكن نقص، وكذا كلّ استثناء منقطع يقدّر بـ «لكن»؛ لأنّه للاستدراك ودفع توهّم دخوله في الحكم السابق، ولو قدّرت الإستثناء في الدعاء بـ «لكن» لم يصحّ؛ إذ ليس المراد: لاترفعني في الناس لكن حطّني عند نفسي، بل المقصود: إنّ رفعتني في الناس فحطّني عند نفسي.

قال الرضي: القصد بمثل هذا النفي والاستثناء، لزوم تعقّب مضمون مابعد «إلّا» لمضمون ماقبلها، وذلك معنى الشرط والجزاء غالباً، فقصدوا صوغ ما قبل «إلّا» ومابعدها صوغ الشرط والجزاء؛ لأنّ معنىٰ حرف النفي مع «إلّا» يفيد

....

معنىٰ الشرط والجزاء، أعني لزوم الثاني للأوّل، فاعتبروه معهما(١)، انتهى بالمعنىٰ.

وحدث الشيء حدوثاً -من باب قعد-: تجدّد وجوده بعد أن كان معدوماً، ويتعدّىٰ بالألف فيقال: أحدثته. أي: لا توجد لي عزّاً ظاهراً في جميع الأحوال إلّا حال إيجادك لي ذلّة باطنة عند نفسي.

والباء من بقدرها: للملابسة، أي: ملتبسة(٢) بمقدارها.

وقدر الشيء ساكن الدال والفتح لغة: مقداره.

قال الزمخشري: أخذ بقدر حقّه وبقدره أي: بمقداره وهو مايساويه، **وقرئ بقدر** الفاتحة وبقدرها وبمقدارها (٣).

وأعاد الضمير إلىٰ العزّ مؤنّثاً وهو مذكّر ذهاباً إلى المعنىٰ؛ لأنّ العزّ في معنىٰ الدرجة والمنزلة، وهو باب واسع في كلام العرب.

حكىٰ الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: سمعت أعرابياً يقول: فلان لغوب، أتته كتابي فاحتقرها، فقلت له: كيف تقول: أتته كتابي؟ فقال: أليس الكتاب في معنى الصحيفة؟ فقلت: ما اللغوب؟ فقال: الأحمق(٤).

وفي نسخة قديمة: «عزّة ظاهرة» بهاء التانيث، فلا إشكال.

واعلم أنّ الغرض من الدعاء في هاتين الفقرتين أُمور: أحدها: وقايته وحفظه من الكبر والعجب، اللذين كثيراً ماينشآن عن حصول الرفعة والعزّ الظاهرين فيما بين الناس.

ولذلك ماروي عنه عليه السّلام أنّه قال: كفىٰ بالمرء فتنة أنّ يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا(٥).

---

(١) شرح الكافية في النحو: ج١ ص٢٥٠.

(٢) (ج): متلبسّة.

(٣) المصباح المنير: ص٦٧٥ نقلا عنه.

(٤) تاج العروس: ج١ ص٤٧٢.

(٥) احياء علوم الدين: ج٣ ص٢٧٥.

....

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام: ما أرىٰ شيئاً أضرّ بقلوب الرجال من خفق النعال وراء ظهورهم(١).

الثاني: تحليته بالتواضع عند حصول الرفعة والعزّ له؛ فإنّ أحسن التواضع ما كان عن رفعة، كما أنّ أحسن العفو ما كان عن قدرة؛ ولذلك قال صلّى الله عليه وآله: طوبىٰ لمن تواضع في غير منقصة، وذلّ في نفسه عن غير مسكنة(٢).

وقال بعض الحكماء: أحقّ مَن كان للكبر مجانباً وللإعجاب مبايناً، مَن جلّ في الدنيا قدره وعظم فيها خطره؛ لأنّه يستقلّ بعالي همّته كلّ عجا كثير، ويستصغر معها كلّ كبير (٣).

قال الراغب: التواضع: اشتقاقه من الضعة، وهو رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقّه فضله ومنزلته، وفضيلته لا تكاد تظهر في أفناء الناس لانحطاط درجتهم، وإنّما ذلك يبين في الملوك وأجلاّء الناس وعلمائهم، وهو من باب التفضّل، وهو بين الكبر والضعة، فالكبر: رفع الإنسان نفسه فوق قدره، والضعة: وضعه نفسه مكاناً يزري به لتضييع حقّه (٤)، إنتهىٰ.

ولهذا المعنىٰ مدح الملوك والعظماء بالتواضع.

قال محمّد التيمي في الفضل بن سهل:

تواضع لـمّا زاده الله رفعة ... وكلّ رفيع قدره متواضع(٥)

وقال أبوعبارة البختري:

دنوت تواضعاً وعلوت قدراً ... فشأنك انحدار وارتفاع

(١) الكشكول للشيخ البهائي: ص٦.

(٢) الجامع الصغير: ج ٢ ص ٥٥.

(٣) أدب الدنيا والدين: ص٢٣٣.

(٤) الذريعة: إلى مكارم الشريعة: ص١٥٢، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) لم نعثر عليه.

....

كذاك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع(١)

الثالث: حفظ تلك الدرجة الرفيعة والعزّ الظاهر من الزوال بل زيادتها؛ فإنّ التواضع عند حصول الرفعة كالشكر عند حصول النعمة.

قال أبوالقاسم النيسابوري في كتاب خلق الإنسان: واجب علىٰ كلّ ذي منزلة رفيعة أن يشفق عليها حتّى لا يسقط عنها، وذلك باستعمال التواضع واعتياد(٢) الرفق، وهذا ممّا اجتمع (٣) علىٰ قبوله العقل والشرع، واتّفق عليه الاعتبار والاختبار، فكم من أُناس لهم منازل رفيعة عالية، انحطّوا عنها بعدم التواضع، وزالت عنهم بسبب الكبر، وفي قوله تعالى: «فاهبِطِ مِنها فَما يكونُ لكَ أنْ تَتَكبَّر فيها» دلالة ظاهرة علىٰ أنّ الانحطاط عن رفيع الدرجات إنّما يكون بالتكبّر(٤)، إنتهىٰ.

وفي حديث الصحيح عنه صلّى الله عليه وآله. من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبّر خفضه الله (٥).

ورویٰ ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام: أنّ في السماء ملكين موكّلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبّر وضعاه(٦).

وعن النّبي صلّى الله عليه وآله: أنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة، فتواضعوا يرحمكم الله(٧).

وعن عمروبن شيبة قال: كنت بمكّة بين الصفا والمروة، فرأيت رجلاً راكباً بغلة وبين يديه غلمان، فإذا هم يعنّفون بالناس، ثمّ عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت علىٰ الجسر، فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر، فجعلت أنظر إليه

---

(١) آداب النفس: ج ٢ ص ٣٠٠. (٢) (ج): اعتبار. (٣) (ج): أجمع.

(٤) كتاب خلق الإنسان: ـ (٥) الكافي ج ٢ ص ١٢٢ ح ٣.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ١٢٢ ح ٢. (٧) الكافي: ج ٢ ص ١٢١ ح ١، وفيه: يرفعكم الله.

أللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْني بِهدىً صالحٍ لا أستبْدِلُ بِهِ، وَطَريقَةِ حَقٍّ لا أزيغُ عَنْها، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لا أشكُّ فيها.

وأتأمّله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟ فقلت: شبّهتك برجل رأيته بمكّة، ووصفت له الصفة فقال: أنا ذلك الرجل، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إنّي ترفّعت في موضع يتواضع فيه الناس، فوضعني الله حيث يترفّع الناس(١).

الرابع: إلهامه المعرفة بنقصان ذاته وذلّ نفسه وفاقته وخضوعه في رقّ الحاجة إليه تعالى؛ ليعلم أنّ تلك الفضيلة من الرفعة والعزّ، لم تحصل له عن استحقاق وجب عله بسعيه وكدّه أو بخته وجدّه، مع قطع النظر عن واهب النعم ومفيضها.

وإنّما سأل عليه السّلام أن يكون حطّه وإذلاله في نفسه بمقدار تلك الرفعة والعزّ؛ ليكون تواضعه مساوياً لدرجته ومرتبته، حتّى لايكون زائداً عليها فيحمل على التملّق والضعة، ولا ناقصاً عنها فتشوبه شائبة تكبّر وتجبّر، والله أعلم بمقاصد أوليائه *.

متّعه بالشيء تمتيعاً: نفعه به فتمتّع.

وقال في المحكم: متّعه الله وأمتعه: أبقاه ليستمتع(٢) به(٣).

والهدىٰ بضمّ الهاء مقصوراً كما اتّفقت عليه النسخ: مصدر من هدىٰ كالسرىٰ والبكىٰ، وهو يطلق على معنيين:

أحدهما: أن يكون بمعنىٰ الهداية، وهي الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب، ويوصف بالمتعدّي، وهو مضاف إلى الله تعالىٰ.

والثاني: أن يكون بمعنىٰ التوجّه إلى مايوصل إلى المطلوب، ويوصف باللازم، وهو مضاف إلىٰ العبد.

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ٢٢٨، إحياء العلوم: ج ٣ ص ٣٤٣.

(٢) (ج) اليتمتّع. (٣) المحكم لابن سيده: ج ٢ ص ٤٧.

....

وكلّ من المعنيين محتمل هنا، إلّا أنّ الثاني أنسب بالاستبدال كما لايخفىٰ.

والصالح: المستقيم المنتفع به، وكأنّ المراد به الموصل إلى المطلوب؛ إذ الوصول غير معتبر في مطلق الهدىٰ بالمعنيين على الصحيح. واستبدل بالشيء :اتّخذ واختار منه بدلا.

والباء: للمقابلة، والظرف لغو.

ورأيت في بعض النسخ كان قد ضبط «هدي» بفتح الهاء وسكون الدال وبعدها ياء مثنّاة علىٰ وزن فلس، ثمّ أُصلح إلىٰ ما اتّفقت عليه النسخ من ضبطه بالضمّ مقصوراً، ولو ثبتت هذه الرواية لكانت أشدّ ارتباطاً بالفقرة التالية؛ لأنّ الهدي على وزن فلس بمعنىٰ السيرة وهي الطريقة والهيئة، ووصفه بالصلاح بهذا المعنىٰ أعرف من وصف الهدى مقصوراً به، ومنه الحديث: الهدي الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءً من النبوّة (١).

وهو بفتح الهاء وسكون الدال اتّفاقاً، ثمّ رأيته كذلك في نسخة قديمة، فثبتت الرواية به ولله الحمد.

والطريقة: المذهب والحالة.

قال الجوهري: طريقة الرجل: مذهبه، يقال: مازال فلان علىٰ طريقة واحدة، أي حالة واحدة(٢)، إنتهىٰ.

والحقّ لغةً: نقيض الباطل، واصطلاحاً: الحكم المطابق للواقع، ويقابله الباطل، والإضافة لاميّة، وقد يراد بالحقّ: الإقبال على الله تعالىٰ بلزوم الأعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابق للواقع، وبالباطل: الالتفات عنه إلى غير ذلك ممّا

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ٥٥، إحياء علوم الدين: ج ٣ ص ٢٤١ مع اختلاف يسير في العبارة

(٢) الصحاح: ج ٤ ص ١٥١٣.

....

لايجدي نفعاً في الآخرة، وبه فسّر قول أمير المؤمنين عليه السلام: من لم ينفعه الحقّ يضرّه الباطل(١).

والزيغ: الميل، يقال: زاغ عن الطريق يزيغ زيغاً.

والنيّة: عزم القلب على أمر من الأمور، وتطلق على الوجه الذي ينويه الإنسان، ولا يبعد إرادة هذا المعنى هنا.

والرشد: الصواب.

وقال الهروي: هو الهدىٰ والاستقامة(٢).

وقال في القاموس: هو الاستقامة على طريق الحقّ مع تصلّب فيه(٣).

والشك لغةً: خلاف اليقين، وهو التردّد بين شيئين سواء استوىٰ طرفاه أو رجح أحدهما على الآخر.

واصطلاحاً: هو التردّد بين شيئين علىٰ حدّ سواء، وإن رجح أحدهما فالراجح ظنّ والمرجوح وهم.

يقال: الشّك اضطراب القلب والنفس، وهذا المعنىٰ هو المراد هنا؛ إذ المراد بنيّة الرشد التي لاشك فيها: النيّة الصائبة الصحيحة المستقيمة التي لا اضطراب للقلب والنفس فيها، لا كنيّة من يعبدالله على حرف، فان أصابه خيراطمأنّ به، وأنّ أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

واعلم أنّ مدار هذه الفقرات الثلاث من الدعاء علىٰ طلب الاستقامة في الاعتقادات والأخلاق والأعمال، وذلك منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصليّة والفرعيّة والكمالات النظرية والعملية، والخروج عن عهدته في غاية مايكون من الصعوبة.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٧١ خطبة ٢٨.

(٢) الغريبين للهروي: مخطوط في مكتبة ملك بطهران ذيل مادّة «رشد».

(٣) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٩٤.

....

ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: شيّبتني سورة هود(١) يعني قوله تعالى فيها: «فاسْتَقِم كما أُمِرتَ»(٢)، وهي جامعة لجميع أنواع التكاليف.

قال بعض العلماء: إنّ الطاعة لا تعدّ طاعة وفضيلة مالم تستجمع معاني أربعة: أن يكون صاحبها عالماً بشرائطها، وفاعلاً لها على سبيل الطوع والاختيار، ولا يختارها إلّا لاعتقاد حسنها في نفسها اعتقاداً راسخاً ، وأن يدوم اختياره لذلك فلايزول، فلن تخلص الطاعة ولن يستقيم السعي إلّا بمجموع هذه الخصال الشاقّة.

حتّى قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: استقيموا ولن تحصوا (٣).

وحتّى أخبر عن نفسه فقال: شيّبتني سورة هود (٤).

وحتّى قيل: الاستقامة لايطيقها إلّا الأنبياء وأكابر الأولياء؛ لأنّها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، بحيث لا يشوب معاملته مع الله فترة، ولا تصحب مسيره إليه وقفة، يعتبر بما يرى في الدنيا من غير شهوة، ويتفكّر في المعاد من غير غفلة، يستقلّ الكثير من طاعته ازراءً على نفسه، ويستعظم اليسير من إحسان ربّه إجلالاً لوجهه، وينصف من نفسه ولاينتصف لها، ويعمل بجوارحه ولا يعمل بهواها، فإذا وجدت فيه هذه الأمارات صار صاحب الاستقامة وأهل الكرامة.

وفي نهج البلاغة من خطبة له عليه السّلام: وإنّي متكلّم بعدّة الله وحجّته، قال الله جلّ ذكره: «إنَّ الّذينَ قالوا ربُّنا الله ثمّ استقاموا تَتَنَزَّلُ عليهِمُ الملائكةُ ألّا تخافوا ولا تحزَنوا وأبْشِروا بالجنّةِ التي كنتم توعدون»، وقد قلتم: ربّنا الله، فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثمّ

---

(١) مجمع البيان: ج ٥ـ ٦ ص ١٤٠، التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١٨ ص ٧١.

(٢) سوة هود: الآية ١١٢. (٣) الجامع الصغير: ج ١ ص ٤٠.

(٤) مجمع البيان: ج ٥ـ ٦ ص ١٤٠، التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١٨ ص ٧١.

وَعَمِّرْني ماكانَ عمري بِذْلَةً في طاعَتِكَ، فإذا كانَ عُمْري مَرْتَعاً لِلشَّيْطانِ فَاقْبِضْني إلَيْكَ، قَبْلَ أنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ اِلَيَّ، أوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها؛ فإنّ أهل المروق منقطع بهم عندالله يوم القيامة(١) *.

عمره الله يعمره ـ من باب قتل ـ وعمّره تعميراً: أبقاه، والعمر بالضمّ وبضمّتين وبالفتح: الحياة.

وما: مصدريّة زمانيّة، أي: نائبة عن الزمان المفهوم من المقام لا دالة عليه بذاتها، وإلّا لكانت اسماً ولم تكن مصدريّة.

والأصل عمّرني مدّة كون عمري بذلة، فحذف الظرف وخلفته «ما» وصلتها، كما جاء في المصدر الصريح نحو: جئتك صلاة العصر، وآتيك قدوم الحاجّ.

والبذلة بالكسر على وزن سدرة: ما يمتهن ولا يصان من الثياب في الخدمة، والفتح فيها لغة.

قيل: وهي هنا استعارة للعمر، شبّه الحياة المصروفة في طاعة الله بالثوب المستعمل في الخدمة، بجامع الامتهان والابتذال، فاستعارها لفظ البذلة، وهي استعارة مطلقة لكنها(٢) في غاية الحسن؛ لغرابة التشبيه فيها.

والفاء: عاطفة بمعنى ثمّ.

وإذا: ظرف مستقبل متضمّن معنى الشرط، خافض لشرطه أعني الجملة الفعليّة بعده، منصوب بجوابه عندالجمهور.

ورتعت الماشية ترتع رتعاً ـ من باب نفع ـ ورتوعاً: رعت كيف شاءت، وجاءت وذهبت في المرعى، والمرتع بالفتح: موضع الرتوع. وهو مستعار للعمر

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٥٣ الخطبة ١٧٦. (٢) (ج): لكونها.

....

المصروف في طاعة الشيطان، باعتبار كونه مباحاً مطلقاً له، يضلّه ويغويه فيه كيف شاء، كالمرتع المباح للماشية الذي ترعىٰ فيه كيف شاءت، وهي استعارة تبعيّة.

قال بعضهم: وهذه الاستعارة مثل سابقتها في الحسن واللطافة؛ بل هي أحسن وألطف، إنتهىٰ.

قلت: والذي عليه المحقّقون أن ليس شيءٌ من البذلة والمرتع في مثل هذا المقام استعارة، بل هو تشبيه بليغ حذفت أداته لقصد المبالغة.

قال الشيخ في أسرار البلاغة ما ملخّصه: إذا كان اسم المشبّه به خبراً عن اسم المشبّه، أو في حكم الخبر كخبر باب كان وإنّ. فالأصحّ أنّه يسمّىٰ تشبيهاً لا استعارة، لأنّ اسم المشبّه به إذا وقع هذه المواقع، كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما أُجري عليه أو نفيه عنه، فإذا قلت: زيد أسد، وكان زيد أسداً، فصوغ الكلام في الظاهر لإثبات معنىٰ الأسد لزيد، وهو ممتنع على الحقيقة، فيحمل على أنّه لإثبات شبه من أسد له، فيكون الاتيان بالأسد لإثبات التشبيه، فيكون خليقاً بأنّ يسمّىٰ تشبيهاً؛ لأنّ المشبّه به إنّما جيء به لإفادة التشبيه، بخلاف نحو: لقيت زيداً أسداً، فإنّ الاتيان بالمشبّه به ليس لإثبات معناه لشيء، بل صوغ الكلام لإثبات الفعل واقعاً على الأسد، فلا يكون لإثبات التشبيه، فيكون قصد التشبيه مكنوناً في الضمير، لا يعرف إلّا بعد نظر وتأمّل، وإذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرّق بينهما في الاصطلاح والعبارة، بأن تسمّىٰ احداهما تشبيهاً والأُخرىٰ استعارة(١)، إنتهىٰ كلامه.

قال السعد التفتازاني: وعليه جميع المحقّقين(٢).

---

(١) أسرار البلاغة: ص ٣١.

(٢) لم نعثر عليه.

....

إذا عرفت ذلك، فما نحن فيه لايسمّىٰ عند أرباب التحقيق استعارة، لأنّ اسم المشبّه به من البذلة والمرتع واقع في حكم الخبر؛ لكونه خبراً لكان، فهو تشبيه قطعاً، فما وقع في كثير من التعاليق: أنّ كلاً منهما استعارة جار علىٰ غير نهج التحقيق.

والفاء من قوله: «فإذا»: رابطة في للجواب.

وقبضه الله ـ من باب ضرب ـ: أماته، وعدّاه بـ «إلى» لتضمينه معنىٰ الرجع، أي: اقبضني راجعاً إيّاي إليك.

ومقته مقتاً ـ من باب قتل ـ: أبغضه أشدّ البغض عن أمر قبيح.

وأحكمت الشيء إحكاماً: أتقنته، فاستحكم هو: صار كذلك. والمراد باستحكام الغضب: تحقّقه وثبوته.

وفي المغرب: أحكم الشيء فاستحكم فهو مستحكم بالكسر لاغير(١).

وإيراد «أو» للدلالة علىٰ أنّ الأمرين متساويان في طلب الإماتة قبل وقوعهما، أو لإرادة أنّ كلّ واحد منهما كاف في ذلك.

وأعلم أنّ قوله: «فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان» من باب التعبير بالفعل عن مشارفته، والتقدير: فإذا شارف عمري أن يكون مرتعاً للشيطان فاقبضني؛ ليصحّ وقوع القبض قبل سبق المقت واستحكام الغضب جزاءً(٢)؛ لانتفاء القبض قبلهما بعد كون العمر مرتعاً للشيطان. قال بعضهم: وفي هذا الفصل من الدعاء دلالة علىٰ أنّ العمر قد ينقص ويزيد بالدعاء وغيره، من صلة الرحم وقطيعتها والصدقة ونحو ذلك.

وفي أمالي الشيخ رحمه الله عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إنّ الله تعالى لم يجعل للمؤمنين أجلاً في الموت، يبقيه ما أحبّ البقاء، فإذا علم منه أنّه سيأتي بما فيه

(١) المغرب في ترتيب المعرب ج١: ص١٣٣. (٢) (ج): جزء.

أَللّهُمَّ لا تَدَعْ خصْلَةً تُعابُ مِنّي إلّا أصْلَحْتَها، وَلا عايِبَةً أُؤَنَّبُ بِها إلّا حَسَّنْتَها، وَلا أُكْرُومَةً فِيَّ ناقِصَةً إلّا أتْمَمْتَها.

بوار دينه قبضه إليه مكرماً(١).

وعلمه تعالى بما تضمّنه هذا الحديث وبما يزيد العمر وينقصه، يمكن معه اعتبار الأجل واحداً، لكن يحصل الفرق بملاحظة ثبوت اختيار العبد وعدم كون العلم علّة، والله أعلم *.

ودعته أدعه ودعاً: تركته، وأصل المضارع الكسر(٢)، ومن ثمّ حذفت الواو لمكان حرف الحلق.

قال بعض المتقدّمين(٣): وزعمت النحاة أنّ العرب أماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل منه، وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل وابن أبي عبلة ويزيد النحوي: «ماودعَك ربُّك» بالتخفيف(٤).

وفي الحديث: لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات(٥)، أي: عن تركهم.

فقد رويت هذه الكلمة عن أفصح العرب ونقلت عن طريق القراء، فكيف يكون إماتة؟ وقد جاء الماضي و اسم الفاعل في بعض أشعار العرب، وماهذه سبيله فيجوز القول بقلّة الإستعمال فيه، ولايجوز القول بالإماتة.

والخصلة: الخلّة والحالة، وجملة «تعاب»: في محلّ نصب صفة لخصلة.

ومن: لابتداء الغاية، أو للتبيين أي: من خصالي، متعلّقة بتعاب، أو بمحذوف وقع صفة ثانية لخصلة أي: كائنة منّي، أو حال منها، لأنّ النكرة الموصوفة كالمعرفة، وجعلها متعلّقة بتدع خلاف الظاهر.

---

(١) أمالي الطوسي: ج ١ ص ٣١١. (٢) (ج): بالكسر.

(٣) أي المطرزي كما جاء في تفسير روح المعاني: ج ٣٠ ص ١٥٣.

(٤) تفسير روح المعاني: ج ٣٠ ص ١٥٦.

(٥) تفسير روح المعاني: ج ٣٠ ص ١٥٣، النهاية لابن الأثير ج ٥ ص ١٦٥.

....

وأغرب من قال: ضمّن تعاب معنىٰ الصدور، أي: تعاب صدورها منّي ؛ لأنّ عاب متعدّ بنفسه، إنتهى. وهو خبط واضح وجهل فاضح.

والعايبة بالياء علىٰ القياس، وهو الواقع في النسخ المعتبرة، ولا عبرة بما وقع في بعض النسخ من الهمز، وهي كلّ خصلة ذات عيب، من عاب الشيءلازماً: إذا صارذا عيب.

يقال: عاب المتاع عيباً ـ من باب صار ـ فهو عائب، وعابه صاحبه فهو معيب، يتعدّى ولا يتعدّىٰ.

وأنّبه تأنيباً: عنّفه ولامَه(١).

وقيل: هوالمبالغة في التعنيف والتوبيخ.

وأُونّب بها بالبناء للمجهول أي: أعنّف وأُلام عليها. والقياس تحقيق الهمزة الثانية لأنّها فاء الفعل، إلّا أنّ المروي إبدالها واواً؛ لاستثقال اجتماع الهمزتين.

فإنّ قلت: مافائدة تخصيص العايبة بالوصف المذكور؟ وهلاّ أُطلق لتعمّ ماخفي من الخصال التي لايطّلع عليها من يؤنّبه!.

قلت: فائدة ذلك تخصيص العايبة بنفسه، فكأنّه قال: ولاعايبة أنا أُونّب بها، كما خصّص الخصلة بنفسه بقوله: «تعاب منّي «ولا أُكرومة» في الفقرة التالية بقوله: «فيّ»، ولو أطلق لعمّت كلّ عايبة فيه وفي غيره، ومع ذلك فلا يخرج بالوصف المذكور ماخفي من الخصال التي لايطّلع عليها من يؤنّبه بها؛ لأنّ المراد العايبة التي من شأنها أن يؤنّب بها سواء ظهرت أو خفيت.

والأُكرومة بضمّ الهمزة: اسم من الكرم، كالأُعجوبة اسم من العجب.

وفي القاموس: هي فعل الكرم(٢).

---

(١) (ج): ألامه.

(٢) القاموس: ج ٤ ص ١٧٠.

....

وفي: ظرفيّة مجازيّة، دخلت على ياء المتكلّم وأُدغمت الياء في الياء، وهي متعلّقة بمحذوف وقع صفة لأُكرومة، أي أُكرومة كائنة.

وناقصة بالنصب: صفة أُخرىٰ لها.

ووقع في تعليقة بعض أكابر السادة على الصحيفة الشريفة: أنّ الصواب روايةً ودرايةً كون «في» بسكون الياء، وهو حرف جرّ، وناقصة بالخفض مجرور به، وهي صفة لموصوف محذوف، أي: في مرتبة ناقصة غير تامّة، أو في ملابسة رذيلة ناقصة للأُكرومة، أي: مخرجة لها عن تمام درجتها وكمال مرتبتها، على أنّها فاعلة من نقص المتعدّي، فتكون الأُكرومة منقوصة بها.

قال: هذا إذا حملنا ناقصة على اسم الفاعل، وأمّا إذا حملناها علىٰ المصدر كالفاتحة والعافية والكاذبة، فالمعنىٰ: ولا أُكرومة في نقصان إلّا أزحت نقصانها وأتممت كمالها.

ثمّ شنّع على من ضبط «فيّ» بتشديد الياء ونصب ناقصة، فقال: ومن القاصرين في عصرنا من لم يكن يستطيع إلى إدراك الغامضات والتفصية عن مضائق المعضلات سبيلاً، فحرّفها إلىٰ «فيّ ناقصةً» بإضافة «في» إلى ياء المتكلّم والتشديد للإدغام، ونصب ناقصة علىٰ أنّها صفة أُكرومة المنصوبة علىٰ المفعوليّة، فنشأ ذلك التحريفِ في النسخ الحديثة المستنسخة، ولم يفطن لما فيه من الفساد من وجهين:

الأوّل: أنّ قضيّة العطف علىٰ خصلة في الجملة الأُولىٰ، مقتضاها أنّ تقدير الكلام: ولا تدع منّي أُكرومة فيّ ناقصة، فيجتمع منّي وفي، فيرجع إلى هجنة وخيمة.

الثاني: أنّ الفصل بين الموصوف والصفة بالجارّة ومجرورها ممّا يعدّ هجيناً، فلا تكن من القاصرين، إنتهىٰ بنصّه.

....

قلت: وهي قعاقع(١) ليس لها طائل.

أمّا كون الصواب روايةً ماذكره فغيرمسلّم؛ إذ قد ثبت في عدّة نسخ مازعم أنّه تحريف، ومنها ما نسخ قبل عصره بنحو أربعمائة عام، كما في النسخة التي هي بخطّ الياقوت المستعصمي، ونسخة أُخرىٰ قديمة تاريخ نسخها سنة اثنين وسبع مائة، فكيف يدّعي أنّ ذلك تحريف وقع من بعض القاصرين في عصره؟.

وأمّا كونه درايةً فغيرصحيح، وماذكره من الوجهين باطلان. أمّا الأوّل وهو اجتماع منّي وفيّ، فمدفوع أوّلاً: بأنّ العطف هنا من باب عطف الجمل لا المفردات، وذلك بتقديرعامل مدلول عليه بما قبله، والتقدير: ولا تدع أُكرومة فيّ ناقصة، فلا يلزم اجتماع الظرفين.

وثانياً: على تسليم كونه من عطف المفردات، بأنّه إنّما يلزم ذلك إذا جعل الظرف -أعني منّي- متعلّقاً بـ «لا تدع»، ضرورة اقتضاء العطف اشتراك المتعاطفين في النسبة المفيدة، ونحن نمنع تعلّقه بذلك، بل هو متعلّق بـ «تعاب»، فهو من تمام الجملة الواقعة صفة لخصلة، أو بمحذوف واقع صفة لها أو حالاً منها، والعطف لا يقتضي إثبات ما للمعطوف(٢) من صفة ونحوها للمعطوف عليه،(٣) كقولك: لا تضرب زيداً الفاضل ولا عمراً، فإن اقتضاه في بعض الصور فبالقرينة لا بالوضع، فيقدّر لدلالة المقام عليه، كقولك: لا تنفق درهماً زائفاً ولا ديناراً أي: زائفاً فإن وقع في صريح الكلام، يغني عن تقديره لم يقدّر، كقولك: لا تنفق درهماً زائفاً ولا ديناراً رديّاً، فلا يحتاج إلى تقدير زائف هنا، حتّى يلزم منه اجتماع زائف ورديّ وهما بمعنىٰ، ومانحن فيه من هذا القبيل؛ فإنّ «فيّ» الواقعة صفة لأُكرومة أغنت عن تقدير منّي، فلا يلزم اجتماعهما.

---

(١) (ج): فقاقع. (٢)(ج): للمعطوف عليه. (٣) (ج): للمعطوف.

....

وأمّا الوجه الثاني، وهو الفصل بين الموصوف والصفة بالجارّة ومجرورها، فمردود بأنّه لافصل هنا أصلاً، بل الجارّ والمجرور صفة لأكرومة، وناقصة صفة أُخرىٰ لها كما تقدّم، فهو ممن باب تعدّد الصفات، فهو كقوله تعالىٰ: «وَفِي ذٰلِكُم بَلاءٌ مِن رَبّكم عَظيمٌ»(١).

إذا عرفت ذلك، ظهر لك بطلان قول من قال أيضاً: إنّ شدّدت الياء كما في أكثر النسخ، فناقصة صفة لأكرومة، ولا بأس بالفصل بالظرف لشيوعه، ولكنّ الأولىٰ أنّ يجعل «منّي» علىٰ هذا التقدير متعلّقاً بـ «تعاب»؛ لأنّك لوجعلته متعلّقاً بـ «خصلة» أو «لا تدع» لاجتمع هنا منّي وفي، فلايكون مستحسناً، إنتهىٰ.

فقد علمت إنتفاء دعوىٰ الفصل رأساً.

وأمّا قوله: لوجعلته متعلّقا بخصلة لاجتمع هنا منّي وفيّ، ففيه: أنّه إن أراد بتعلّقه بخصلة التعلّق الإصطلاحي فهو غلط؛ لأنّ الظرف بعد النكرة إمّا صفة لها إن لم تكن موصوفة، أو محتمل لها وللحال إن كانت موصوفة كما نحن فيه، وعلىٰ التقديرين فهو ممّا يجب تعلّقه بمحذوف إجماعاً، فكيف يصحّ جعله متعلّقاً بخصلة؟.

وإن أراد التعلّق المعنوي،أعني كونه صفةً أو حالاً لها، فقد عرفت أنّه لايلزم منه الاجتماع المذكور.

والاستثناء في الجمل الثلاث متّصل مفرّغ من أعمّ الأحوال، محلّة النصب علىٰ أنّه حال من ضمير لا تدع، والعامل فيها فعل النهي، أي: لا تدع خصلةً تعاب منّي في حال من الأحوال إلّا حال إصلاحكها، ولاعائبةً أؤنّب بها في حال من الأحوال

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٩.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأبْدِلْني مِنْ بِغْضَةِ أهْلِ الشَّنآنِ المَحبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أهْلِ البَغْي المَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أهْلِ الصَّلاحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَداوَةِ الأدْنَيْنَ الوَلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوي الأرْحامِ المَبَرَّةَ، وَمِنْ خِذْلانِ الأقْرَبينَ النُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ المُدارينَ تَصْحيحَ المِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ المُلابِسينَ كَرَمَ العِشْرَةِ، وَمِنْ مَرارَةِ خَوْفِ الظّالِمينَ حَلاوَةَ الأمَنَةِ.

إلّا حال تحسينك إيّاها، ولا اكرومة فيّ ناقصة في حال من الأحوال إلّا حال إتمامك لها.

والمقصود لزوم تعقّب مضمون ما بعد إلّا لما قبلها، فهما كالشرط والجزاء؛ ولذلك وقعت الحال بعد «إلّا» ماضياً مجرداً عن قد والواو.

وحاصل الكلام: كلّما كانت فيّ من خصلة تعاب فأصلحها، ومن عائبة أؤنّب بها فحسّنها، ومن أُكرومة ناقصة فأتممها.

وأمّا قول بعض القاصرين: استثناء الجمل هنا بتأويلها بالمشتقّ والمستثنىٰ منه الخصلة، ولو لا تخصيصها بالنعت لكان متّصلاً، فهو الذي أوجب الانقطاع، فذكره لزيادة المبالغة، فقد سأل إصلاح الخصلة المعيبة التي يطّلع(١) الناس عليها وتعيبه بها، والخفيّة التي لم يطلع أحدعليها(٢)، وهذا علىٰ تقدير تدع بمعنىٰ تترك، ولوكان بمعنىٰ تصير، لكان الاستثناء مفرّغاً من مفعوله الثاني المقدّر، ومثله ما بعده، انتهىٰ.

فهو هذيان محموم أو هذر ملموم، فإيّاك والالتفات إليه، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل *.

أبدلت كذا من كذا إبدالاً: أذهبت الأول وجعلت الثاني مكانه.

ومن: بدليّة، اجعل المحبّة بدلاً من بغضة أهل الشنآن، أو ابتدائيّة على القول

---

(١) (ج): يطّلع عليها الناس. (٢) (ج): يطّلع عليها أحد.

....

بإنكار مجيئ «من» للبدل؛ لأنّ ابتداء الإبدال حصل من البغضة. وأغرب من قال: إنّها لبيان الجنس؛ فإنّ البغضة ضدّ المحبّة لاجنس لها، وهل يخفىٰ ذلك علىٰ من له أدنىٰ تمييز؟ فسبحان واهب العقول.

والبغضة بالكسر: شدّة البغض.

والشنان بالتحريك والتسكين: البغض، وقرئ بهما قوله تعالى: «شَنَآنُ قَومٍ»(١).

قال الجوهري: وهما شاذّان، فالتحريك شاذّ في المعنىٰ؛ لأنّ فعلان إنّما هو من بناء ماكان معناه الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان، والتسكين شاذّ في اللفظ؛ لأنّه لم يجئ شيءمن المصادر عليه(٢).

قال أبوعبيدة: والشنان بغير همز مثل الشنآن، وأنشد الأحوص:

وما العيش إلّا ما تلذ وتشتهي   وإن لام فيه ذوالشنان وفندا(٣)

والبغي: الظلم والتعدّي والاستطالة والسعي في الفساد وطلب الشرّ، يقال: بغى أحدهما على صاحبه بغياً ـ من باب رمى ـ أي: طلب له شرّاً. ولمّا كان الحاسدون ظالمين طالبين للمحسود شرّاً بتمنّي زوال نعمته، جعلهم عليه السّلام أهل البغي.

والظنّة بالكسر: التهمة، وهي اسم من ظننته ـ من باب قتل ـ إذا اتّهمته.

والثقة: الائتمان.

يقال: وثق به يثق بكسرهما ثقةً ووثوقاً أي: ائتمنه.

فإن قلت: كيف نسب الظنّة إلى أهل الصلاح، وسوء الظنّ بالمسلمين واتّهامهم محظور؟ فعن النبيّ صلّى الله عليه وآله: أنّ الله حرّم من المسلم دمه

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) الصحاح: ج ١ ص ٥٧.

(٣) لسان العرب: ج ١٣ ص ٢٤٣.

....

وعرضه وأنّ يظنّ به ظنّ السوء(١)

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء(٢).

بل مقتضىٰ الصلاح حسن الظنّ بالمؤمن وعدم اتّهامه.

كما روي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام: ضع أمر أخيك على أحسنه حتّىٰ يأتيك مايقلبك عنه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءً وأنت تجدها في الخير محملاً(٣).

ولذلك قال العلماء: أفعال المؤمنين محمولة علىٰ الصحّة.

قلت: ليس المراد بالظنّة هنا الاّ عدم الثقة والطمأنينة بكلّ أحد، وليس المراد بها الاتّهام بما ينافي العدالة، فإنّ من شأن أهل الرأي والصلاح أن لا يثقوا بكلّ أحد ولا يركنوا إلى كلّ شخص، تفادياً عن الغرر وأخذاً بفضيلة الحزم.

ولذلك قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: الطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار عجز(٤).

وفي كلامهم: إذا كان الغدر طبعاً فالثقة بكلّ أحد عجز. وعلىٰ هذا المعنىٰ حمل الخبر المشهور: الحزم سوء الظنّ بالناس.

وفي رواية: احترزوا من الناس بسوء الظن(٥).

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام: الحزم مساءة الظنّ (٦).

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٣٧٢.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٦١ ح ١.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٢ ح ٣.
(٤) نهج البلاغة: ص ٥٤٤ حكم ٣٨٤.
(٥) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ١٦٣، وفيه: احتجزوا، بحارالأنوار: ج ٧٧ ص ١٥٨، وفيه: احترسوا.
(٦) الكافي: ج ١ ص ٢٧ ح ٢٩.

....

قال بعض الشارحين(١): يعني أنّ جودة الرأي وإحكام الأمر والأخذ بالثقة يقتضي سوء الظنّ بالناس، يعني تجويز السوء منهم والتثبّت فيما يأتون به، حتّى يتبيّن الحقّ من الباطل والصدق من الكذب والعلم من الشبهة، ولو وجب القبول منهم والثقة بهم من غير حزم ولم يجز نسبة السوء إليهم لوقع الهرج والمرج وبطل الدين ورجع كما كان قبل البعثة.

وبالجملة: فالحزم يوجب أن يبني الحال على تجويز السوء منهم، حتّى يتبيّن الحقّ ويحصل الإذعان به.

وفيه تنبيه على أنّه لاينبغي متابعة الغير في أمر من الأمور مع تجويز كون ذلك الأمر خطأ، بل لابدّ من كمال الإحتياط فيه. وإنّما قلنا: على جواز السوء منهم لأنّه الذي يقتضيه الحزم والاحتياط، فلاينافي ماورد من النهي عن مساءة الظنّ بالخلق؛ لأنّ ماذكرناه من باب التجويز العقلي الذي هو قضية الحزم وماورد النهي عنه من باب الاعتقاد الفاسد، أو القول بالشيء رجماً بالغيب(٢)، إنتهى.

والأدنين: الأقارب، جمع أدنى من الدناوة بمعنى القرابة، يقال: بينهما دناوة أي: قرابة، وأغرب من جعله من الدنيّ بمعنى الساقط الضعيف. وقد تقدّم بيان إعلال هذا الجمع في الروضة الثانية(٣)، فليرجع إليه.

والولاية: ضدّ العداوة.

والعقوق: قطيعة الرحم، من العقّ بمعنى القطع.

قال الأزهري: وأصل العقّ: الشقّ والقطع(٤).

---

(١) وهو المولى محمّد صالح المازندراني.

(٢) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج١ ص٤٢١- ٤٢٢.

(٣) ج١ ص٤٦٦.

(٤) التهذيب في اللغة: ج١ ص٥٧.

....

وقال صاحب المحكم: عقّ والده يعقّه عقاً: شقّ عصا طاعته، وقد يعمّ بلفظ العقوق جميع الرحم، فالفعل كالفعل والمصدر كالمصدر(١).

والأرحام: جمع رحم، وهي في الأصل منبت الولد ووعاؤه في البطن، ثمّ سمّيت القرابة من جهة الولادة رحماً، ومنها ذو الرحم خلاف الأجنبي، وقد تقدّم الكلام على ذلك.

والمبرّة: البرّ، وهو ضدّ العقوق فيكون بمعنى الصلة.

قال بعض العلماء: قطيعة الرحم وعقوقها هو ترك الإحسان إلى الأقربين والتعطّف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم(٢).

وبرّها وصلّتها لها درجات متفاوتات بعضها فوق بعض، وأدناها الكلام وترك المهاجرة، ويختلف ذلك أيضاً باختلاف القدرة عليها والحاجة إليها، فمن الصلة ما يجب ومنها مايستحبّ. ومن وصل بعض الصلة ولم يبلغ أقصاها ومن قصّر عما ينبغي أو قصر عمّا يقدر عليه، هل هو واصل أو قاطع؟ فيه تأمّل والأقرب عدم القطع؛ لصدق الصلة في الجملة.

والخذلان بالكسر: اسم من خذله -من باب قتل-: إذا ترك نصره وإعانته وتأخّر عنه.

وإنّما خصّ عليه السّلام الأقربين هنا بالذكر؛ لأنّ قربهم منه باعث لدواعي النصرة له، فنصرتهم إيّاه أعظم في عزّ جانبه وحفظه وحمايته من غيرهم، وخذلانهم له أشدّ في تهضّم جانبه.

ولذلك قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: لن يرغب المرء عن عشيرته -وإن كان

---

(١) المحكم لابن سيده: ج ١ ص ٢٠.

(٢) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٩ ص ٣٩٠.

....

ذا مال و ولد- وعن مودّتهم وكرامتهم ودفاعهم بأيديهم وألسنتهم، هم أشد الناس حيطة من ورائه وأعطفهم عليه وألمّهم لشعثه، إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأُمور، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّما يقبض عنهم يداً واحدة وتُقبض عنه منهم أيدي كثيرة(١).

والمدارين: جمع مدار، اسم فاعل من داراه يداريه مداراةً، أي: لاطفه ولاينه واحتمل منه كي لاينفر عنه.

وقال الجوهري: مداراة الناس تهمزّ ولا تهمزّ، يقال: دارأته وداريته، وهي المداجاة والملاينة(٢).

وقيل: المداراة: مجاملة المعاشرين والمعاندين والمتشبّهين بالإخوان، طمعاً في مودّتهم واتّقاءً من شرورهم.

وبالجملة: فهي لا تكون إلّا مع عدم الصفاء وسقم المودّة؛ ولذلك سأل عليه السّلام إبدال حبّ المتصفين بها بتصحيح المقة وهي المحبّة، والهاء فيها عوض من الواو، يقال: ومقه يمقه بالكسر فيهما ومقاً ومقةً: أي أحبّه فهو وامق.

وعلىٰ ذلك ماحكي عن أبي الطيّب المتنبّي أنّه سمع عند انصرافه من صلاة الجمعة أعمىٰ خارجاً من باب الجامع يقول: واضيعة الأدب، المتنبّي يقول:

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرىٰ عدوّاً له ما من صداقته بدّ(٣)

فقال المتنبّي لبعض أصحابه: سله عن ذلك، وقل له: كيف كان ينبغي أن يقول، فسأله، فقال: كان ينبغي أن يقول: ما من مداراته أو من مداجاته؛ لأنّ الصداقة لاتكون إلّا مع الصفاء، والمداراة والمداجاة لا تكون إلّا مع العداوة (٤).

---

(١) نهج البلاغة: ص ٦٥ خطبة ٢٣.
(٢) الصحاح: ج ٦ ص ٢٣٣٥.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبّي: ص ١٥٥.
(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٤٢.

....

قوله عليه السّلام «ومن ردّ الملابسين كرم العشرة» الردّ يكون إهانةً ويكون إكراماً، فإن عدّي بنفسه أو بـ «على» كان إهانةً.

يقال: ردّ الشيء :إذا لم يقبله، وردّ عليه: إذا خطّأه.

وإن عدّي بـ «إلى» كان إكراماً، ومنه: «فرَدَدْناهُ إلى أُمّه»(١)، والمراد به هنا: المعنىٰ الأوّل.

والملابسين: جمع ملابس، من لابست فلاناً أي: خالطته وعرفت باطنه.

والعشرة بالكسر: هي اسم من المعاشرة والتعاشر، وهي المخالطة.

وكرم العشرة عبارة عن حسنها ولطفها؛ فإنّ العرب تستعمل الكرم في كلّ شيء حسن ممدوح.

والمعنىٰ: أبدلني من عدم قبول المخالطين لي أو من تخطئتهم لي حسن معاشرتهم، أو من ردّي لهم حسن معاشرتي إيّاهم.

قوله عليه السّلام: «ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمنة» فيه استعارة مكنيّة تخييليّة، أضمر تشبيه الخوف بالشيء المرّ بجامع الكراهة، وأثبت له المرارة التي هي من لوازم المستعار منه تخييلاً، وكذلك أضمر تشبيه الأمنة بالشيء الحلو بجامع اللذّة، وأثبت له الحلاوة تخييلاً.

والأمنة بالتحريك: الأمن، وفي رواية بالتسكين، والأولىٰ هي المشهورة وهي الموافقة للتنزيل، قال تعالىٰ: «إذ يُغشيّكم النعاسَ أمَنةً منه»(٢)، وقال تعالى: «أمَنةً نُعاساً»(٣).

---

(١) سورة القصص: الآية ١٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

....

تنبيهات

الأوّل: إضافة مدخول «من» في هذه الفقرات ماعدا الأخيرة، تحتمل أن تكون من باب الإضافة إلىٰ الفاعل، وأن تكون من باب الإضافة إلى المفعول. وقد يرجّح الثاني بمناسبته لعنوان الدعاء من كونه لطلب مكارم الأخلاق؛ ليكون الغرض من الدعاء إبدال ماساء من أخلاقه بالحسن، على أنّ جعله من الأوّل لاينافي عنوان الدعاء، إذا حمل الإبدال علىٰ معنىٰ طلب الاستعداد للتخلّق بما يقتضي إبدال أهل الشنآن ببغضهم له محبّتهم إيّاه مثلاً، وقس علىٰ ذلك سائر الفقرات، أو حمل المبدل على كونه حاصلاً منه لامنهم، فيكون من باب مقابلة الإساءة بالإحسان وهو من معالي الأخلاق.

الثاني: كلّ من هذه الفقرات يحتمل أربعة معان، باعتبار احتمال كون مدخول «من» في كلّ منها مضافاً إلى الفاعل وإلى المفعول، وكون المبدل حاصلاً إمّا منه أومنهم. وتختصّ الفقرة الأُولىٰ بزيادة احتمال أربعة معانٍ أُخرىٰ؛ لاحتمال كون المحبّة من الله له وكونها منه لله تعالىٰ، فتكون معانيها المحتمله ثمانية حاصلة من ضرب اثنين في أربعة.

الثالث: مدار هذا الفصل من الدعاء علىٰ طلب الأُلفة بينه وبين الناس من الأجانب والأقارب، وهي من أعزّ المطالب شرعاً وعرفاً؛ لاقتضائها صلاح حال الدنيا والآخرة؛ لأنّ الإنسان مدنيّ بالطبع، فلاغناء له في تعيّشه من التمدّن، وهو اجتماعه مع بني نوعه؛ لافتقاره في تحصيل مآربه إلى معاونتهم ومشاركتهم؛ إذ لايمكن الإنسان الواحد القيام بجميع مايحتاج إليه من الضروريّات التي لابقاء له بدونها، وتلك المعاونة والمشاركة لاتتمّ إلّا بائتلاف واجتماع ومعاشرة، ولايستقيم ذلك إلّا بتحقّق الروابط بينهم، وهي لا تتمّ إلّا بنفي الضغائن والاحقاد والحسد

....

ونحو ذلك، وذلك مستلزم لتعاون الهمم وتصافي البواطن والاجتماع علىٰ الأُلفة والمحبّة وأنس بعضهم، فتستقيم أُمورهم بتعاونهم وتتراح مضارّهم بتناصرهم، فمن منح الأُلفة من الناس تمّ له نفعهم إيّاه، وعدم مضرّتهم له، وميل قلوبهم إليه، وأُنسهم به، ومدافعتهم عنه، وفي ذلك صلاح دنياه وآخرته؛ ولذلك حثّ الشارع علىٰ الأُلفة والاتّحاد.

حتّى قال العلماء: إنّ سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنواهي لايتمّ إلّا بها؛ ولذلك عظّم الله تعالىٰ المنّة بإيقاع الأُلفة بين أهل الملّة، فقال: «لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألّفتَ بين قلوبهم ولكن الله ألّفَ بينهم»(١)، وذلك أنّهم بالأُلفة يكونون بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه، ولأجلها شرّع الله تعالى اجتماع الخلق علىٰ الصلاة في المساجد في كلّ يوم خمس مرّات وفي كلّ اسبوع مرّة في المسجد الأعظم، وفي كلّ سنة مرّتين في الأعياد، وفي العمر مرّة بمكّة لاجتماع أهل البلدان النائية، كلّ ذلك ليتأكّد باجتماعهم الأُلفة والإتّحاد، وتقع بسببه المحبّة والوداد، والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً.

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسندٍ صحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه كان يقول لأصحابه: اتّقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابيّن في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه(٢).

وبسندٍ صحيح عنه عليه السلام أنّه قال: يحقّ علىٰ المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون علىٰ التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض، حتّىٰ تكونوا كما أمركم الله عزّوجلّ، «رحماء بينهم» متراحمين، مغتمّين لماغاب عنكم من أمرهم علىٰ ما مضىٰ عليه معشر الأنصار علىٰ عهد رسول الله

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٧٥ ح ١.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، واجْعَلْ لي يَداً عَلىٰ مَنْ ظَلَمني، وَلِساناً عَلىٰ مَنْ خاصَمَني، وَظَفراً بِمَنْ عانَدَني، وَهَبْ لي مَكْراً عَلىٰ مَنْ كايَدَني، وَقُدْرَةً عَلىٰ مَنِ اضْطَهَدَني، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَني، وَسَلامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَني، وَوَفِّقْني لِطاعَةِ مَنْ سَدَّدَني، وَمُتابَعَةِ مَنْ أرْشَدَني.

صلّى الله عليه وآله(١) *.

اليد: منع الظلم، والقوّة والقدرة، والسلطان، والغلبة. قيل: ومنه قوله تعالىٰ: «حتّىٰ يُعطُوا الجِزيَةَ عَن يدٍ»(٢) أي: عن قدرة عليهم وغلبة.

واللسان هنا مجاز عن الحجة.

قال الزمخشري في الأساس: فلان ينطق بلسان الله أي: بحجّته وكلامه(٣).

وظفر بعدوّه وعليه(٤) من باب تعب ـ: غلبه.

وعاند فلان عناداً: إذا ركب الخلاف والعصيان.

وفي الأساس: رجل عنيد ومعاند: يعرف الحقّ فيأباه ويكون منه في شقّ، من العند وهو الجانب(٥).

والمكر: الخديعة، مكر مكراً ـ من باب قتل ـ فهو ماكر، ومكر الله: جازىٰ على المكر، وسمّي الجزاء مكراً كما سمّي جزاء السيّئة سيّئة علىٰ سبيل مقابلة اللفظ باللفظ، ويسمّىٰ مشاكلة، وعلىٰ هذا المعنىٰ يحمل المكر المطلوب هنا.

وقال الراغب: المكر والخديعة متقاربان، وهما اسمان لكلّ فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره. وذلك ضربان:

أحدهما: مذموم وهو الأشهر عند الناس، وذلك أن يقصد فاعله إنزال مكروه

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٧٥ ح ٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) أساس البلاغة: ص ٥٦٤.

(٤) (ج): غلبه.

(٥) أساس البلاغة: ص ٤٣٦.

....

بالمخدوع. وإيّاه قصد النبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله: المكر والخديعة في النار، والمعنىٰ: يؤدّيان بقاصدهما إلى النار.

والثاني: عكس ذلك، وهو أنّ يقصد فاعلهما إلىٰ استجرار المخدوع والممكور به إلى مصلحة لهما، كما يفعل بالصبي إذا امتنع من فعل خير.

قال بعض الحكماء: المكر والخديعة محتاج إليهما في هذا العالم، وذلك أنّ السفيه يميل إلىٰ الباطل، ولايقبل الحقّ ولايميل إليه لمنافاته لطبعه، فيحتاج أنّ يخدع عن باطله بزخارف مموّهة خدعة الصبي عن الثدي عند الانفطام؛ ولهذا قيل: سفسط فإنّ الدنيا سوفسطائيّة، وليس هذا حثّاً على الخبث بل هو حثّ على جذب الناس إلى الخير بالاحتيال؛ ولكون المكر ضربين سيّئاً وحسناً قال الله تعالى: «ولا يحيقُ المكرُ السّيّءُ إلّا بأهلِهِ»(١)، وقال: «افأمِنَ الّذينَ مَكروا السيّئاتِ»(٢)، فخصّ السيّ من المكر تنبيهاً علىٰ جواز المكر الحسن، ووصف نفسه بالمكر الحسن فقال: «ومَكَروا ومكرالله والله خيرُ الماكِرينَ»(٣)، إنتهىٰ(٤).

وعلىٰ هذا، فالمكر المطلوب هو المكر الحسن.

والكيد والمكر في اللغة بمعنىٰ واحد، يقال: كاده وكايده: إذا مكر به وخدعه.

وقال الراغب: الكيد: إرادة متضمّنة لاستتار ما يراد عمّن يراد به، لكن أكثر ما يستعمل ذلك في الشرّ ومتىٰ قصد به شرّ فمذموم، ومتى قصد به خير فممدوح، وعلى الوجه المحمود قال تعالى: «كذلك كدنا ليوسفَ»، إنتهى (٥).

والمراد به هنا الأوّل:

---

(١) سورة فاطر: الآية ٤٣. (٢) سورة النحل: الآية ٤٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٤.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٨٨.

(٥) الذريعة: إلى مكارم الشريعة: ص١٨٩.

....

والاضطهاد: افتعال من الضهد، وللطاء مبدلة من التاء.

يقال: ضهده واضطهده: إذاقهره فهو مضهود ومضطهد.

وقصبه قصباً -من باب قتل-: عابه وشتمه، واصله من القصب بمعنىٰ القطع.

قال في الأساس: قصّبه عابه، ومعناه قطعه باللوم(١).

وتوعّده: تهدّده، والاسم منه الوعيد.

فإن قلت: في هذا الفصل من الدعاء ماينافي مكارم الأخلاق؛ فإنّه عليه السّلام سأل الاستعداد للقوّة على الانتقام ممّن أساء إليه، وحسن الخلق وكرمه يقتضي العفو والإعراض بل مقابلة الإساءة بالإحسان.

كما روي من الخبر المشهور بين الخاصّ والعامّ: أنّ جبرئيل عليه السّلام جاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال: أتيتك يا محمّد بمكارم الأخلاق أجمعها، قال: وما تلك؟ قال: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، يا محمّد هي أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك. فأحسن صلّى الله عليه وآله تقبّله وتلقّيه حتّىٰ نزل قوله تعالىٰ ثناءً عليه: «وإنّكَ لعلىٰ خلقٍ عظيم»(٢).

والأخبار والآثار في هذا المعنىٰ أكثر من أنّ تحصر وأشهر من أن تذكر.

قلت: ليس في الدعاء ماينافي الخبر، وبيان ذلك: أنّ من الظلم والإساءة مايحسن العفو عنه، ومنه مالا يحسن إلّا دفاعه.

فالأوّل: ماليس علىٰ الإنسان في تحمّله والتغاضي عنه ذلّة وغضاضة ولا عاز ودناءة، فهذا ممّا يحسن العفو عنه والحلم عليه، وهوالذي يقتضيه حسن الخلق وكرمه.

والثاني: ماأدّىٰ إلىٰ دنيّة وعار، فهذا ممّا لايحسن إلّا دفاعه والكفّ عنه، وهو

---

(١) أساس البلاغة: ص٥٠٩.

(٢) مجمع البيان: ج٣٠٤ ص٥١٢.

....

المسمّىٰ بإباء الضيمّ، وأنفة العار، وحماية الحريم، والأخذ بالثار، وعن هذا قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: لاخير فيمن لا يغضب إذا أُغضب(١).

وقال تعالى حاكياً عن نبيّه لوط عليه السّلام في التأسّف علىٰ عجزه عن دفاعه: «لو أنّ لي بكم قوّةً أو آوي إلىٰ ركنٍ شَديدٍ»(٢).

وقالت الحكماء: إنّ القوّة الغضبيّة إذا تركّبت مع العقل استقام أمر الحماية والدفاع والأخذ بالثار، وكان صاحبه عدلاً في اقتداره محموداً في انتصاره(٣). وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار الجعدي بقوله:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذ لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا(٤)

وقال أبو الطيّب:

إذا قيل حلماً قال للحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل (٥)

ومن هنا قالت العلماء: يجب التدبّر في أمر الإساءة والظلم، فإن كان ممّا يسعه العفو والتجاوز كفىٰ فيه العتاب، والعدل والعفو أحسن وأولىٰ وهو أقرب للتقوىٰ، وإن لم تسمح السياسة بالتجافي والصفح عنه وجبت العقوبة بقدر الذنب لا بقدر التشفّي.

إذا عرفت ذلك، فما سأله عليه السّلام من اليد واللسان والظفر والاقتدار، إنّما أراد به ما يقتضيه إباء الضيم وأنفة العار، وهو من أعلى معالي الأخلاق لا منافٍ لها، والله أعلم.

---

(١) و(٣) نعثر عليه.

(٢) سورة هود. الآية ٨٠.

(٤) أدب الدين والدنيا: ص ٢٤٩، عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٨٥.

(٥) ديوان أبي الطيّب المتنبي: ص ٣١.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَسَدِّدْني لِأَنْ أُعارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بِالبِرِّ، وأُثِيبَ مَنْ حَرَمَني بِالبَذْلِ، وَأُكافيَ مَنْ قَطَعَني بِالصِّلَةِ وَأُخالِفَ مَنِ اغْتابَني إلى حُسْنِ الذِّكْرِ، وأنْ أَشْكُرَ الحَسَنَةَ، وأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

قوله عليه السّلام: «و وفّقني لطاعة من سدّدني ومتابعة من أرشدني» سدّده تسديداً: قوّمه، وأراه للسداد، وهو الصواب من القول والعمل.

وأرشده إرشاداً: هداه إلى مافيه صلاحه عاجلاً وآجلاً.

وفي هذه الفقرة تنبيه علىٰ وجوب انقياد المتعلّم للمعلّم وائتمار المستفيد للمفيد، فقد قيل: من حقّ المتعلّم إذا وجد معلّماً ناصحاً أن يأتمر له ولايتأمّر عليه ويتابعه ولا يراجعه. وكفىٰ تنبيهاً علىٰ ذلك ماحكىٰ الله عن العبد الصالح أنّه قال لموسىٰ عليه السّلام حيث قال: «هل اتّبعك علىٰ انّ تُعلّمن ممّا عُلّمتَ رُشداً»(١) فقال له: «لا تسئلني عن شيءٍ حتّىٰ أُحدث لكَ منه ذِكراً»(٢)، فنهاه عن مراجعته في متابعته.

فيجب علىٰ المتعلّم تلقّي ما يلقيه معلّمه بالقبول، ويطيعه ويتّبعه في جميع مايقول، كما انّ من حقّ المريض أن يكل أمره إلى الطبيب الناصح الذي وقف علىٰ دائه، ويسمع له ويطيع فيما يأمره من دوائه وغذائه؛ فإنّ العلماء أُساة الأمراض الروحانيّة، كما أنّ الأطبّاء أُساة الأمراض الجسمانيّة *.

قال الزمخشري في الأساس: اللّهم سدّدني أي: وفّقني (٣).

وعارض الشيء بالشيء معارضةً: قابله به.

وغشّه غشّاً -من باب قتل-: لم ينصحه وزيّن له غير المصلحة، والاسم الغشّ بالكسر.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦. (٢) سورة الكهف: الآية ٧٠. (٣) أساس البلاغة: ص٢٩٠.

....

ونصحت لزيد أنصح -من باب منع- نُصحاً بالضمّ، هذه اللغة الفصحىٰ وعليها التنزيل، وفي لغة يـعدّىٰ بنفسه، والإسم النصيحة. وهي كلمة جامعة معناها إرادة الخير للمنصوح لـه قولاً أو فعلاً، من نصـحت العسل: إذا صفّيته من الشمع،شبّهوا تخليص القول أو الفعل من الغشّ بتخليص العسل من الشمع.

وجزيته بفعله وعلىٰ فعله: إذا فعلت معه ما يقابل فعله.

وهجرته هجراً -من باب قتل-: تركته ورفضته فهو مهجور، وهجرت الإنسان: قطعته، وهما يتهاجران ويهتجران: يتقاطعان. والبرّ بالكسر: الصلة، والخير، والفضل، وضدّ القطيعة والعقوق.

وأثابه يثيبه: جازاه على صنيعه، والاسم الثواب، ويكون في الخير والشرّ، والأوّل أكثر.

وحرمه معروفه-من باب ضرب- يتعدّىٰ إلىٰ مفعولين حرماً وحرماناً بكسرهما: منعه إيّاه، ولم يذكر المفعول الثاني؛ لأنّ القصد الإعلام بمجرّد إيقاع الفعل، فالمعنىٰ: من حصل منه الحرمان لي، فالمفعول غير منوي.

وبذل بذلاً -من باب قتل-: **سمح وأعطى** عن طيب نفس.

وكافيته على صنيعه: جازيته: يهمز ولا يهمز.

والقطع والقطيعة: ضدّ الوصل، وتقاطع القوم: تصارموا، وقطع رحمه: إذا ترك برّها ولم يصلها.

ووصل رحمه وصلاً وصلةً: برّها وتعطّف عليها وأحسن إليها، فكأنّه بالإحسان وصل مابينه وبينهم من القرابة، والهاء من الصلة عوض عن الواو.

وخالفت زيداً إلى كذا: إذا قصدته وهو مولٍ عنه، وخالفته عن كذا: إذا كان الأمر على العكس.

فمعنىٰ «أُخالف من اغتابني إلىٰ حسن الذكر»: أقصد حسن الذكر بعد ماولّى

....

عنه وأستبدّ به دونه، ومنه قوله تعالى: «وما أُريدُ أن أُخالِفَكم إلىٰ ما أنهاكم عنه»(١).

واغتابه اغتياباً: إذا ذكره بما يكره من العيوب وهو حقّ، والاسم الغيبة بالكسر، فإن كان باطلاً فهو البهت والبهتان، وسيأتي الكلام عليها مستوفى عن قريب في هذه الروضة إن شاء الله تعالى. وذكر الشيء بالكسر: إجراؤه على اللسان.

وقال الواحدي: معنىٰ الذكر حضور المعنىٰ في النفس، ثمّ يكون تارةً بالقلب وتارةً بالقول، وليس شرطه أن يكون بعد نسيان (٢).

والمراد بحسن الذكر: الثناء على الإنسان في غيبته، ووصفه بما يسرّه من تعديد محاسنه.

والحسنة: من الصفات الجارية مجرىٰ الأسماء، وهي كلّ ما يتعلّق به المدح في العاجل والثواب في الآجل، وضدّها السيّئة.

وأغضىٰ الرجل عينه إغضاءً: قارب بين جفنيها، ثمّ استعمل في الحلم، فقيل: أغضىٰ عن الذنب: إذا أمسك عفواً عنه.

ومدار هذا الفصل علىٰ طلب الاستعداد لمقابلة الإساءة بالإحسان وإبدال الانتقام بالإنعام وهو أشرف مكارم الأخلاق على الاطلاق.

كما رواه ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في خطبة: ألا أُخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك (٣).

---

(١) سورة هود: الآية ٨٨.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١١١.

(٣) الكافي: ج ٢ ص١٠٧ ح١، وفيه: في خطبته.

اللّهُمّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصّالِحينَ، وَأَلْبِسْني زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، في بَسْطِ العَدْلِ، وَكَظْمِ الغَيْظِ، وَإِطْفاءِ النّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الفُرْقَةِ، وَإِصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وَإِفْشاءِ العارِفَةِ، وَسَتْرِ العائِبَةِ وَلِينِ العَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الجَناحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيبِ المُخالَفَةِ، وَالسَّبْقِ إِلىٰ الفَضِيلَةِ، وَإِيثارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَالإِفْضالِ عَلىٰ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَالقَوْلِ بِالحَقِّ وَإِنْ عَزَّ وَاسْتِقْلالِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثارِ الشَّرِّ وَإِن قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَأَكْمِلْ ذٰلِكَ لِي بِدَوامِ الطّاعَةِ، وَلُزُومِ الجَماعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ البِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

وروىٰ ثقة الإسلام أيضاً بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالىٰ الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ثمّ ينادي منادٍ أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمّن ظلمنا، فيقال لهم: صدقتم أُدخلوا الجنّة(١).

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً.

قال بعض العارفين: وقد نبّه الله تعالى علىٰ التنفير من مقابلة السيّئة بمثلها بلطيف من المقال، فقال: «وجزاء سيّئةٍ سيّئةٌ مثلُها»(٢)، فسمّىٰ مجازاً المسيئ على إساءته، وقال: «فمَن اعتدىٰ عليكمُ فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدىٰ عليكم»(٣)، فسمّىٰ المجازي علىٰ الاعتداء معتدياً؛ تنبيهاً على أنّه قد كاد يكون إيّاه *.

حليّت المرأة تحليةً: ألبستها الحلي، والسيف: جعلت له حلية، وتعديته بالباء

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٠٧ ح ٤. (٢) سورة الشورى: الآية ٤٠. (٣) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

....

لتضمينه معنىٰ التزيين، والحلي كظبي.

والحلية بالكسر: ما يزيّن به من مصوغ المعدنيّات أو الحجارة، والحلية بالكسر: السيما والصفة أيضاً، تقول: عرفته بحليته أي: بسيماه وصفته.

فإن حملت الحلية علىٰ معنىٰ الحلي فهي استعارة تصريحيّة والتحلية ترشيح.

وإن جعلت(١) بمعنى السيما والصفة فهي استعارة مكنيّة، أُضمر تشبيه صفات الصالحين وسيماهم وأخلاقهم الفاضلة بالحلي الذي يتزيّن به بجامع الحسن والبهاء، فأُثبت لها التحلية المختصّة بالمشبّه به تخييلاً.

وأمّا قوله عليه السّلام: «وألبسني زينة المتّقين» فهي استعارة تصريحيّة مرشّحة لاغير.

والصالحون: هم القائمون بما يلزمهم من حقوق الله تعالىٰ وحقوق الناس.

والمتّقون: جمع متّقي، اسم فاعل من باب الافتعال، من الوقاية وهي فرط الصيانة.

والتقوىٰ في عرف الشرع: عبارة عن كمال التوقّي عمّا يضرّ في الآخرة.

وقيل: هي اجتناب ما حرّم الله وأداء ما فرض الله.

وقيل: المتّقي من يترك ما لا بأس به حذراً من الوقوع فيما فيه بأس، وقد تقدّم الكلام على مراتب التقوىٰ في الروضة الرابعة،(٢) فليرجع إليه.

وفي: للمصاحبة، أي: مع بسط العدل، نحو «ادخُلوا في أُممٍ»(٣) أي: معهم.

والمعنىٰ: حلّني بحليتهم وألبسني زينتهم مع توفيقي لبسط العدل.

وبسط الثوب بسطاً -من باب قتل-: نشره، ثمّ استعير للشمول بالعدل وبثّه في الخلق.

---

(١) (ج): جعلتها. (٢) ج ٢ ص ٩٣. (٣) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

....

ولمّا كان العدل أصل كلّ خير، وعليه مداركلّ أمر، وبه قامت السماوات والأرض، وهوميزان الله القسط في الدنيا والآخرة، قدّمه في الطلب على سائر المكارم المطلوبة؛ اهتماماً بشأنه وتنبيهاً على علوّ مكانه.

وهو إمّا بالقوّة فهيئة نفسانيّة يطلب بها التوسّط بين الإفراط والتفريط.

وإمّا بالفعل فالأمر المتوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط.

فباعتبار الأوّل قيل: هو أصل الفضائل كلّها، من حيث إنّ صاحبه يكتسب به جميع الفضائل.

وباعتبار الثاني قيل: هو الفضائل كلّها، من حيث إنّه لايخرج شيءمن الفضائل عنه.

وبيانه: أنّ الفضائل كلّها ملكات متوسّطة بين طرفي إفراط وتفريط، فالمتوسط منها هو العدل، كالحكمة النظريّة المتوسّطة بين الجربزة والغباوة، والعفّة المتوسّطة بين خمود الشهوة والفجور، والشجاعة المتوسّط بين الجبن والتهوّر، والسخاء بين التبذير والبخل، والحلم بين المهانة والبطش، والتواضع بين الكبر والذل، والاقتصاد بين الإسراف والتقتير، والإنصاف بين الظلم والانظلام، وقس على ذلك سائر الأخلاق الفاضلة، فالأوساط بين هذه الأطراف المتضادّة هي الفضائل، ولكلّ منها طرفاً تفريط وإفراط وهما مذمومان، والخروج إلى أحدهما هوالجور الذي هو ضدّ العدل، والأطراف المتضادّة هي الرذائل، ومن هنا قيل: خيرالأُمور أوسطها(١).

ثمّ هذا الحكم في العدل جارٍ في باب العقائد أيضاً، كالتوحيد المتوسّط بين التعليل والشرك، والتعويل على الأمر بين الجبر والتفويض، وفي باب الأعمال، كأداء الواجبات والسنن المتوسّط بين البطالة والترهّب.

(١) عوالي اللئالي: ج ١ ص ٢٩٦.

....

وفي باب الأقوال، كالبلاغة المتوسّطة بين العيّ والهذر.

فتبيّن أنّه لايخرج شيءمن الفضائل عنه قولاً وعملاً واعتقاداً.

ولذلك قالوا: هو ميزان الله المتبرّئ من كلّ ذلّة، وصراطه المستقيم المؤدّي بسالكه إليه، وبه يستتبّ أمرالعالم، قال الله تعالى: «الذي أنزل الكتابَ بالحقّ والميزان»(١) وقال تعالى «والسماءَ رَفعها ووضعَ الميزان»(٢)، عبّر بالميزان عن العدل؛ لأنّه من أثره ومن أظهر أفعاله للحاسّة؛ إذا كان العدل مراعاة الاستقامة علىٰ حاقّ الوسط في طرفي الإفراط والتفريط، اللذين هما ككفّتي الميزان مهما رجحت إحداهما فالنقصان لازم والخسران قائم.

وقال عليه السّلام: بالعدل قامت السماوات والأرض(٣)، إذ لوكان شيءمن موجودات العالم وأُصولها زائداً علىٰ الآخر إفراطاً، أوناقصاً عنه تفريطاً، لم يكن منتظماً هذا النظام.

وبيان ذلك: أنّ مقادير العناصر لولم تكن متكافئة متعادلة بحسب الكمّيّة والكيفيّة، لاستولىٰ الغالب علىٰ المغلوب، وانتقلت الطبائع كلّها إلىٰ طبيعة الجرم الغالب، ولوكان بُعد الشمس من الأرض أقلّ ممّا هو الآن لاحترق كلّ ما في هذاالعالم، ولو كان أكثر لاستولىٰ البرد والجمود، وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وبطئها؛ فإنّ كلاّ منهامقدّر على مايليق بنظام العالم وقوامه وقيامه؛ ولهذا المعنىٰ وصف الله سبحانه بالعدل؛ إذ كان معنىٰ عدله وضعه لكلّ موجود في مرتبته، وهبته(٤) له مايستحقّه من غير زيادة ونقصان مضبوطاً بنظام الحكمة.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٧. (٢) سورة الرحمن: الآية ٧ .

(٣) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج ٢٠ ص١٠٣، عوالي اللئالي: ج ٤ ص١٠٣.

(٤) (ج): هيئته.

....

ثمّ الصراط المستقيم المؤدّي بسالكه إلى الله تعالى إمّا علم أو عمل، فالعلم طريق القوّة النظرية، والعمل طريق القوّة العمليّة، وكلّ منهما متوسّط بين رذيلتين هما طرفا الإفراط والتفريط، والوسط منهما هوالعدل، فهو الصّراط المستقيم الذي لاميل له إلى أحد الجانبين.

ولذلك قال العسكري عليه السّلام: الصراط المستقيم في الدنيا هو ماقصر عن الغلوّ وارتفع عن التقصير فلم يعدل إلى شيءمن الباطل، وفي الآخرة هو طريق المؤمنين إلى الجنّة(١).

فمن استقام على هذا الصراط مرّ على صراط الآخرة مستوياً ودخل الجنّة آمناً.

قالوا: ومن فضيلة العدل أنّ الجور الذي هو ضدّه لا يستتبّ إلّا به، فلو أنّ لصوصاً تشارطوا فيما بينهم شرطاً فلم يراعوا العدالة لم ينتظم أمرهم، ومن فضله أنّ كلّ نفس تتلذّذ بسماعه وتتألّم من ضدّه؛ ولذلك يستحسن الجائر عدل غيره إذا رآه أوسمع به؛ ولحسنه تتألم النفوس من كلّ ما كان مركّباً في العالم ليس له نظام مستقيم؛ ولذلك يكره العرج والعود ويتشأّم به.

والذين يجب على الإنسان استعمال العدل معهم خمسة:

الأوّل: ربّ العزّة تعالى وتقدّس، وذلك بمعرفة توحيده وأحكامه والقيام بها.

الثاني: قوى النّفس، وذلك بأن يجعل هواه مستسلماً لعقله، فقد قيل: أعدل الناس من أنصف عقله من هواه.

الثالث: أسلافه الماضون في إنفاذ وصاياهم والدعاء لهم.

الرابع: معاملوه وأحبّاؤه في أداء الحقوق، والإنصاف في المعاملات من المبايعات والمقارضات(٢)والكرامات.

---

(١) معاني الأخبار: ص٣٣.

(٢) (ج): والمعاوضات.

....

الخامس: عامّة الناس على سبيل الحكم، وذلك إذا تولّىٰ الحكم بينهم، امّا إذا كان الحكم بينه وبين غيره وكان الحقّ له فالفضل أشرف من العدل، وقد نصّ الله سبحانه على الأمرين، فقال في الحكم بين الناس: «اِنّ الله يَأمُركم أنْ تُؤدّوا الأماناتِ إلىٰ أهلِها وإذا حَكمتم بينَ الناسِ أنْ تحكُموا بالعدِل»(١)، وقال فيمن له الحقّ: «وأنْ تَعفوا أقربُ للتقوىٰ ولا تنسَوا الفضلَ بينَكم»(٢).

قوله عليه السّلام: «وكظم الغيظ» كظم غيظه كظماً ـ من باب ضرب ـ: إذا أمسك علىٰ ما في نفسه منه ولم يظهره لابقول ولابفعل، وأصله من كظم القربة: إذا ملأها وشدّ فاها، كأنّه كتم غيظه علىٰ امتلائه وردّه في جوفه وكفّه عن الإمضاء.

والفرق بين الغيظ والغضب: أنّ الغضب ضدّ الرضا، وهو إرادة العقاب المستحقّ لمقت الله بالمعاصي، وليس كذلك الغيظ؛ لأنّه هيجان الطبع بتكرّه مايكون من المكروه؛ ولذلك يقال: غضب الله علىٰ الكفّار ولايقال: اغتاظ منهم.

وقيل: الغيظ: أشدّ الحنق، ولايكون إلّا بوصول مكروه إلى المغتاظ؛ ولذلك رسم كظم الغيظ بأنّه الإمساك عن المبادرة إلى قضاء وطر الغضب فيمن يجنى عليه جناية يصل مكروهها إليه، وهو من معالي الأخلاق ومكارم الخصال، ولو لم يرد في فضله إلّا نصّ قوله تعالى: «والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن الناسِ والله يُحبُّ المحسنينَ»(٣) لكفىٰ، والأخبار في الحثّ عليه والإرشاد إليه أكثر من أن تحصىٰ.

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام بسنده إلى عليّ بن الحسين ـ صاحب الدعاء ـ عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مِن أحبّ السبيل إلى الله

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

....

تعالى جرعتان، جرعة غيظٍ تردّها بحلم، وجرعة مصيبةٍ تردّها بصبر(١).

وعنه عليه السّلام بسند صحيح أنّه قال: ما أحبّ أنّ لي بذلّ نفسي حمر النعم، وما تجرّعت من جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا أُكافي بها صاحبها(٢).

وعن أبي جعفر عليه السّلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدّر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: من كظم غيظاً ولوشاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه(٤).

وعنه عليه السّلام: ما من جرعة يتجرّعها العبد أحبّ إلى الله من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه، إمّا بصبر أو بحلم(٥).

وأعجب قصّة تذكر في كظم الغيظ وإطفاء نائرة الغضب قصّة ذي الكفل؛ فإنّ اليسع عليه السّلام قال ذات يومٍ لقومه: إنّه قد وهن العظم وضعف الجسم وتخاذلت القوىٰ وتقاصرت الخطىٰ وارتفع السنّ وتقعقع الشنّ، وها أنا واقف علىٰ ثنيّة الوداع من الدنيا ومتوجّه عنها إلى الدار الأُخرىٰ فلو استخلفت عليكم من أرتضي عمله، فحمدوا رأيه ورضوا قوله، فجمع أصحابه وقال: من يكفل لي بأن يظلّ نهاره صائماً، ويبيت ليله قائماً، ولايغضب على الناس إذا ألحّوا عليه مخاصمين، ويكظم غيظه إذا أضجروه(٦) محاكمين، حتّىٰ أوليّه عليهم؟ فقام إليه رجل ينبو عنه البصر ويغمض عن النظر، فقال: أنا ذلك، ثمّ أعاد القول ثانياً وثالثاً فقام القائم أوّلاً، فقال له: أتكفل لي بذلك؟ فكفل له، فكان يدأب النهار في الصيام

---

(١) الكافي: ج٢ ص١١٠ ح٩.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٠٩ ح١.

(٣) الكافي: ج٢ ص١١٠ ح٧.

(٤) الكافي: ج٢ ص١١٠ ح٦ وفيه: أملأ الله

(٥) الكافي: ج٢ ص١١١ ح١٣، وفيه: وإمّا بحلم.

(٦) (ج): إذا ضجروه.

....

والليل في القيام، ويقضي بين الناس من مطلع الفلق إلى مغرب(١) الشفق، سوى ساعة يقيلها عند قائمة الهواجر والتهاب وقدة الظهائر، فجاءه الشيطان في صورة شيخ ضعيف في وقت قائلته، وفاوضه في ذكر ظلامته وأطال حتّى فاتته القائلة، فقام ذوالكفل وقال: إنّي متوضّئ لصلاتي وعائد إلى مجلسي فأحضر خصمك لأعديك عليه وآخذ بحقّك منه، فلم يره يومه فبات واجماً له ليله، وأصبح من غده قاضياً بين الناس حتّى انتصف النهار وبلغت الشمس كبد السماء، فعاد إلى منزله ليجمّ باستراحة إعيائه(٢) ويريح بغفوة أعضائه، إذ دقّ عليه الشيطان الباب في يومه وأيقظه من غرار نومه، فقال: أين كنت بالأمس وما أخرّك عن محضر الناس؟ فقال: إنّ قومي أخبث قوم، قالوا: نعطيك حقّك اليوم ثمّ اعتلّوا عليّ ومطلوني ولووا ديني وجحدوني(٣) فطوّل القول حتّى فاتته القائلة، فقام وتطهّر وجلس للناس ينتظر الشيخ فلم يحضر، وانصرف من غده إلى منزله ليقيل عل رسمه، وقال لبوّابه: لم تلتق أجفاني منذ ثلاثة أيّام ولا بدّ للتعب المكدود من جمام، فلا تأذن لأحد عليّ ولا تدعه يدخل إليّ، ريثما أقيل ساعة وأجد ممّا عراني استراحة، فجاء الشيطان فحجبه البوّاب فلم يمتنع، ودخل الدار فأيقظه، فحين همّ أن يستخفه الغيظ ثبّته الله وعصمه فصبر عليه كاظماً، ونكص الشيطان على عقبيه رغماً، فذلك قوله عزّوجلّ: «واذكر إسماعيلَ واليَسعَ وذاالكفلِ وكلٌّ من الاخيار»(٤)، وقوله تعالى: «وإسماعيلَ وإدريسَ وذاالكِفل كلٌّ من الصابرينَ»(٥) (٦).

قوله عليه السّلام: «وإطفاء النائرة» طفئت النار تطفأ بالهمز ـ من باب تعب ـ طفوأ على وزن فعول: خمدت، وأطفأتها إطفاءً، ومنه: أطفات الفتنة: إذا سكّنتها

(١) (ج): غروب الشفق.
(٢) الاعياء: التعبّ والكلّ.
(٣) (ج): وجحدوني.
(٤) سورة ص: الآية ٤٨.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٨٥.
(٦) آداب النفس: ج ٢ ص ٦٩.

....

علىٰ الإستعارة، ونارت الفتنة تنور: إذا وقعت وانتشرت فهي نائرة، وسعيت في إطفاء النائرة أي: في تسكين الفتنة.

والنائرة أيضاً: العداوة والشحناء، وهي مشتقّة من النار.

يقال: بينهم نائرة أي: عداوة و بغضاء.

قوله عليه السّلام: «وضمّ أهل الفرقة» ضممته ضمّاً فانضمّ: جمعته جمعاً فانجمع.

والفرقة بالضمّ: اسم من افترق القوم إذا انفصل بعضهم عن بعض بالأبدان، وقد تستعمل في تفرّق القلوب وانحراف بعضها عن بعض مجازاً، وهو المراد هنا.

فضمّ أهل الفرقة عبارة عن التأليف بين أرباب القلوب المتنافرة، وإيقاع المحبّة بين الأنفس المتباغضة؛ لينعقد حبل اُلفتهم التي هي من أعظم الأسباب في استعدادهم لسعادتي الدنيا والآخرة؛ ولذلك عظّم الله تعالىٰ المنّة بإيقاع التأليف بين أهل الملّة، فقال: «لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ماألّفتَ بينَ قلوبِهم ولكنّ اللهَ ألّفَ بينَهُمْ» (١).

قوله عليه السّلام: «وإصلاح ذات البين» قال الفيومي في المصباح: البين بالفتح من الأضداد، يطلق على الوصل وعلى الفرقة، ومنه: ذات البين للعداوة والبغضاء، وقولهم: لإصلاح ذات البين أي: لإصلاح الفساد بين القوم، والمراد: إسكان النائرة(٢)، إنتهىٰ.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: «وأصلِحوا ذاتَ بينكم» أي: أحوال بينكم، يعني مابينكم من الأحوال، حتّىٰ تكون أحوال اُلفة ومحبّة واتّفاق، كقوله تعالى: «بذاتِ الصدورِ» وهي مضمراتها، لـمّا كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها:

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

(٢) المصباح المنير: ص٩٧.

....

ذات البين، كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب(١)، إنتهىٰ.

وقال الزجاج: البين هنا بمعنىٰ الوصل، أي: أصلحوا حقيقة وصلكم، كقوله تعالى: «لقد تقطّعَ بينكم» في قراءة الرفع، أي: وصلكم، والمراد: كونوا مجتمعين على ما أمرالله ورسوله، وكذلك معنىٰ اللّهم أصلح ذات البين، أي: أصلح الحال التي يجتمع بها المسلمون(٢)، إنتهىٰ.

فـ «ذات» علىٰ التفسير الأوّل بمعنىٰ صاحبة، وعلىٰ هذا التفسير بمعنىٰ حقيقة الشيء ونفسه.

والبين بالمعنىٰ الأوّل ظرف، وبهذا المعنىٰ اسم مرادف للوصل.

وقول صاحب القاموس: ذات بينكم أي: حقيقة وصلكم، أو ذات البين: الحال التي يجتمع بها المسلمون(٣)؛ لا وجه فيه للترديد المشعر بالمغايرة، لأنّ المعنىٰ الثاني تفسير للأوّل؛ إذ الحال التي يجتمع بها المسلمون هي حقيقة الوصل، كما هو صريح تفسير الزجاج القائل بأنّ معنىٰ ذات البين حقيقة الوصل، فتأمّل(٤).

وظهر من نقل هذه الأقوال أنّ قوله عليه السّلام: «وإصلاح ذات البين» يحتمل ثلاثة معانٍ:

أحدها: إصلاح الفرقة، على انّ البين بمعنىٰ الفرقة، والمراد بالفرقة: الخصومة والمنازعة والعداوة والبغضاء.

وذات: إمّا بمعنىٰ صاحبة، أي: الحالة المقتضية لبينهم، أو بمعنىٰ الحقيقة

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥١٨، نقلاً عن الزجاج. (٣) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٤٠٩.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص ١١٣، وراجع مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥١٨ نقلاً عن الزجاج.

....

والنفس، أي: الحالة التي تقع بها الفرقة.

الثاني: إصلاح ما بين الناس من الأحوال حتّىٰ تكون أحوال ألفة ومحبّة، على أنّ البين ظرف، كما ذكره صاحب الكشّاف (١).

الثالث: إصلاح الوصل كما قاله الزجاج(٢)، فكيون الإصلاح بمعنىٰ السعي في كونهم علىٰ ماهم عليه من الألفة.

وخير هذه الأحتمالات أوسطها، وهوالذي عليه جمهورالمفسّرين في معنىٰ الآية.

وإصلاح ذات البين من أشرف معالي الأخلاق، وقد نصّ الله تعالى عليه بقوله تعالى: «فاتّقوا الله وأصلِحوا ذاتَ بينكُمْ وأطيعواالله ورسولَه إن كنتُم مؤمنين»(٣).

قال بعض المفسّرين: توسيط ألامر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوىٰ والأمر بالطاعة؛ لإظهار كمال العناية بالإصلاح (٤).

وفي الحديث عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: إصلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام(٥).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: صدقة يحبّها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا (٦).

وعنه عليه السّلام في قوله تعالى: «ولا تجعلوا الله عُرضَةً لأيمانِكم أن تبرّوا وتتقوا وتُصلحوا بين الناسِ» قال: إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل علَيّ يمين ألّا أفعل(٧).

---

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) راجع مجمع البيان: ج ٣- ٤ ص ٥١٨، نقلاً عن الزجاج.

(٣) سورة: الأنفال: الآية ١.

(٤) تفسير روح المعاني: ج ٩ ص ١٦٤.

(٥) بحارالأنوار: ج ٧٥ ص ٢٤ ح ٣، وفيه: صلاح.

(٦) الكافي: ج ٢ ص ٢٠٩ ح ١.

(٧) الكافي: ج ٢ ص ٢١٠ ح ٦.

....

قوله عليه السّلام: «وإفشاء العارفة وستر العائبة» فشا الأمر فشو وفشوّاً: ظهر وانتشر، وأفشيته إفشاءً: أظهرته ونشرته.

والعارفة: المعروف، وهوالخير والإحسان والجميل وكلّ مايحسن في العقل والشرع.

والعائبة: فاعلة من عاب الشيء-لازماً- أي: صار ذاعيب، أي: الخصلة ذات العيب.

والمراد: نشر محاسن المؤمنين وستر معايبهم.

وقد يقال: ستر العائبة إنّما يحسن إذا وقعت من ذوي الهيئات الحسنة و(١) ممّن لم يعرف بأذى ولافساد في الأرض، وأمّا المولعون بذلك الذين ستروا غير مرّة فلم يكفّوا، فلا يبعد القول بكشف عيبهم؛ لأنّ الستر عليهم من المعاونة على المعاصي.

وستر عيب من يندب إلى ستره إنّما هو في معصية مضت، وأمّا معصية هو متلبّس بها، فلا يبعد القول بوجوب المبادرة إلى إنكارها والمنع منها لمن قدر عليه، فإن لم يقدر رفع إلى أُولي الأمر مالم يؤدّ إلىٰ مفسدة أشدّ.

وأمّا جرح الشاهد والرواة والأُمناء علىٰ الأوقاف والصدقات وأموال الايتام فيجب الجرح عندالحاجة إليه، لأنّه يترتّب عليه أحكام شرعيّة. ولو رفع إلى الامام ماينـدب السرّ فيه لم يأثم، إذا كانت نيّته رفع معصية الله تعالىٰ لاكشف ستره، وجرح الشاهد إنّما هو عند طلب ذلك منه، أو يرىٰ حاكماً يحكم بشهادته وقد علم منه مايبطلها، فلا يبعد القول برفعه، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «ولين العريكة وخفض الجناح» العريكة: الطبيعة، يقال: فلان ليّن العريكة: إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور، وفي صفته

---

(١) (ج): أو ممّن.

....

صلّى الله عليه وآله: أصدق الناس لهجة وألينهم عريكة(١).

وقال الزمخشري في الأساس فلان ليّن العريكة: إذا كان سلساً، وأصله في البعير، والعريكة: السنام(٢)، إنتهىٰ.

وعلىٰ هذا فهو استعارة، كخفض الجناح المستعار للتواضع، والأظهر والأبلغ أنهما استعارتان تمثيليّتان علىٰ تشبيه الحالة بالحالة، من غير اعتبار استعارة في المفردات، فيكون لين العريكة تمثيلاً لسلاسة الطبيعة وانقيادها بلين سنام البعير، وخفض الجناح تمثيلاً للتواضع والانة الجانب بخفض جناح الطائر، فالعريكة والجناح مستعملان في معناهما، والمشبّه إحدىٰ الحالين(٣) بالأُخرىٰ.

ويجوز أن تكون لين العريكة للطبيعة، واللين استعارة لسلاستها وانقيادها، أوترشيحاً لاستعارة العريكة، وكذلك الجناح استعارة للجانب، والخفض استعارة لإلانته وإذلاله، أو ترشيحاً لاستعارة الجناح بما يناسبه، فتكون الإستعارة في المفردات.

والأوّل هو مختار صاحب الكشاف حيث قال: الطائر إذا أراد أن ينحّط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجعل خفض جناحه مثلاً في التواضع ولين الجانب(٤)، إنتهىٰ.

وذكر القفال في معنىٰ خفض الجناح وجهين: أحدهما: ماذكره صاحب الكشاف وهو المشهور.

والثاني: أنّ الطائر إذا أراد ضمّ فرخه إليه للتربية خفض له جناحيه؛ فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسّن التدبير(٥)، إنتهىٰ.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٢٢٢. مكارم الأخلاق: ص ١٨.

(٢) أساس البلاغة: ص ٤١٧.

(٣) (ج): الحالين.

(٤) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٣٤٠.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٢٠ ص ١٩١.

....

قوله عليه السّلام: «وحسن السيرة وسكون الريح وطيب المخالفة» السيرة بالكسر: الطريقة، وهي من سار يسير.

يقال: سار الوالي في الرعيّة سيرة حسنة أو قبيحة.

وسكون الريح: كناية عن الوقار.

قال الزمشخري في الأساس: رجل ساكن الريح أي: وقور(١)، إنتهىٰ.

لمّا كانت الريح معروفة بسرعة الحركة والخفّة، كان سكونها كناية عن الوقار الذي هو الرزانة، فاستعير لفظ الريح للطيش والعجلة بجامع سرعة الحركة. والأبلغ أن يكون ذلك تمثيلاً كما تقدّم في لين العريكة وخفض الجناح.

وكثيراً ما يستعمل سكون الريح في الذمّ، مراداً بالريح الدولة والغلبة والنصرة، ومنه قوله تعالى: «وتذهبَ ريحُكم»(٢) أي: دولتكم وصولتكم، استعيرت الريح للدولة من حيث إنّها في تمشّي أمرها ونفاذه مشبهة لها في هبوبها وجريانها، تقول العرب: هبّت ريح فلان: إذا دالت له الدولة ونفذ أمره، وسكنت ريحه: إذا أدبر أمره، وعليه قول الشاعر:

إذا اهبّت رياحك فاغتنمها فعقبىٰ كلّ خافقة سكون

ولا تبخل إذا أيسرت يوماً فما تدري السكون متىٰ يكون

والمخالقة: مفاعلة من الخلق بالضمّ.

يقال: خالقهم أي: عاشرهم بخلق حسن، ومنه: خالص المؤمن وخالق الفاجر، وخالق الناس ولا تخالفهم، وفي المثل: خالق الفاجر ورافقه في السفر.

قوله عليه السّلام: «والسبق إلىٰ الفضيلة» سبق سبقاً ـ من باب ضرب ـ: تقدّم وخلّف غيره.

---

(١) أساس البلاغة: ص ٣٠٤، مع اختلاف يسير في العبارة. (٢) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

....

قال الفيومي: وقد يكون للسابق لاحق كالسابق من الخيل، وقد لايكون كمن أحرز قصبة السبق فهو سابق إليها ومنفرد بها ولا يكون له لاحق(١)، إنتهىٰ.

والفضيلة والفضل: الخير، وهما خلاف النقيصة والنقص.

وقال في القاموس: الفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل (٢).

إنّما سأل عليه السّلام السبق إلىٰ الفضيلة لفضيلة السبق، قال تعالى: «والسابقونَ السابقونَ * أُولئكَ المقرّبونَ» (٣) أي: السابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم:

* أنا أبوالنجم وشعري شعري *

كأنّه قال: وشعري ما انتهىٰ إليكَ وسمعت بفصاحته، وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل مالايخفىٰ ومن هنا يظهر أنّ جعل السابقين تأكيداً وأُولئك المقرّبون خبراً، ليس بذلك.

والسابقون قيل: هم الذين سبقوا إلىٰ الإيمان والطاعة عند ظهور الحقّ من غير تلعثم وتوان.

وقيل: هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات. وقيل: المسارعون في الخيرات. وأيّاً ماكان فهو مندرج تحت السبق إلىٰ الفضيلة إذا كانت الألف واللام فيها لاستغراق أفراد الجنس، أي: كلّ فضيلة. وإنّما كان السابق إلى الخير أفضل؛ لأنّه يقتدىٰ به في الخير كمن سنّ سنّة حسنة.

وفي الحديث: من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة

---

(١) المصباح المنير: ص ٣٦٠.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣١.

(٣) سورة الواقعة: الآية ١٠ - ١١.

(٤) عوالي اللئالي: ج ١ ص ٢٨٥.

....

قوله عليه السّلام: «وإيثار التفضّل» الإيثار: الاختيار والتفضيل.

يقال: أثرت ذلك أي: اخترته وفضّلته.

والتفضّل: فعل مالا يلزم من الإحسان، ويعبّر عنه بالتطوّل، وليس هو مطلق الإحسان، بل الإحسان قد يكون جزاءً كقوله تعالى: «هل جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ» (١) وقد يكون تفضلاً وذلك إذا كان ابتداءً من غير علّة، كما قال:

وما ذاك إلّا بسطة عن تفضّل عليهم وكان الأفضل المتفضّل

قوله عليه السّلام: «وترك التعيير» هو تفعيل من العار، وهو كلّ شيء يلزم منه عيب.

يقال: عيّرته كذا وعيّرته به: إذا نسبته إلىٰ العار فيه، يتعدّىٰ بنفسه وبالباء، قال المرزوقي في شرح الحماسة: والمختار أنّ يتعدّى بنفسه(٢).

وأنكر صاحب القاموس تعديته بالباء، قال: عيّره الأمر، ولا تقل: بالأمر (٣).

وتبعه بعض أكابر السادة في تعليقته على الصحيفة الشريفة، فقال: والعامّة تقول: عيّره بكذا، وهو خطأ.

وإنكارهما ليس بشيء؛ فقد ورد في الحديث الصحيح تعديته بالباء.

روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسندٍ صحيح عن أبي عبدالله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتّى يركبه(٤).

وفيه شاهد على ذمّ التعيير المسؤول تركه في الدعاء.

قال العلماء: لا ينبغي تعيير مؤمن بشيء ولو كان معصية سيّما علىٰ رؤوس الخلائق، ولا ينافي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ المطلوب منهما أن

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٢) المصباح المنير: ص ٦٠١.

(٣) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٩٨.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٦ ح ٣.

....

يكونا على سبيل النصح، إلّا إذا علم أنّه لاينفعه فينبغي التشديد عليه على النحو المقرّر.

وفي نسخة: «وترك التقتير» من قتّر في الإنفاق تقتيراً، وأقتر إقتاراً. وقتر قتراً وقتوراً ـ من باب ضرب وقعد ـ: إذا ضيّق وقلّل. وهو ضدّ الإسراف، قال تعالىٰ: «والذينَ إذا أنفقوا لم يُسرِفوا ولَم يقتِروا وكان بينَ ذٰلك قَواماً» (١)

قوله عليه السّلام: «والإفضال على غير المستحقّ» عطف على التعيير، أي وترك الإفضال على غير المستحقّ.

يقال: أفضل عليه إفضالاً وتفضّل: إذا تطوّل وأحسن ابتداءً.

واستحقّ فلان الأمر: استوجبه فهو مستحقّ، والأمر مستحقّ بالفتح: اسم مفعول.

والمراد بغير المستحقّ هنا: من لايستوجب الإفضال عليه ولم يكن أهلاً له.

وإنّما سأل عليه السّلام ترك الإفضال عليه؛ لأنّه من الخلق المذموم، إذا كان إسرافاً وتبذيراً ووضعاً للمعروف في غير أهله ومحلّه، وقد تطابق على ذمّ ذلك العقل والنقل.

أمّا العقل، فلأنّه وضع الشيء في غير موضعه وهو خروج عن العقل، وأمّا النقل، فأحسن مايؤثّر في ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قال من جملة كلام خاطب به رهطاً من الشيعة: من كان له مال فإيّاكم والفساد؛ فإنّ إعطاءه في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عندالله، ولم يضع امرئ ماله في غير حقّه وعند غير أهله، إلّا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معه منهم بقيّة ممّن يظهر الشكر له ويريه

(١) سورة الفرقان: الاية ٦٧.

....

النصح فإنّما ذلك منه ملق وكذب، فإن زلّت بصاحبهم النعل ثمّ احتاج إلى معونتهم ومكافاتهم فألأم خليل وشرّ خدين، ولم يضع امرئ ماله في غير حقّه وعند غير أهله، لم يكن له من الحظّ فيما أتىٰ إلّا محمدة اللئام وثناء الأشرار مادام عليه منعماً مفضلاً ومقالة الجاهل ما أجوده، وهو عندالله بخيل، فأيّ حظّ أبور وأخسّ من هذا الحظّ؟ وأي فائدة معروف أقلّ من هذا المعروف؟ فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة، وليحسن به الضيافة، وليفكّ به العاني والأسير وابن السبيل، فإنّ الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا والآخرة(١).

وفي الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام: إذا أردت أن تعلم أشقيّ الرجل أم سعيد، فانظر سيبه ومعروفه إلى من يصنعه، فإن كان يصنعه إلى من هو أهله فاعلم أنّه إلىٰ خير، وإن كان يصنعه إلىٰ غير أهله فاعلم أنّه ليس له عندالله خير(٢).

ومن كلام الحكماء: آفة الجود الخطأ بالمواضع(٣).

وما أحسن قول القائل في هذا المعنىٰ:

لقد ظلم المعروف مانع أصله ... وأظلم منه مخطئ لمواضعه

ومن سفه أن الفتى يبذل الندى ... ويجهل في أقوام أصل صنائعه(٤)

وقال اخر:

وسائل لي عن عثمان قلت له ... هو الجواد ولكن فاسق الجود

غيث الزناة إذا حلّوا بساحته ... وآفة المال بين الزق والعود(٥)

قوله عليه السّلام: «والقول بالحقّ وإن عزّ» القول: الكلام، والمراد بالحقّ هنا:

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٣١ ح ٣.
(٢) الكافي: ج ٤ ص ٣٠ ح ١.
(٣) لم نتحققه.
(٤) لم نعثر عليه.
(٥) لم نعثر عليه.

....

خلاف الباطل، وهوالحكم المطابق للواقع.

والباء: للملابسة، أي: ملتبساً بالحقّ، أو للتعدية بتضمين القول معنىٰ التكلّم، فيجوز أن يراد بالحقّ: القول الواقع بحسب مايجب وفي وقت يجب.

وعزّ: إمّا ماضي يعزّ بفتح العين بمعنىٰ شقّ واشتدّ، يقال: عزّ عليّ ما أصابك أي: شقّ واشتدّ، وإمّا ماضي يعزّ بكسر العين بمعنىٰ قلّ حتّىٰ لايكاد يوجد.

والضمير فيه بالمعنيين إمّا راجع إلىٰ القول أو إلى الحقّ، والمشقّة علىٰ المعنىٰ الأوّل إمّا بالنسبة إلى المقول له(١) وهو الأظهر، وإمّا بالنسبة إلى القائل باعتبار خوف نفار القلوب عنه واحتمال الأذية له.

والمعنىٰ على الثاني: وإن كان الحقّ أو القول به قليلاً لكثرة الباطل وأهله.

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: حقّ وباطل ولكلّ أهل، فلئن أمِر الباطل فقديماً فعل، ولئن قلّ الحقّ فربّما ولعلّ، ولقلّما أدبر شيء فأقبل(٢).

يقال: أمر الشيء ـ من باب علم ـ أمراً وأمرةً بالفتح: أي كثر.

وقوله: «فربّما ولعلّ» وعد بكثرة الحقّ مع تشكيك فيه وتمنّ له، وتمام الكلام استبعاد لرجوع الحقّ إلى الكثرة بعد قلّته على وجه كلّي.

و«إن» من قوله: «وإن عزّ»: هي المسمّاة بالوصليّة، وقد سلف الكلام عليها غير مرّة.

قوله عليه السّلام: «واستقلال الخير» إلى آخره، استقلّ الشيء: عدّه قليلاً، وهو سؤال للتوفيق للاعتراف بالتقصير فيما أتاه ويأتيه من الخيرات قولاً وفعلاً؛ ليخرج من العجب والكسل في كسب الخير، مع ما فيه من الاعتراف بالحاجة والذلّ والعبوديّة؛ لأنّ من استقلّ خير نفسه كان في مقام الذلّ والحاجة والانكسار،

---

(١) (ج): القول. (٢) نهج البلاغة: ص٥٨ الخطب ١٦، وفيه لقديماً... فلربّما.

....

ولا عبوديّة أشرف منها.

قوله عليه السّلام: «واستكثار الشرّ» إلىٰ آخره، سؤال للوقاية من التهاون بما يكتسبه أو اكتسبه من الشّر قولاً وفعلاً. والظاهر من الكثرة والقلّة في الفقرتين بحسب الكمّ، سواء كان الخير أو الشرّ في نفسه كبيراً أو صغيراً، ويحتمل أن يراد بهما بحسب الكيف والمقدار، وأيّاً ما كان ففي الفقرتين تنبيه على أنّ العمل الصادر من العبد إن كان خيراً وطاعة، فليعدّ نفسه مقصرّة في الكمّ والكيف، وإن كان كثيراً بالنسبة إلىٰ وسعه؛ لأنّ ذلك **أدخل(١) في** تعظيم الربّ، وأبعد من العجب والاعتماد عليه، وأقرب إلى البقاء عليه والسعي فيه، ومقام العبوديّة المبنيّة على التذلّل والإعتراف بالتقصير، وإن كان شرّاً ومعصية فليعدّه كثيراً عظيماً، وإن كان قليلاً حقيراً في نفسه؛ لأنّه بالنظر إلى مخالفة الربّ العظيم عظيم كثير، واستقلاله موجب لعدم المبالاة به والاعتناء بشأنه، وسبب للولوع به وإتيانه مرّة بعد أُخرىٰ، حتّىٰ تجتمع عليه شرور عديدة وذنوب كثيرة وتبلغ حدّ الكبيرة.

وفي الحديث عن أبي الحسن الرضا عليه السّلام: لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلّوا قليل الذنوب؛ فإنّ قليل الذنوب يجتمع حتّىٰ يكون كثيراً**(٢)**.

وأعلم أنّ الواقع في أكثر النسخ ذكر القول والفعل معاً في بيان الخير، والاقتصار على الفعل في بيان الشرّ.

فوجّهه بعضهم بما نصّه: يقال: فلان قال خيراً وفعل خيراً، وهذا شائع، وقد يقال: قال شرّاً، وقولهم: فعل شرّاً قليل، فلعلّه عليه السّلام ذكر استكثار الشرّ من الفعل لأنّ المقام مقام استكثار القليل، وإذا حصل استكثار القليل من القليل الذي هو الفعل، فمّا هو كثير بالنسبة إليه بطريق أولىٰ.

---

(١) (ج): أدخر.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٧ ح ٢.

....

ويحتمل أنّه عليه السّلام ذكر القول والفعل معاً في الخير؛ لتمام رغبته فيه وإرادته بجميع أفراده بخلاف الشرّ، إنتهىٰ.

لايخفىٰ ما في الوجه الأوّل من الضعف.

أمّا أوّلاً: فدعواه أنّ قولهم: فعل شرّاً قليل ممنوع، بل قولهم: فعل خيراً وفعل شرّاً سيّان في الشيوع وكثرة الاستعمال، وكفىٰ شاهداً قول أميرالمؤمنين عليه السّلام في نهج البلاغة: فاعل الخير خير منه، وفاعل الشرّ شرّ منه(١).

وفي الخبر: أنّ لله ملكاً ينادي يا فاعل الخير أبشر ويا فاعل الشرّ أقصر(٢).

وأمّا ثانياً: فالكثرة والقلّة في الدعاء بالنسبة إلى الوقوع، وما ادّعاه من القلّة بالنسبة إلىٰ التلفظ، وأين أحدهما من الآخر؟.

وأمّا الوجه الثاني فقد يعارض بأنّ الاهتمام بتوقي الشرّ أولىٰ من الاهتمام بطلب الخير، خصوصاً وهوفي مقام السؤال لاستقلال الخير منه.

ثمّ الشرّ من القول أولى بالذكر؛ لتوهّم أكثر الناس أنّه لا يضرّ كما في حديث معاذبن جبل حين قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: كفّ عليكم هذا ـ وأشار إلىٰ لسانه ـ قلت: يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّم به؟ قال: ثكلتك أمّك يا معاذ، وهل يكبّ النّاس علىٰ وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم (٣).

والأولى أنّ يوجّه ذلك بوجهين.

أحدهما: التنبيه على أنّه يجب أن يعدّ القول من الفعل ويجب دخوله(٤) من العمل.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٤٧٤ الحكم ٣٢.

(٢) لم نعثرعليه.

(٣) الترغيب والترهيب: ج ٣ ص ٥٢٨.

(٤) (ج): ويحسب قوله.

....

كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه(١).

وعنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من رأى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه(٢).

وأثر التنبيه على ذلك في جانب الشرّ لمزيد الاهتمام ببيانه فيه حثّاً على التوقّي منه، كما وقع في الحديثين المذكورين.

الثاني: لمّا كان القول أعظم كيفيّة وأكثر كميّة من الفعل؛ لبلوغه مالا يبلغ الفعل ولعمومه من كلّ وجه؛ لأنّ آلته التي هي اللسان لها تصرّف في كلّ موجود و موهوم ومعدوم، وله يدٌ في العقليّات والخياليّات(٣) والمسموعات والمبصرات والمذوقات والملموسات، بخلاف الفعل فإنّ كلّ جارحة سوى اللسان تتعلّق بفعل مخصوص، فهو أقلّ من القول، ذكر عليه السّلام الفعل دون القول؛ لأنّ من استكثر القليل فاستكثاره للكثير أولى.

ويناسب هذا المعنى ما رواه ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يعذّب الله اللسان بعذاب لايعذّب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أي ربّ عذّبتني **بعذاب لم تعذّب** به شيئاً، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام، وعزّتي لأُعذّبنّك بعذاب لاأُعذّب به شيئاً من جوارحك (٤).

وروي أيضاً بسند نقيّ عن **صاحب الدعاء عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما**

---

(١)و(٤) الكافي: ج٢ ص١١٥ ح١٥و١٦.

(٢) الكافي: ج ٢ ص١١٦ ح١٩ (٣) (ج): الخيالات.

....

قال: إنّ لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كلّ صباح، فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: إنّما نثاب ونعاقب بك (١)، والله أعلم.

ومن غريب ما وقع لأبي يوسف يعقوب المعروف بابن السكيت، وكان من أكابر علماء العربيّة وعظماء الشيعة، وهو من أصحاب الجواد والهادي عليهما السّلام، انّه قال في التحذير من عثرات اللسان:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه وعثرته في الرجل تبرأ عن مهل (٢)

فاتّفق أنّ المتوكّل العبّاسي ألزمه تأديب ولديه المعتزّ والمؤيّد، فقال له يوماً: أيّما أحبّ إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إنّ قنبراً خادم عليّ خير منك ومن ابنيك، فقال المتوكّل لأتراكه سلّوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات رحمه الله، وذلك لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين (٣)

قوله عليه السّلام: «وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة» كمل الشيء كمولاً من باب قعد، والاسم الكمال، ويستعمل في الذوات وفي الصفات، يقال: كمل: إذا تمّت أجزاؤه وكملت محاسنه. ويتعدّى بالهمزة وبالتضعيف، فيقال: أكملته وكمّلته.

وذلك: اشارة إلى ما تقدّم ذكره من الأخلاق المسؤولة.

ودام الشيء يدوم دواماً: إذا استمرّ ولم ينقطع.

والطاعة: موافقة الأمر، وقيل: موافقة الإرادة.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١١٥ ح ١٣.

(٢) و(٣) جوامع كتاب إصلاح المنطق: في ترجمه ابن السكيت ص ٢٣٩ و ٢٤٠.

....

وإنّما جعل دوامها كمالاً لما ذكر؛ لأنّ خلاف الطاعة وارتكاب المعصية نقص في جميع المحاسن.

قوله عليه السّلام: «ولزوم الجماعة» لزمته ألزمه لزوماً ـ من باب علم ـ: تعلّقت به ولم أفارقه. والجماعة لغة: ما اجتمع من الناس وغيرهم.

والمراد بها هنا: المؤمنون المتّفقون على مذهب الحقّ الذي اجتمع عليه أئمّة أهل البيت عليهم السّلام وشيعتهم.

كما رواه البرقي في محاسنه بسنده عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن جماعة أُمّته، فقال: جماعة أُمّتي أهل الحقّ وإن قلّوا(١).

وبسنده عن يحيى بن عبدالله رفعه قال: قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله: ما جماعة أُمّتك؟ قال: من كان على الحقّ وإن كانوا عشرة(٢).

وفي كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام في نهج البلاغة: والزموا السواد الأعظم؛ فإنّ يدالله على الجماعة، وإيّاكم والفرقة؛ فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب (٣).

قال الشيخ كمال الدين رحمه الله: أمر بلزوم طريقة السواد الأعظم أي: أكثر المسلمين المتّفقين على رأي واحد، ورغّب في لزوم طريقتهم بأنّ يدالله على الجماعة، فتجوّز بلفظ اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة، إذ كانوا أمنع وأبعد من الانفعال للعدوّ، وآمن من الغلط لكثرة آرائهم واتّفاقها، فلا تكاد تتّفق على أمر لا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها، وحذّر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بأنّ الشاذّ من الناس

---

(١) و(٢) محاسن البرقي: ج ١ - ٢ ص ٢٢٠.

(٣) نهج البلاغة: ص ١٨٤ الخطب ١٢٧، وفيه: يدالله مع الجماعة.

....

أي: المنفرد المستبّد برأيه للشيطان، أي: محلّ تطرّق الشيطان لانفراده،وشبّه ذلك بالشاذّ من الغنم، ووجه الشبه كون انفراده محلاً لتطرّق الهلاك إليه باستغواء الشيطان له، كما أنّ الشاة المنفردة في مظنّة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب(١)، إنتهىٰ.

ورویٰ البرقي بإسناده عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السّلام، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: ثلاث موبقات: نكث الصفقة وترك السنّة وفراق الجماعة(٢).

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: من فارق جماعة المسلمين قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه(٣).

قال بعض الشارحين: المراد بهم الائمّة عليهم السّلام، أو الأعمّ منهم بشرط أنّ لايكونوا من أهل البدعة، وبالمفارقة على وجه الاستنكاف والاستكبار والشنآن، أو المراد بهاترك السنّة واتّباع البدعة، (٤) إنتهىٰ.

وروى في الكافي أيضاً بسنده عن الحكم بن مسكين عن رجل من قريش من أهل مكّة، قال: قال سفيان الثوري: أذهب بنا إلى جعفر بن محمّد، قال: فذهبتّ معه إليه فوجدناه قدركب دابّته، فقال له سفيان يا أباعبدالله حدّثنا بحديث خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجد الخيف، قال: دعني حتّىٰ أذهب في حاجتي فإنّي قد ركبت فإذا جئت حدّثتك، فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا حدّثتني، قال: فنزل، فقال له سفيان: مرلي بدواة وقرطاس حتّىٰ أُثبته فدعابه، ثمّ قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم خطبة رسول الله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ٣ ص ١٣٥. (٢) محاسن البرقي: ج ١ـ ٢ ص ٩٤.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٠٤ ح ٤، وفيه: قيد شبر.

(٤) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٧ ص ٢٠.

....

صلّى الله عليه وآله في مسجد الخيف: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم تبلغه، يا أيّها الناس ليبلغ الشاهد الغائب، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لايغلّ عليهنّ قلب أمرئ مسلم: إخلاص العمل للّه، والنصحية لأئمّة المسلمين، واللزوم لجماعتهم؛ فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم يسعى بذمّتهم أدناهم، فكتبه سفيان ثمّ عرضه عليه وركب أبوعبدالله، وجئت أنا وسفيان فلمّا كنّا في بعض الطريق، قال لي: كما أنت حتّى أنظر في هذا الحديث، فقلت له: قدوالله ألزم أبوعبدالله رقبتك شيئاً لايذهب من رقبتك أبداً، فقال: وأي شيء ذلك؟ فقلت له: ثلاث لايغلّ عليهنّ قلب أمرئ مسلم: إخلاص العمل لله قد عرفناه، والنصحية لأئمّة المسلمين، من هؤلاء الأئمّة الذين تجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وكلّ من لاتجوز شهادته عندنا، ولاتجوز الصلاة خلفهم؟ وقوله: اللزوم لجماعتهم، فأيّ الجماعة؟ مرجئ يقول من لم يصلّ ولم يصم ولم يغتسل من جنابة وهدم الكعبة ونكح أُمّه فهو على دين جبرئيل وميكائيل، أو قدري يقول: لايكون ماشاء الله عزّوجل ويكون ما شاء إبليس، أوحروريّ يبرأ من بن أبي طالب وشهد عليه بالكفر، أو جهميّ يقول إنّما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيئاً غيرها؟ قال: ويحك وأيّ شيء يقولون؟ فقلت: يقولون: إنّ عليّ بن أبي طالب والله الإمام الذي تجب علينا نصيحته، ولزوم جماعته أهل بيته، قال: فأخذ الكتاب فخرقه، ثمّ قال: لا تخبر بها أحداً (١)

قوله عليه السّلام: «ورفض أهل البدع» رفضت الشيء رفضاً ـ من باب ضرب وفي لغة من باب قتل ـ: تركته.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٣ ح ٢.

....

والبدع: جمع بدعة بالكسر كسدرة وسدر، وهي اسم من الابتداع بمعنى الإحداث والاختراع، كالرفعة من الارتفاع، ثمّ غلب استعمالها في محدثات الأُمور المخالفة للشريعة بعد عهد النبيّ، وقد تقدّم الكلام عليها مستوفى في الروضة السادسة،(١) فليرجع إليه.

قوله عليه السلام: «ومستعمل الرأي المخترع» اتّفقت النسخ المعتمدة على كون «مستعمل» مفرداً، ومايوجد في بعض التراجم من روايته مجموعاً بالياء وحذف النون لإضافة، لم يثبت رواية وإن صحّ دراية، ووقع في نسخة قديمة «واستعمال الرأي المخترع»، وعلى كلّ حال فهو عطف على أهل البدع المضاف إليه الرفض.

واستعمل رأيه وأعمله: عمل به.

والرأي: لغةً: العقل والتدبير والاعتقاد، وعرفاً: تطلق تارةً على القياس وهو مساواة فرع الأصل في علّة حكمه.

قال صاحب القاموس: وأصحاب الرأي: أصحاب القياس؛ لأنّهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً أو أثراً(٢).

وتارةً على استحسان العقل وإن عارض النصّ وخالفه، كما قال به أبوحنيفة، وفسّر بأنّه دليل ينقدح في نفس المجتهد وربّما قصرت عنه عبارته.

حكى الزمخشري في ربيع الأبرار قال: قال يوسف بن اسباط: ردّ أبوحنيفة على النبيّ صلّى الله عليه وآله أربعمائة حديث أو أكثر، قيل: ومثل ماذا؟ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: للفرس سهمان، وقال أبوحنيفة لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن. وأشعر رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه البدن، وقال أبوحنيفة: الإشعار مثلة. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيّعان بالخيار

---

(١) ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٣٢.

....

مالم يتفرّقا، وقال أبوحنيفة: إذا وجب البيع فلاخيار.

وكان صلّى الله عليه وآله يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً، وقال أبوحنيفة: القرعة قمار(١)، إنتهىٰ.

والمخترع: اسم مفعول من اخترع الدليل أو الحكم وما أشبهه، أي: ارتجله وابتكره ولم يسبق إليه، وهذا القول مخترع أي: مفتعل لاأصل له. وهو هنا نعت جيء به لإفادة الذمّ كالشيطان الرجيم، لاقصد التوضيح؛ إذالرأي في الأحكام الشرعيّة لايكون إلّا مخترعاً مفتعلاً لا أصل له في كتاب ولا سنّة.

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: إنّ أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحقّ إلّا بعداً، وانّ دين الله لايصاب بالمقاييس(٢).

وعن أبي جعفر عليه السّلام: من أفتىٰ الناس برأيه فقد دان الله بما لايعلم، ومن دان الله بما لايعلم فقد ضادّ الله حيث أحلّ وحرّم فيما لايعلم(٣).

وعن علي عليه السّلام: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس(٤).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولاسنّة فننظرفيها؟ فقال: لا، أمّا إنّك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عزّوجل(٥).

والأخبار في هذا المعنىٰ كثيرة جدّاً، وبطلان القياس والرأي من ضروريّات مذهب أهل البيت عليهم السّلام *.

---

(١) ربيع الأبرار مخطوط: ص ١٦٥.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٥٦ ح ٧.

(٣) و(٤) الكافي: ج ١ ص ٥٧ ح ١٧.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٥٦ ح ١١.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إذا كَبِرْتُ، وأَقْوىٰ قُوَّتِكَ فيَّ إذا نَصِبْتُ، وَلا تَبْتَلِيَنّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبادَتِكَ، وَلا العَمىٰ عَنْ سَبيلِكَ، وَلا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلافِ مَحَبَّتِكَ، وَلا مُجامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلا مُفارَقَةِ مَن اجْتَمَعَ إلَيْكَ.

الجعل: بمعنى التصيير المتعدّي إلى مفعولين، وهماهنا المنصوبان بعده، أولهما: أوسع، والثاني: الظرف أعني «عليّ»، وهو متعلّق بمحذوف أي: كائناً عليّ؛ لأنّ مفعولي التصيير في الأصل مبتدأ وخبر، والظرف إذا وقع خبراً لايكون الّا مستقرّاً.

وإذا: ظرف للفعل مضمّن معنىٰ الشرط، وماقبلها هو الجواب في المعنىٰ، كما في قولك: أكرمني إذا جئتك.

وقول بعض القاصرين: «إذا» نصبت ظرفيّة مجرّدة عن معنىٰ الشرط ثاني مفعولي اجعل بمعنىٰ صيّر، الناصب لأوسع علىٰ أنّه الأوّل، خبط صريح، وكيف تقع إذا المنصوبة علىٰ الظرفيّة ثاني مفعولي اجعل؟ وَ وقوعها مفعولاً عند من زعمه يستلزم خروجها عن الظرفيّة!.

وأمّا قوله بعد ذلك: أو مجرّدة عن الظرفيّة أيضاً علىٰ تقدير مضاف لأوسع لئلاّ يلزم الإخبار باسم الزمان عن اسم العين، فالتقدير: اجعل وقت أوسع رزقك وقت كبري، فهو تعسّف شديد وتكلّف ماعليه مزيد، ولا داعي إليه أصلاً.

أمّا أوّلاً: فالقول بخروج «إذا» عن الظرفيّة خلاف قول الجمهور.

قال ابن هشام: والجمهور علىٰ أنّ «إذا» لاتخرج عن الظرفيّة(١).

وقال الرضى: إخراج «إذا» عن الظرفيّة قليل(٢).

والتخريج على الأُمور البعيدة والأوجه الضعيفة وترك الوجه القريب والقوي، من الجهات التي يجب علىٰ المعرب احترازها.

---

(١) المغني: ص١٢٩.

(٢) شرح الكافية في النحو للرضي: ج ٢ ص ١٠٣.

....

وأمّا ثانياً: فالقائلون بخروجها عن الظرفيّة إنّما قالوا به في مواضع لم يظهر لهم كونها فيها ظرفاً، فاحتاجوا إلى القول بذلك، كوقوعها موقع المبتدأ والخبر أو المفعول به أو في موضع جرّ، ولم يذهبوا إلى خروجها عن الظرفيّة في كلّ موضع البتّة، حتّى يحتاج إلى التخريج عليه في مثل هذه العبارة المتعيّن فيها ظرفيّتها، فأي داع إلى القول به؟ نسأل الله الهداية.

والقوّة: هي تمكّن الحيوان من الأفعال الشاقّة، وإضافتها إليه تعالى باعتبار خلقه سبحانه لها.

ونصب نصباً ـ من باب تعب تعباً ـ: أعيا.

وإنّما سأل عليه السّلام جعل أوسع الرزق عليه وقت الكبر؛ ليستغني عن تكلّف تحصيله ومشقّة تدبيره في الوقت المقتضي لضعف البنية عن كثير الحركة، وسأل جعل أقوى القوّة فيه وقت الإعياء، ليقاوم مايوجبه الإعياء من الضعف وانحلال القوى، وهو ظاهر.

وقوله: «لا تبتليني» يروى بالجزم وبالنون المؤكّدة وهي الأشهر.

والكسل بالتحريك: وقوف الأعضاء وفتورها عن أعمالها، بسبب تحلّل الروح وضعفه ورجوعه إلى الاستراحة.

وفي القاموس: الكسل: التثاقل عن الشيء والفتور فيه، كسل كسلاً ـ من باب تعب ـ فهو كسل وكسلان(١).

قال بعض العارفين: الكسل عن العبادة من صفات الجاهل المحبوس في سجن الطبيعة البشريّة، والمغلول بأغلال لواحق القوّة الشهويّة، والمصفود بصفاد عوارض القوى البدنيّة، فهو ثقيل لا تحرّكه ريح النشاط إلى الدرجة العليا، ولا تعرج به

---

(١) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٤٤.

اللّهُمَّ وَاجْعَلْني أَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورةِ، وأسألك عِنْدَ الحاجَة، وَأتضَرَّعُ إلَيْكَ عِنْدَ المَسْكَنَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بالاسْتعانَةِ بِغَيْرِكَ إذا

اريحيّة العبادة عن المرتبة الدنيا.

والمراد بالعمىٰ هنا: الضلال والغواية، مستعار من عمىٰ البصر بجامع عدم الاهتداء إلى المطلوب.

سبيله تعالىٰ: هو الطريق المستقيم الموصل إلى معالم الحقّ والهدىٰ الناجي سالكه من التردّي في مهاوي الردى.

وتعرّض للشيء وتعرّضه، يتعدّىٰ بالحرف وبنفسه، أي: تصدّى له وطلبه، ذكره الأزهري(١) وغيره.

والخلاف: المخالفة، يقال: خالفه خلافاً ومخالفةً: إذا ذهب إلىٰ غيرها ذهب إليه.

والمراد بمحبّته تعالىٰ هنا: رضاه، وهو إفاضة ثوابه ورحمته.

والمجامعة: مصدر جامعه علىٰ الأمر أي: اجتمع معه وساعده وشايعه عليه.

وتفرّق الناس عن فلان: أعرضوا عنه وتركوه، ولايقال ذلك إلّا فيمن كان رئيساً في دين أو دنيا؛ لأنّ التفرّق عنه لايكون إلّا بعد الاجتماع عليه.

والمراد بالمتفرّقين عنه تعالى: المتفرّقون عن أمره وطاعته. كما أنّ المراد بالمجتمعين إليه: المجتمعون إلى دينه وطاعته.

وعدّىٰ الاجتماع بـ «إلى» لتضمينه معنىٰ الركون، وهو السكون إلى الشيء والميل إليه، والله أعلم *.

صال عليه يصول صولاً: حمل وسطا.

قال ابن الأثير في النهاية في حديث الدعاء: وبك أصول أي: أسطو وأقهر

(١) تهذيب اللغة: ج ١ ص ٤٦٢.

اضْطُرِرْتُ، وَلا بِالخُضُوعِ لِسُؤالِ غَيْرِكَ إذا افْتَقَرْتُ، وَلا بِالتَّضَرُّعِ إلىٰ مَنْ دُونَكَ إذا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ خِذْلانَكَ وَمَنْعَكَ وَإعْراضَكَ يا أرْحَمَ الرّاحِمِينَ.

والصولة: الحملة والوثبة (١).

والضرورة اسم من الاضطرار، وهو الاحتياج والافتقار إلى الشيء، فالباء للاستعانة.

وسألت الله العافية: طلبتها، ولم يذكر المفعول الثاني لأنّ المراد إيقاع سؤاله تعالى مطلقاً.

والحاجة: اسم من الاحتياج.

وتضرّع إلى الله: خضع وتذلّل، أو تعرّض لطلب الحاجة.

والمسكنة: الذلّ والخضوع والقهر، ومنه: «ضُرِبَتْ عليهم الذِلّة والمَسكنة»(٢)، وهي بهذا المعنىٰ تجامع الغنىٰ والثروة، وتطلق علىٰ الفقر وقلّة المال وسوء الحال. واشتقاقها علىٰ المعنيين من السكون؛ لسكون صاحبها إلىٰ الناس. فإن حملتها في الدعاء علىٰ المعنىٰ الأوّل كان المراد بالتضرّع التذلّل والخضوع.

وإن حملتها علىٰ المعنىٰ الثاني كان المراد به التعرّض لطلب الحاجة.

وفتنه فتوناً -من باب ضرب-: امتحنه.

وقال بعضهم: الفتنة: هي الضلال عن الحقّ بمحبّة أمرٍ ما من الأمور الباطلة، والاشتغال به عما هو الواجب من سلوك سبيل الله.

وعلىٰ هذا فمعنىٰ «لا تفتنّي» لا تضلّني، كما قالوا: ربّنا لا تضلّنا. ولا شكّ أن الاستعانة بغير الله سبحانه حال الاضطرار، والخضوع لسؤال غيره عند الافتقار، والتضرّع إلى من هو دونه وقت الرهبة، من الضلال عن سبيل الحقّ، إذ كان ذلك

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٦١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

....

التجاءً في جلب النفع ودفع الضرر إلىٰ من لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً وعدولاً عمّن بيده أزمّة الأُمور القادر علىٰ كلّ مقدور؛ ولذلك حكم عليه السّلام باستحقاق الخذلان والمنع والإعراض منه تعالىٰ، من حيث عدم استعداده لنفحات الله سبحانه بالتوجّه إليه والاعتماد عليه، بالتوجّه إلى غيره واشتغال قلبه بسواه، وقد تقدّم الكلام على هذا المعنىٰ مبسوطاً في الروضة الثالثة عشرة. وقوله: «إلىٰ من دونك» أي: من سواك ، فدون بمعنىٰ «سوىٰ» الظرفيّة التي هي بمعنىٰ مكان الذي يدخله معنىٰ العوض والبدل، أو بمعنىٰ «غير» فهو خبر لـ «هو» محذوفاً، أو حال لـ «ثبت» مضمراً، والتقدير: إلى الذي ثبت حالة كونه دونك ، أو بمعنىٰ «تحت».

قال الجوهري: دون نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية(١).

أو بمعنىٰ «قدّام» كأنّه قدّامه تعالىٰ في المكان، وهو سبحانه وراءه، تعالى الله عن ذلك.

وقوله عليه السّلام: فأستحقّ الفاء: للسببيّة، والفعل منصوب بعدها بـ «أنّ مضمرة لوقوعه بعد النهي الصريح نحو: «ولا تطغَوا فيه فيحلَّ عليكُم غَضَبي»(٢).

والخذلان بالكسر: اسم من خذله -من باب قتل- إذا أهمله وترك إعانته.

ومنعه معروفه ومنعه منعاً: حرمه إيّاه.

وأعرض عنه إعراضاً: صدّ، وهو هنا مجاز عن الاستهانه به والسخط عليه، كقوله تعالى: «ولا ينظر إليهم»(٣)، وقد تقدّم الكلام عليه، والله أعلم *.

* * *

---

(١) الصحاح للجوهري: ج ٥ ص ٢١١٥.

(٢) سورة طه: الآية ٨١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٧.

اللّهُمَّ اجْعَلْ مايُلْقِي الشَّيْطانُ في رَوعي مِنَ التَّمَنِي وَالتَّظَنِّي وَالحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً في قُدْرَتِكَ، وَتَدبيراً عَلىٰ عُدوِّكَ، وَما أَجْرىٰ عَلىٰ لِساني مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ، أَوْ هُجْرٍ، أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ، أوشهادَةِ باطِلٍ، أَوْ اغتِياب مُؤْمِنٍ غائِبٍ، أَوْ سَبِّ حاضِرٍ، وَما أَشْبَهَ ذَلِكَ، نُطْقاً بالحَمْدِ لَكَ، وَإغْراقاً في الثَّناءِ عَلَيْكَ، وَذَهاباً في تَمْجيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرافاً بِإحْسانِكَ، وإِحْصاءً لِمِنَنِكَ.

اجعل: من الجعل بمعنى التصيير، وهو نقل الشيء من حالة إلى أُخرىٰ. قال صاحب المحكم: جعل الطين خزفاً والقبيح حسناً: صيّره إيّاه(١).

وألقىٰ الشيء يلقيه القاءً: طرحه ووضعه. وأصله أن يستعمل في الأعيان كقوله تعالى: «وألقىٰ الألواح»(٢)، «فألقوا حبالَهم»(٣)، ثمّ استعمل في المعاني اتّساعاً، ومنه قوله تعالىٰ: «وألقيتُ عليكَ محبّةً منّي»(٤)، «سنُلقي في قلوبِ الّذينَ كفروا الرُعبَ»(٥)، وهو هنا كذلك.

والروع بالضمّ: القلب، وقيل: سواده، ويطلق علىٰ الذهن والعقل.

والتمنّي: تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون وبمالايكون، والتكذّب، من منى يمني إذا قدّر؛ لأنّ الكاذب يقدّر الحديث في نفسه ثمّ يقوله، ومنه: أهذا شيء رويته أوشيء تمنّيته؟ أي: اختلقته، وكلّ من هذه المعاني يحتمل إرادته هنا.

والتظنّي: إعمال الظنّ، واصله التظنّن أُبدل من إحدىٰ النونات ياءً، ومنه قولهم: ليس الأمر بالتظنّي ولا بالتمنّي.

والحسد: تمنّي زوال نعمة المحسود إلىٰ الحاسد.

---

(١) المحكم لابن سيده: ج١ ص١٩٨. (٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٤٤. (٤) سورة طه: الآية ٣٩. (٥) سورة آل عمران: الآية ١٥١.

....

والذكر: حضور المعنىٰ في النفس، ثمّ يكون تارةً بالقلب وتارةً باللسان، وليس شرطه أن يكون بعد نسيان، وقد تقدّم الكلام على بيان مراتبه في الروضة الحادية عشر(١).

وعظمته تعالى: عبارة عن تجاوز قدره حدود العقول، حتّى لا يتصوّر الإحاطة بكنهه وحقيقته.

وقال بعض العارفين: اعلم أنّ عظمة الحقّ تعالى صفة إضافيّة ثابتة، له تعالى بالقياس إلى اعتقاد العبد وتصوّره وإثباته لغيره عزّوجلّ وجوداً، وإلّا فليس لما سواه في جنب وجوده تعالىٰ وجود حتّى يتّصف بالعظمة بالقياس إليه، لكنّ الإنسان يتصوّر لنفسه بقوته الوهميّة وجوداً مستقلاً، وبواسطة وجوده الموهوم يثبت للعالم وأفراده وجوداً مستقلاً، يقيس إليها وجود الحقّ فيصفه بالعظمة، ثمّ بقدر مايظهر قصور وجوده وضعفه وقصور الموجودات الإمكانيّة وضعفها يزيد في نظره عظمة الحقّ.

ولهذا قيل: إنّ ظهور الإنسان سبب خفاء الحقّ في هذا العالم، فبقدر انكساره وافتقاره يظهر وجود الحقّ وعظمته وكبريائه.

والتفكّر لغة: إعمال النظر في الشيء، واختلفت عبارة العلماء في تفسيره، والمرجع واحد.

قال الغزالي: حقيقة التفكر طلب علم غير بديهيّ عن مقدّمات موصلة إليه، كما إذا تفكّر أنّ الآخرة باقية والدنيا فانية، فإنّه يحصل له العلم بأنّ الآخرة خير من الدنيا، وهو يبعثه علىٰ العمل للآخرة، فالتفكّر سبب لهذا العلم، وهذا العلم يقتضي حالة نفسانيّة هي التوجّه إلى الآخرة، وهذه الحالة تقتضي العمل لها،

(١) ج ٢ ص ٤٤٧.

....

وقس على هذا، فالتفكّر موجب لتنوّر القلب وخروجه عن الغفلة، وأصل الجميع الخيرات (١).

وقال المحقّق الطوسي قدّس سرّه: التفكّر سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد، وهو قريب من النظر، ولا يرتقي أحد من النقص إلى الكمال إلّا بهذا السير، ومبادؤه الآفاق والأنفس، بأن يتفكّر في أجزاء العالم وذرّاته، وفي الأجرام العلويّة من الأفلاك والكواكب وحركاتها وأوضاعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها وتأثيراتها وتغييراتها، وفي الأجرام السفليّة وترتيبها وتفاعلها وكيفيّاتها ومركّباتها ومعدنيّاتها وحيواناتها، وفي أجزاء الإنسان وأعضائه من العظام والأعصاب والعضلات والعروق وغيرها ممّا لا يحصىٰ كثرة، ويستدلّ بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم على كمال الصانع وحكمته وعلمه وقدرته وعدم ثبوت ماسواه، وبالجملة: التفكّر فيما ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثره العلم بوجود الصانع وقدرته، ومن حيث تغيّره وإنقلابه وفنائه بعد وجود أثره الانقطاع عنه والتوجّه بالكليّة إلى الخالق الحقّ،(٢) إنتهىٰ.

وهو أعظم العبادات قدراً وأشرفها أثراً وأفخمها رتبةً وأرفعها درجةً؛ ولذلك وقع الأمر به في مواضع كثيرة من القرآن المجيد، ووردت به أخبار عديدة عن سيّد المرسلين وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

كقوله عليه السّلام: تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة(٣).

وقول أمير المؤمنين عليه السّلام: التفكّر يدعو إلىٰ البرّ والعمل به(٤).

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٣١٩ نقلاً عنه.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٣١٩ نقلاً عن المحقّق الطوسي.

(٣) مفاتيح الغيب: ص ٣٠٢ و ٦٥٢، مجمع البحرين: ج ٣ ص ٤٤٤، وفيه: ستّين سنة.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥٥ ح ٥.

....

وقول الصادق عليه السّلام: أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله وفي قدرته(١).

وقول الرضا عليه السّلام: ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنّما العبادة التفكّر في أمرالله عزّوجلّ(٢)، إلى غير ذلك.

وأعلم أنّه ليس المراد التفكّر في حقيقة ذاته وحقيقة قدرته وسرائر صفاته تعالىٰ؛ فإنّ معرفتها خارجة عن طوق البشر لايصل إليها عقل ولا فكر، والتفكّر فيها مؤدّ إلىٰ الضلال المبين والإلحاد في الدين، بل المراد التفكّر في صنع الله وآثار قدرته؛ فإنّ التفكّر فيها وفي عظمتها يدلّ على عظمة الصانع الحقّ وكمال قدرته.

وممّا يدلّ على ذلك.

ما روي عنه صلى الله عليه وآله. تفكّروا في الخلق ولا تتفكّروا في الخالق(٣).

وماروي عن أبي جعفر عليه السّلام: إيّاكم والتفكّر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه(٤).

فقوله عليه السّلام: «وتفكّراً في قدرتك» أي: في آثار قدرتك وآياتها.

حكىٰ الزمخشري في ربيع الأبرار قال: قرّب إلى عليّ بن الحسين عليه السّلام طهوره في وقت ورده، فوضع يده في الإناء ليتوضّأ، ثمّ رفع رأسه فنظر إلىٰ السماء والقمر والكواكب، فجعل يفكّر في خلقها حتّىٰ أصبح وأذّن المؤذّن ويده في الإناء(٥).

وحكىٰ ذوالنون المصري قال: سمعت شخصاً قائماً وسط البحر وهو يقول: سيّدي سيّدي أنا خلف البحور والجزائر، وأنت الملك الفرد بلاحاجب ولا زائر، من الذي أنس بك فاستوحش، أم من ذاالذي نظر إلىٰ آيات قدرتك فلم يدهش، أما

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٥ ح ٣.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٥ ح ٤.

(٣) نهج الفصاحة: ص ٢٣٥.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٥٣ ح ٤.

(٥) ربيع الأبرار مخطوط: ص ٩ باب السماء والكواكب.

....

في نصبك السماء ذات الطرائق، وبضمّك الفلك فوق رؤوس الخلائق، وإجرائك الماء بلا سائق، وإرسالك الريح بلاعائق، مايدلّ على فردانيتك ، أمّا السماوات فتدلّ على منعتك ، وأمّا الفلك فيدلّ على حسن صنعتك ، وأمّا الرياح فنشر من نسيم بركاتك ، وأمّا الرعود فتصوّت بعظيم آياتك ، وأمّا الأرض فتدلّ على عظيم حكمتك ، وأمّا الأنهار فتنفجر بعذوبة كلمتك ، وأمّا الأشجار فتخبر بجميل صنائعك ، وأمّا الشمس فتدلّ على تمام بدائعك(١).

قوله عليه السّلام: «وتدبيراً على عدوّك » دبّرت الأمر تدبيراً: نظرت إلىٰ ماتؤول عاقبته، مأخوذ من الدبر وهو الآخر من كلّ شيء؛لأنّه نظر في دبر الأمر. وهو قريب من التفكّر؛ لأنّ التفكّر تصرّف القلب بالنظر في الدليل، والتدبّر تصرّفه بالنظر في العواقب.

وعدّاه بـ «على» إيذاناً بأنّ التدبير مستعل عليه لازم له لزوم الراكب لمركوبه، كقولهم: هذا لك وهذا عليك .

والمراد بعدوّه تعالى: المعرض عن عبادته والمبغض لها ولمن تلبّس بها من عباده، وهو من باب إطلاق الشيءعلى ما هو من لوازمه مجازاً.

قوله عليه السّلام: «وما أجرىٰ على لساني من لفظة فحش» إلى آخره، إسناد الإجراء إلى الشيطان مجاز عقلي، من حيث إنّه سبب أمر، كقولهم: بنىٰ الأمير المدينة.

والفحش بالضمّ: السيّءوالردي، من القول.

وقال في القاموس: الفحش عدوان الجواب، ومنه: لا تكوني فاحشة لعائشة(٢)، إنتهىٰ.

(١) ربيع الأبرار مخطوط: ص٨ باب السماء والكواب والعرش والكرسي.

(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ٢٨٢.

....

وقال في النهاية: قال صلى الله عليه وآله وسلّم لعائشة: لا تقولي ذلك فإنّ الله لا يحبّ الفحش، أراد بالفحش التعدّي في القول والجواب، لا الفحش الذي هو من قذع الكلام ورديّه(١).

وقيل: الفحش والفحشاء: ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم، قولاً كان أو فعلاً.

والهجر: يروى بالضمّ، والفتح، وهو بالضمّ: الخنا، والقبيح والفحش، من القول، والإكثار من الكلام فيما لاينبغي، اسم من أهجر في منطقه يهجر إهجاراً: إذا أفحش، وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي، وبالفتح: الهذيان.

يقال: هجر يهجر -من باب قتل- هجراً بالفتح: إذا خلط في كلامه وهذى.

وشتمه شتماً -من باب ضرب وقتل-: سبّه.

وقيل الشتم: وصف الرجل بما فيه إزراء ونقص سيّما فيما يتعلّق بالنسب.

وعرض الرجل بالكسر: حسبه.

وقيل: خليقته المحمودة.

وقيل: مايمدح به ويذم.

وقال ابن الأثير في النهاية: العرض: موضع المدح والذمّ من الإنسان، سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره(٢).

وقيل: هو جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه أن ينتقص ويثلب (٣).

وقال ابن قتيبة: عرض الرجل: نفسه وبدنه لاغير (٤).

وقيل: هو مايفتخر به من حسب أو شرف، وقد يراد به الآباء والأجداد.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٤١٥. (٢) و(٣) و(٤) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٢٠٩.

....

والشهادة: الإخبار بما قد شوهد أي: عن عيان، وهي اسم من المشاهدة وهي الاطّلاع علىٰ الشيء عياناً.

والباطل مالايكون صحيحاً بأصله. وإضافة الشهادة إلىٰ الباطل إمّا بمعنىٰ لام الاختصاص، أو علىٰ حذف الجارّ والإيصال، كأنّ الأصل شهادة علىٰ الباطل.

واغتاب فلان فلاناً: إذا ذكره بما يسوؤه ويكرهه من العيوب وكان فيه، فإن لم يكن فيه فهو بهت وتهمة.

وفي العرف: ذكر الإنسان المعيّن أو بحكمه في غيبته بما يكره نسبته إليه ممّا هو حاصل فيه، ويعدّ نقصاً في العرف بقصد الانتقاص والذمّ، قولاً او إشارةً أو كنايةً تعريضاً أو تصريحاً، فلاغيبة في غير معيّن كواحد مبهم من غير محصور كأحد أهل البلد، بخلاف مبهم من محصور كواحد من المعيّنين كأحد قاضيي البلد فاسق مثلاً، فإنّه في حكم المعيّن كما صرّح به شيخنا البهائي قدّس سرّه في شرح الأربعين(١)، ولابذكر عيبه في حضوره وإن كان آثماً لإيذائه لابقصد الوعظ والنصيحة، ولا بذكر ماليس فيه فإنّه بهتان وتهمة، ولابذكر مايكره ولايعدّ نقصاً، ولابذكر عيبه لالقصد الانتقاص، كذكره للطبيب لقصد العلاج وللسلطان لقصد الترحّم.

فإن قلت: ما فائدة وصف المؤمن بالغائب؟ فإنّ الاغتياب هو ذكر الرجل بما يسوؤه في غيبته، فلا يكون إلّا لغائب.

قلت: هو من باب التصريح بما علم ضمناً، وفائدته التنصيص علىٰ متعلّق الاغتياب.

❁ ❁ ❁

(١) كتاب الأربعين: ص١٣٣.

....

تنبيهات

الأوّل: الغيبة حرام للآيات والروايات وإجماع الأمّة، وقد عدّت من الكبائر، ولولم يرد فيها إلّا قوله تعالى: «ولايَغتَبْ بَعضُكم بعضاً أيُحِبُّ أحدُكم أنْ يأكلُ لَحَمَ أخيهِ مَيْتاً»(١)، فإنّه مثل الاغتياب بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثمّ لم يقتصر على ذلك حتّىٰ جعله لحم ألاخ، ثمّ لم يقتصر حتّىٰ جعله ميتاً، ثمّ جعل ماهو في غاية الكراهة موصولاً بالمحبّة.

وقول نبيّه صلّى الله عليه وآله: إيّاكم والغيبة، فإن الغيبة أشدّ من الزنا، الرجل يزني فيتوب الله عليه وإنّ صاحب الغيبة لايغفر له حتّىٰ يغفر صاحبه(٢).

قال بعض علمائنا: إن المغتاب لمّا لم يكن معصوماً ينبغي أن يكون له في عيبه لنفسه شغل عن عيب الناس، ولو فرض أنّه خال عن العيوب كلّها، فلينزّه نفسه عن الغيبة التي هي من أقبح العيوب ومن أعظم الكبائر (٣).

قال شيخنا الشهيد الثاني قدّس سرّه: والعجب من علماء الزمان أنّ كثيراً منهم يجتنب كثيراً من المعاصي الظاهرة من شرب الخمر والزنا وغصب أموال الناس ونحوها، وهم مع ذلك يتعاطون الغيبة، والسبب فيه إمّا الغفلة عن تحريمها وماورد من الوعيد عليها، وإمّا لأنّ مثل ذلك من المعاصي لايخلّ عرفاً بمراتبهم ومنازلهم من الرئاسات؛ لخفاء هذاالنوع من المنكر على من يرومون المنزلة عنده من أهل الجهالات، ولو رغبوهم في الشراب أوالزنا أو غصب مال الغير ماأطاعوه؛ لظهور فحشه عندالعامّة وسقوط منزلتهم، ولو استبصروا علموا أن لا فرق بين المعصيتين، بل لانسبة بين المعصية المستلزمة للإخلال بحقّه تعالىٰ وبين مايتعلّق مع ذلك بحقّ

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢. (٢) المحجة البيضاء: ج٥ ص٢٥١.

(٣) شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج١٠ ص٥.

....

العبد، خصوصاً بأعراضهم التي هي أجلّ وأشرف من أموالهم(١).

الثاني: كفّارة الغيبة أن يندم المغتاب ويتوب ويتأسّف على فعله ليخرج من حقّ الله أوّلاً، ثمّ يستحلّ من اغتابه ليحلّه فيخرج عن مظلمته، وذلك إذا أمكنه الوصول إليه، وينبغي أن يستحلّه وهو حزين متأسّف نادم علىٰ فعله مستحٍ ممّا(٢) ارتكبه، فإنّ المرائي قد يستحلّ ليظهر من نفسه الورع، وفي الباطن لايكون تائباً، فيكون قد قارف معصية أُخرىٰ (٣).

يدلّ على ذلك ماروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: من كانت لأخيه قبله مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه، من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم، يؤخذ من حسناته فتزاد في حسنات صاحبه، فإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيّئات صاحبه فتزاد على سيّئاته(٤).

وإن لم يمكنه الوصول إمّا لموت أو لغيبة فليستغفر له. يدلّ على ذلك مارواه ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السّلام، قال: سئل النبيّ صلّى الله عليه وآله ماكفّارة الاغتياب؟ قال: تستغفرالله لمن اغتبته كلّما ذكرته(٥).

ويستحبّ للمعتذر إليه قبول العذر، فإن لم يقبل كان اعتذاره وتودّده حسنة محسوبة له، وقد تقابل سيّئة الغيبة في القيامة.

ولا فرق بين اغتياب الصغير والكبير والحيّ والميّت والذكر والأُنثىٰ.

وليكن الاستغفار والدعاء له بحسب مايليق بحاله، فيدعو للصغير بالهداية، وللميّت بالرحمة والمغفرة ونحو ذلك.

---

(١) كشف الريبة عن أحكام الغيبة: ص٤٩ـ ٥٠ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) (ج): بما. (٣) المحجة البيضاء: ج٥ ص٢٧٣.

(٤) المحجة البيضاء: ج٥ ص٢٧٣، إحياء العلوم: ج٣ ص١٥٣ مع اختلاف يسير فيهما.

(٥) الكافي: ج٢ ص٣٥٧ ح٤.

....

ولا يسقط الحقّ بإباحة الإنسان عرضه؛ لأنّه عفوعمّا لم يجب، كما أن لو أباح قذف نفسه لم يسقط حقّه من الحدّ. والظاهر أنّه تجب في هذه الكفّارة النيّة كما في سائر الكفّارات.

الثالث: جوّز العلماء الغيبة في عشرة مواضع: الشهادة، والنهي عن المنكر، وشكاية المتظلّم، ونصح المستشير، وجرح الشاهد والراوي، وتفضيل بعض العلماء والصناع على بعض، وغيبة المتظاهر بالفسق الغير المستنكف على قول، وقيل: مطلقاً، وقيل بالمنع مطلقاً، وذكر المشتهر بوصف مميّز له كالأعور والأعرج مع عدم قصد الاحتقار والذمّ، وذكره عند من يعرفه بذلك بشرط عدم سماع غيره على قول، والتنبيه على الخطأ في المسائل العلميّة ونحوها بقصد أن لا يتبعه أحد فيها(١).

ثمّ هذه الأمور إن أغنى التعريض فيها فلا يبعد القول بتحريم التصريح؛ لأنّها إنّما شرعت للضرورة، والضرورة تقدّر بقدر الحاجة، والله أعلم.

قوله عليه السّلام: «أو سبّ حاضر» السبّ: الشتم، سبّه سباً من باب قتل.

قيل: أصله من السبّ بمعنى القطع؛ لأنّ السابّ يقطع المسبوب.

وقيل: من السبّة بالضمّ وهي حلقة الدبر، كأنّ السابّ كشف بشتمه عورة المسبوب، ومنه قيل للاصبع التي تلي الإبهام: سبّابة؛ لأنّها يشاربها عندالسبّ.

قال بعضهم: وسبّ الحاضر أن يقول له مثلاً: يا شارب الخمر، أو يا آكل الربا، أو يا ملعون، أو يا خائن، أو يا حمار، أو يا كلب، أو يا خنزير، أو يا فاسق، أو يا فاجر، وأمثال ذلك.

وسبّ الكندي رجلاً فقال له: أنت والله ثقيل الظلّ مظلم الهواء جامد النسيم.

وتسابّ بدويّان فقال أحدهما لصاحبه: أراك والله تعطس عن أنف طالما

---

(١) كشف الريبة: ص٧٧.

....

جـدع علىٰ الهوان، فـقـال له صاحـبه والله لئن تكفّ عـنّي شرّة لسـانك ولم تستر عنّي عورة كلمتك ، لأصدعنّ صفاتك بمعول لاينبو عن مضـربه، ولأحصدنّ رأسك بمنجل لاينشئ عن ماخذه فقال له الأوّل: لا تسعر نارنا ولا تطلب عوارنا؛ فإنّ سفه الجاهل بلسانه وسفه اللبيب بيده،وكأنّي بك وقد وعيت منّي كلاماً يمنعك الشراب البارد، ويشـمت بـك الصادر والوارد، وقلّ من تـمرّد علىٰ العـافية إلّا تمرّد عـليه البلاء، فانقلب عنه صاحبه مغيظاً يهمهم.

روىٰ ثقة الإسـلام في الكـافي عن أبي جـعفر عليـه السّلام قـال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: سـباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه(١).

وعن أبي الحسن موسى عـليـه السّلام في رجلين يتسابّـان، قـال: الـبادي منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه مالم يعتذر إلى المظلوم(٢).

قولـه عليه السّلام: «ومـا أشبـه ذلك» إشارة إلىٰ المذكـور ممّا أجرى الشيطان على لسانـه، يعني ما ماثلـه في الهجـنة والإثم، كالبهت والنميـمة والسعاية والاستهزاء والتهمة والـرواية على المؤمن والـكذب إلىٰ غير ذلـك ، فإنّ كلّ ذلك مـباين لمكارم الأخلاق وحسن الشيم، مناف لمقتضىٰ الإيمان والتقوىٰ والورع.

قوله عليـه السّلام: «نطقاً بـالحـمد لك» النطق بـالضمّ: اسم من نطق يـنطق نطقاً ـمن باب ضرب ـ إذا تكلّم بصوت وحروف تعرف بها المعاني.

والمراد بالحمـد هنا: الحـمد اللغوي بدلالة الـنطق، وهو الوصف بالجمـيل علىٰ جهة التعظيم باللسـان، وقد يراد به القول الاصطلاحي ، وهو حمد اللسان وثناؤه على الحقّ تعالىٰ بما أثنىٰ به علىٰ نفسه على لسان أنبيائه، فتكون اللام فيه للعهد.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٢. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٦٠ ح ٤.

....

وأغرق في الشيء إغراقاً: بالغ فيه وأطنب، وهو من أغرق الرامي في القوس: إذا استوفىٰ مدّها.

قال الزمخشري في الأساس: أغرق الرامي النزع، ومنه الإغراق في القول وغيره، وهو المبالغة والإطناب(١).

والثناء بالمدّ قيل: هو وصف الشيء بمدح أو ذمّ.

وقيل: خاصّ بالمدح.

وقيل: استعماله في المدح أكثر من الذمّ.

والحقّ أنّه عند الإطلاق لاينصرف إلّا إلى المدح؛ لقوله:

إذا أثنىٰ عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الثناء

وفي الحديث: لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك(٢).

وذهب يذهب ذهاباً بالفتح وذهوباً: سار ومضى، ثمّ استعير للاستغراق في الشيء والتوغّل والإمعان، كأنّه سار فيه ومضىٰ ولم يقف.

ومجّده تمجيداً: أعظمه وأثنىٰ عليه بالشرف والكرم.

والشكر: عبارة عن المعروف المقابل به النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب.

وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه.

واعترف بالشيء اعترافاً: أقرّ به علىٰ نفسه.

والإحسان: فعل ماينبغي من الخير.

وأحصى الشيء إحصاءً: عدّه وحفظه.

والمنّة: النعمة، والمراد بإحصائها: حفظها عن الكفر بها، أو الاعتداد بها صوناً

(١) أساس البلاغة: ص ٤٤٩.

(٢) سنن أبي داود: ج ١ ص ٢٣٢.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا أُظْلَمَنَّ وَأنْتَ مُطيقٌ للدَّفْعِ عَنّي وَلا أظْلِمَنَّ وَأنْتَ القادِرُ علىٰ القَبْضِ مِنّي، وَلا أضِلَّنَّ وَقَدْ أمْكَنَتْكَ هِدايَتي، وَلا أفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعي، وَلا أطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدي.

لها عن إهمال شكرها وعدم الالتفات إليها، والّا فنعمة الله تعالى لاتحصىٰ، كما قال سبحانه: «وإن تَعدُّوا نِعمةَ الله لا تُحصوها »(١) والله أعلم.

تنبيه

الجعل المطلوب أعني نقل السيّئات المذكورة التي ألقاها الشيطان في روعه وأجراها على لسانه إلى الحسنات المطلوبة، إمّا بمحوها بالتوبة وإثبات الحسنات مكانها، أو بتبديل ملكاتها ودواعيها في النفس بملكات الحسنات المذكورة بأن يزيل الأُولىٰ ويأتي بالثانية، أو بأن يثبت له بدل عقاب كلّ منها ثواب الحسنة المقابلة لها، وبكلٍّ فسّر قوله تعالى: «فأُولئكَ يبدّلُ الله سيّئاتِهم حسناتٍ»(٢)، وقد تقدّم الكلام علىٰ ذلك في آخر الروضة الثانية(٣) *.

لا: طلبيّة للدعاء.

وأُظلم: مبني للمفعول مجزوم بها مؤكّد بالنون الثقيلة مسند إلى ضمير المتكلّم، وقس علىٰ ذلك البواقي، إلّا أن الفعل فيها مبنيّ للفاعل.

والجزم بـ «لا» الطلبيّة لفعل المتكلّم ثابت في الفصيح، وإن صرّح النحويّون بقلّته وندوره، ومن شواهده قوله صلّى الله عليه وآله: لا أُلفينّ احدكم متّكئاً علىٰ أريكته يأتيه الأمر ممّا أمرت به(٤) الحديث رواه الأكثرون.

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٤.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٠.
(٣) ج١ ص٥٠٢.
(٤) سنن ابن ماجة: ج١ ص٦-٧ ح١٣.

....

وقول العرب: لا أرينّك هاهنا.

وقول الشاعر:

لا أعرفنّ ربرباً حورا مدامعها مردفات علىٰ أعقاب أكوارِ

وقول الآخر.

إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد لها أبداً مادام فيها الجراضم

والأكثرون على أنّه لافرق في ندور الجزم بها لفعل المتكلّم بين المبني للفاعل والمبني للمفعول.

وفصّل بعضهم بينهما، فحكم بالندور والقلة فيما كان مبنيّاً للفاعل، وبالكثرة فيما كان مبنيّاً للمفعول، كقوله عليه السّلام ولا أُظلمنّ وأنت مطيق للدفع عنّي؛ لأنّ المطلوب منه غير المتكلّم وهو الفاعل المحذوف النائب عنه ضمير المتكلّم والأصل لايظلمني أحد فحذف الفاعل وأُنيب عنه ضمير المتكلّم، وعدل من الفعل المبدوء بياء الغيبة إلى المبدوء بالهمزة والنون؛ ليتمكّن من الإسناد إلىٰ ضمير المتكلّم علىٰ حدّ الالتفات من الغيبة إلىٰ التكلّم، بخلاف ما إذا كان مبنياً للفاعل؛ فإنّ المطلوب منه هو المتكلّم وهو نادر؛ لأنّ المتكلّم لايطلب من نفسه إلّا علىٰ المجاز تنزيلاً لها منزلة الأجنبي.

قالوا: وهذا النوع ممّا أُقيم فيه السبب مقام المسبّب، فالأصل في «لا أرينّك هاهنا» لا تكن هاهنا فأراك، وقس على ذلك.

والجمل بعد الأفعال المجزومة كلّها أحوال، ومن زعم أنّ «لا» في جميع هذه الفقرات نافية، والغرض الإخبار تحدّثاً بالنعمة، فقد أبعد.

وأطاق الشيء إطاقة: قدر عليه فهو مطيق، والاسم الطاقة.

ودفعت عنه الأذىٰ: نحّيته عنه.

وقبضت زيداً عن الأمر: كفيته منه ومنعته من فعله.

اَللّٰهُمَّ إِلىٰ مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلىٰ عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلىٰ تَجاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مايُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلَا فِي عَمَلِي ماأَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمالِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلىٰ نَفسي إِلّا فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

وقوله: «منّي»: ظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف حال من القبض، أي: كائناً منّي.

وأمكنه الأمر إمكاناً: سهل وتيسّر.

وافتقر: مطاوع أفقره، يقال: فقر يفقر ـ من باب تعب ـ: إذا قلّ ماله، وأفقره فافتقر.

والوسع بالضم: الجدة والغنى.

وطغا طغواً من باب قال، طغىٰ يطغىٰ من باب تعب، ومن باب نفع لغة أيضاً فيقال: طغيت، والاسم الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ والإسراف في المعاصي والتكبّر، قال تعالىٰ: «إنّ الإنسان ليَطغىٰ * أنْ رآهُ استَغنىٰ»(١).

والوجد بالضمّ ويفتح ويكسر: الجدة، وهي الثروة والاستغناء أي: لا تبتلني بالطغيان بالاستغناء فأطغى، والحال أنّ استغنائي من عندك؛ فإنّ الطغيان بالمال إنّما يكون بسبب نسيان العبد فضل ربّه وعنايته به، فينسب ذلك إلىٰ كفاية نفسه لا إلىٰ عناية الله تعالى، أمّا إذا اعلم أنّ غناه وجدته من فضله سبحانه، فإنّه لايزيد إلّا تواضعاً وعبوديّة. بل إذا تأمّل وجد نفسه في حال الغنىٰ أشدّ افتقاراً إلىٰ الله(٢)؛ لأنّ الفقير لايتمنّىٰ إلّا سلامة نفسه، والغني يتمنّىٰ سلامة نفسه وماله وأهله وجاهه، والله أعلم *.

تقديم الظرف في الفقرات الأربع للتخصيص، ومعناه: إلىٰ مغفرتك وفدت لا إلىٰ غيرها، وقس علىٰ ذلك.

ووفد إليه وعليه يفد وفداً ـ من باب وعد ـ ووفوداً ووفادةً: قدم وورد، وغلب

---

(١) سوة العلق: الآية ٦ و٧. (٢) (ج): تعالى.

....

استعمال الوفود في قصد الملوك والأمراء ونحوهم للزيادة والاسترفاد والانتجاع.

والمراد به هنا: توجّه نفسه إلى طلب مغفرته تعالى، فهو استعارة، فإن قصد فيه إلىٰ تشبيه نفسه بالشخص الوافد على عظيم في توقّع حصول النفع منه ونيل الإحسان لديه، وجعل إثبات الوفودلها تنبيهاً علىٰ ذلك، كان من قبيل الاستعارة بالكناية.

وإن حمل على أنّ المشبّة به فيه هوالمعنىٰ المصدري الحقيقي للوفود، والمشبّه توجّه نفسه، كان طرفا التشبيه حينئذٍ مفردين والاسَتعارة تبعيّة.

وإن جعل المشبّة به فيه صورة منتزعة من نفسه وتوجّهها إلى المغفرة وطلبها لها وترجّي شمولها له، بصورة منتزعة من الوافد إلى ملك أو نحوه وقصده له وانتجاعه له واسترفاده إيّاه وتأميل نيل إحسانه، كان طرفا التشبيه حينئذٍ مركّبين منتزعين من عدّة أُمور، والاستعارة تمثيليّة والمستعار مجموع الألفاظ الدالة على الصورة المشبّه بها، إلّا أنّه اقتصر منها على لفظ الوفود الدالّ على ما هو العمدة في هذه الصورة، فيدلّ بمعونة قرائن الأحوال على أنّ سائر الألفاظ الدالّة على سائر أجزاء هذه الصورة منويّة في الإرادة فتكون في حكم الملفوظ، ولايخفىٰ أنّ هذا الوجه أنسب بالمقام وأدخل في تحصيل المرام، وأخذ(١) على ذلك ما أشبهه من الألفاظ المستعارة، واختر من الوجوه المذكورة ما هو أليق بمدلول العبارة.

وقصدت الشيءوله وإليه قصداً ـ من باب ضرب ـ: طلبته بعينه.

وتجاوزت عن الذنب تجاوزاً: عفوت عنه وصفحت، وقد تقدّم بيانه.

والشوق: نزاع النفس إلى الشيء.

وقيل: هو اهتياج النفس إلى لقاء المحبوب، يقال: اشتاقه واشتاق إليه بمعنى

---

(١) (ج): واحذ.

اللّهُمَّ وَأنْطِقْني بِالهُدىٰ، وألْهِمْني التقْوىٰ، وَوَفِّقْني لِلّتي هِيَ أزكىٰ، وَاسْتَعْمِلْني بما هُوَ أرْضىٰ، اللّهُمَّ أَسْلُكْ بِيَ الطَّريقَةَ المُثْلىٰ، وَاجْعَلْني عَلىٰ مِلَّتِكَ أموتُ وأحيا.

والفضل: ابتداء الإحسان بلا علّة.

ووثق به يثق بكسرهما ثقةً ووثوقاً: اعتمد عليه.

قوله عليه السّلام: «وليس عندي ما يوجب لي» يحتمل أن يكون الواو للاستئناف، فالجملة لامحلّ لها من الإعراب، وأن تكون للحال، فالجملة في محلّ نصب، أي: والحال أنّه ليس عندي مايوجب(١) مغفرتك.

ووجب الحقّ يجب وجوباً: لزم وثبت، وأوجبه: ألزمه وأثبته.

والمغفرة: هي أن يستر القادرُ القبيح ممّن هو تحت قدرته، حتّى أنّ العبد إذا ستر عيب سيّده مخافة عقابه لايقال: غفر له. واستحق الشيء استوجبه.

قوله عليه السّلام: «بعد أن حكمت على نفسي» أن: مصدريّة، أي: بعد حكمي، يقال: حكم عليه حكماً وحكومة أي: قضى.

ولم يذكر المحكوم به لدلالة الكلام السابق عليه فحذفه اختصاراً؛ إذ المعنىٰ: بعد أن حكمت على نفسي بعدم ما يوجب لي مغفرتك وما أستحقّ به عفوك.

والاستثناء مفرّغ، وهو في الحقيقة من عامّ محذوف، وما بعد إلّا بدل من ذلك المحذوف، والتقدير: ومالي شيء إلّا فضلك.

والفاء من قوله: «فصلّ» فصيحة، أي: إذا لم يكن لي إلّا فضلك فصلّ على محمّد وآله.

وتفضّل عليّ: أي أحسن إليّ بلا علّة وسبب يوجبان الإحسان، والله أعلم *.

الهدىٰ هنا: بمعنىٰ البيان والحجّة بقرينة الإنطاق.

---

(١) (ج): لي.

....

والمراد بالبيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وبالحجّة: الكلام المستقيم. وقيل: البيان: إخراج الشيء عن حيّز الإشكال إلىٰ حيّز التجلّي، والحجّة: البرهان.

قال الفيومي في المصباح: الهدىٰ: البيان (١).

وقال الزمخشري في الفائق وابن الأثير في النهاية: في حديث محمّدبن كعب: بلغني أنّ عبدالله بن أبي سليط قال لعبد الرحمن بن زيد بن حارثة ـ وقد أخر صلاة الظهر ـ: أكانوا يصلّون هذه الصلاة الساعة؟ قال: لا والله، فما هدىٰ ممّا رجع، أي: فما بيّن وماجاء بحجّة ممّا أجاب، إنّما قال: لاوالله، وسكت، والمرجوع: الجواب، فلم يجئ بجواب فيه بيان وحجّة لما فعل من تأخير الصلاة، وهدى بمعنىٰ بيّن في لغة أهل الغور، يقولون: هديت لك بمعنىٰ بيّنت لك، ويقال: بلغتهم نزلت «أولم يهدلهم» (٢) إنتهىٰ.

ويصحّ حمله على الهدىٰ بمعنىٰ الدلالة علىٰ مايوصل إلىٰ المطلوب، أو سلوك طريق يوصل إلى المطلوب، والأوّل أظهر.

والإلهام: أن يلقي الله في نفس العبد أمراً يبعثه على الفعل أو الترك بطريق الفيض، وهو نوع من الوحي يخصّ الله به من يشاء من عباده.

والتقوىٰ في اللغة: الاتّقاء، وهو اتّخاذ الوقاية، وفي العرف: هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته.

وقال بعض العلماء هي بحسب العرف الشرعي تعود إلى خشية الحقّ سبحانه، المستلزمة للإعراض عن كلّ ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها، وتنحية مادون وجهة القصد(٣).

---

(١) المصباح المنير: ص٨٧٤.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ج ٤ ص٩٧ـ ٩٨ مع اختلاف يسير وتقديم وتأخير في العبارة، النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص٢٥٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ١ ص٢٩٩.

....

قال بعض العارفين: إنّ خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت لفظة واحدة وهي التقوى، أُنظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها، فكم علّق عليها من خير، ووعدها من ثواب، وأضاف إليها من سعادة دنيويّة وكرامة أُخرويّة. ولنذكر من خصالها وآثارها الواردة فيه اثنتي عشرة خصلة:

الأُولىٰ: المدحة والثناء، قال الله تعالى: «وإنْ تصبروا وتتقوا فإنّ ذلك مِن عَزمِ الأُمورِ»(١).

الثانية: الحفظ والحراسة، قال تعالى: «وإنْ تَصبروا وتَتقوا لايَضرُّكم كيدُهم شيئاً»(٢).

الثالثة: التأييد والنصر، قال تعالىٰ: «إنّ اللهَ مع الّذينَ اتّقوا»(٣).

الرابعة: النجاة من الشدائد والرزق الحلال، قال تعالى: «ومَن يتّقِ اللهَ يَجعلْ لهُ مخرجاً ويرزقْه من حيثُ لايحتسبُ»(٤).

الخامسة: صلاح العمل، قال تعالىٰ: «يا أيّها الذينَ آمنوا اتّقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً يصلحْ لكم أعمالكم»(٥).

السادسة: غفران الذنوب، قال تعالى: «ويَغفِرْ لكم ذُنوبَكم»(٦).

السابعة: محبّة الله تعالى: قال تعالى: «إنّ اللهَ يحبُّ المتّقينَ»(٧).

الثامنة: قبول الأعمال، قال الله تعالى: «إنّما يتقبّلُ اللهُ من المتّقينَ»(٨).

التاسعة: الإكرام والإعزاز، قال تعالى: «إنّ أكرمَكم عِندَالله أتقاكم»(٩).

العاشرة: البشارة عند الموت، قال تعالى: «الذينَ آمنوا وكانوا يتّقونَ لهم

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.
(٣) سورة النحل: الآية ١٢٨.
(٤) سورة الطلاق: الآية ٢ و٣.
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٧٠ و٧١.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٧) سورة التوبة: الآية ٤.
(٨) سورة المائدة: الآية ٢٧.
(٩) سورة الحجرات: الآية ١٣.

....

البشرىٰ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ»(١).

الحادية: عشرة: النجاة من النار، قال تعالى: «ثمّ ننجّي الذينَ اتّقوا»(٢).

الثانية عشرة: الخلود في الجنّة، قال تعالىٰ «أُعِدّتْ للمتّقينَ»(٣).

فقد ظهر لكَ أنّ سعادة الدارين منطوية فيها ومندرجة تحتها، وهي كنز عظيم وغنم جسيم، وخير كثير وفوز كبير،(٤) إنتهىٰ.

قوله عليه السّلام: «ووفّقني للتّي هي أزكىٰ» أي: للحالة أو الخصلة أو السيرة التي هي أزكىٰ الحالات أو الخصال، أو السير، أي: أنماها وأكثرها ثواباً أو أطهرها أو أصلحها، من زكىٰ المال يزكو زكاءً أي: نمىٰ وزاد، ومنه الزكاة الشرعيّة؛ لأنّها سبب يرجىٰ به الزيادة والبركة. أو من زكىٰ الرجل يزكو: إذ طهر، ومنه: «نفساً زكيّة»(٥). أو من زكىٰ أي: صلح، ومنه: «خيراً منه زكاةً»(٦) أي: صلاحاً.

إنّما لم يذكر الموصوف لما في إبهامه بحذفه من الفخامة التي لا توجد مع إيضاحه، فإنّك أيّما قدّرت من الحالة أو الخصلة أو السيرة، لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف؛ لما فيه من عموم الاعتبار وذهاب الوهم كلّ مذهب.

قوله عليه السّلام: «واستعملني بما هو أرضى» أي: للعمل الذي هو اشدّ إرضاءً لك، أو أعظم الأعمال المرضيّة عندك .

فإنّ قلت: استعمال «أرضىٰ» في كلّ من هذين المعنيين غير قياسي.

أمّا الأوّل فلأنّه بناء لـ «أفعل» التفضيل من ذي الزيادة، وقياسه إنّما يكون من الثلاثي.

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٣ و٦٤.

(٢) سورة مريم: الآية ٧٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٤) الكشكول: ص ٢٤١- ٢٤٢.

(٥) سورة الكهف: الآية ٧٤.

(٦) سورة الكهف: الآية ٨١.

....

وأمّا الثاني، فلأنّه بمعنىٰ المفعول، وقياسه للفاعل.

قلت: أمّا الأوّل فقد ذهب سيبويه إمام الصناعة إلىٰ قياسه من باب أفعل مع كونه ذا زيادة(١).

قال نجم الأئمّة: ويؤيّده كثرة السماع، كقولهم: هو أعطاهم للدينار وأولاهم للمعروف، وأنت أكرم لي من فلان، وهو كثير.

قال: ومجوّزه قلّه التغيير؛ لأنّك تحذف منه الهمزة وتردّه إلى الثلاثي ثمّ تبني منه أفعل التفضيل، فتخلف همزة التفضيل همزة الإفعال(٢).

وأمّا الثاني فوقوعه في كلامه عليه السّلام يكفي في تجويز هذا الاحتمال، ولايحتاج فيه إلى السماع من غيره قطعاً؛ فإنّه عليه السّلام أفصح العرب في زمانه.

قوله عليه السّلام: «واسلك بي الطريقة المثلى» أي: الفضلىٰ، تأنيث الأمثل بمعنىٰ الأفضل.

يقال: مثل مثالة فهو مثيل ككرم كرامة فهو كريم، أي: فضل من باب قتل: فضلاً فهو فاضل.

وفسّر قوله تعالى: «ويَذهبا بِطَرِيقَتِكم المُثلىٰ»(٣) أي: بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب. ومنه: أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل(٤) أي: الأشرف فالأشرف والأعلىٰ فالأعلىٰ في الرتبة والمنزلة.

والمراد بالطريقة المثلىٰ: سبيل الحقّ الموصلة إليه تعالىٰ، التي تطابقت علىٰ الهداية إليها ألسنة الرسل والأولياء.

وقيل: هي السيرة المختصّة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقّي في المقامات.

---

(١) و(٢) شرح الكافية في النحو: للرضي ج ٢ ص ٢١٣. (٣) سورة طه: الآية ٦٣.

(٤) كنزالعمّال: ج ٣ ص ٣٢٧ ح ٦٧٨٣، الكافي: ج ٢ ص ٢٥٩. ح ٢٩، وفيه النبيّون ثمّ الوصيّون.

اللّهُمَّ صَلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْني بِالاقْتِصادِ، واجْعَلْني مِنْ أهْلِ السَّدادِ، وَمِنْ أدِلَّةِ الرَّشادِ، وَمِنْ صالِحي العِبادِ، وَارْزُقْني فَوْزَ المَعادِ، وَسَلامَةَ المِرْصادِ.

وروىٰ ثقة الإسلام في الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام في قول الله تعالى: «وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً» يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي ولاية عليّ بن أبي طالب والأوصياء عليهم السّلام(١).

قوله عليه السّلام: «واجعلني على ملّتك أموت وأحيا».

الملّة: الدين، وقيل: هي معظم الدين وجملة ماجاء به الرسل.

وقيل: هي ما شرع الله لعباده على ألسنة الأنبياء عليهم السّلام، وتستعمل في جملة الشرائع لا في آحادها، ثمّ اتّسعت فاستعملت في الملّة الباطلة أيضاً، فقيل: ملّة الكفر.

وحرف الاستعلاء مؤذن بالثبات أي: ثابتاً علىٰ ملّتك، وهو متعلّق بأموت وأحيا على طريق التنازع. وتقديمه للتخصيص، أي: على ملّتك لا على غيرها، مع مافيه من الاهتمام ورعاية السجع. وقدّم الموت للاهتمام به؛ لأنّ أقوىٰ الناس داعياً إلىٰ العمل من نصب موته بين عينيه، مع رعاية السجع.

والمراد بالحياة ماقبل الموت ومابعده، والله أعلم *.

الاقتصاد: افتعال من القصد بمعنىٰ العدل، وهو التوسّط في الأُمور بين الإفراط والتفريط.

قال الزمخشري في الأساس: قصد في معيشته واقتصد وقصد في الأمر: إذا لم يجاوز فيه الحدّ ورضي بالتوسط؛ لأنّه في ذلك يقصد الأسدّ. وهو علىٰ القصد وعلى قصد السبيل: إذا كان راشداً. وله طريق قصد وقاصدة، خلاف قولهم: طريق جور

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤١٩ ح ٣٩.

....

وجائرة(١) إنتهى.

وقد علمت فيما سبق أنّ الوسط الحقّ، الذي لاميل له إلى أحد الجانبين من الإفراط والتفريط، هو الصراط المستقيم والطريق القصد التي أخذالله على العباد سلوكها، فالمراد بالاقتصاد: سلوك الطريق القصد في العقائد والأقوال والأفعال كما تقدّم بيانه.

وكثيراً ما يستعمل الاقتصاد خاصّاً في التوسّط في الإنفاق بين الإسراف والتقتير، ومنه: ماعال من اقتصد(٢).

وهو من الأُمور التي نصّ الله سبحانه عليها بقولة: «والذينَ إذا أنفَقوا لم يُسرفوا ولم يَقتروا وكان بين ذلك قَواماً»(٣)، ولو حمل علىٰ هذا المعنىٰ هنا لم يكن بعيداً، إلّا أنّ الأعمّ هو الأتمّ.

والسداد بالفتح: الصواب من القول والفعل، وأسدّ الرجل بالألف: جاء بالسداد، وسدّ يسدّ ـ من باب ضرب ـ سدوداً: أصاب في قوله وفعله فهو سديد.

والأدلّة: جمع دليل، وهو فعيل من دلّه على الطريق: إذا هداه إليه وأرشده له.

والرشاد والرشد بالضمّ والرشد بالتحريك: الهدىٰ، والاستقامة، والصواب.

ولمّا كانت الأُمور المعقولة لايهتدىٰ لطريق الحقّ منها إلّا بأُستاذ مرشد يهدي المسترشد إليها ويعرّفه رشادها، وكان العارفون بالله هم أدلّة هذه الطريق والمرشدين إليها، سأل عليه السّلام أن يجعله منهم.

والصالحون من العباد: هم المتّصفون بالصلاح، وهو الخير والصواب(٤).

وقال الزجاج: الصالح: هوالذي يؤدّي الى الله ما افترض عليه ويؤدّي إلى الناس

---

(١) أساس البلاغة: ص٥٠٩.

(٢) الجامع الصغير: ج٢ ص١٤٦ ح٧٩٣٩.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٤) (ج): الثواب.

....

حقوقهم(١).

والفوز: النجاة، والظفر بالبغية.

والمعاد: الآخرة لعود الخلق إليها، والمرجع والمصير، فهو بالمعنىٰ الأوّل ظرف، وبالمعنىٰ الثاني مصدر ميمى، وكلا المعنين محتمل هنا.

والمرصاد ـ كالمنهاج ـ المكان الذي يرصد فيه من الطريق.

يقال: رصدته رصداً ـ من باب قتل ـ: إذا قعدت له على الطريق تترقّبه، ومنه: أرصدت له العقوبة: إذا أعددتها له، وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقّبة له. والمراد بالمرصاد هنا: إمّا جهنّم أعاذنا الله تعالىٰ منها، كما قال تعالىٰ «اِنّ جهنّمَ كانت مرصاداً * للطاغين مآباً»(٢)، سميّت بذلك لأنّ خزنتها يرصدون الكفّار فيها للعذاب، وهي مآبهم، أو لأنّ خزنة الجنّة يرصدون المؤمنين ويستقبلونهم عندها؛ لأنّ جوازهم عليها؛ لقوله تعالى: «وإنْ مِنكم إلاّ وارِدُها»(٣)، وهي مآب الطاغين؛ ولهذا قال الحسن وقتادة: طريقاً وممراً إلى الجنّة(٤).

وإمّا المشار إليه بقوله تعالى: «وإنّ ربّك لبالمرصاد».

قيل: هو تمثيل لعدم الإعمال وانّه لايفوته تعالى شيء من أعمال العباد، لأنّه يسمع ويرىٰ جميع أقوالهم وأفعالهم، كمالا يفوت من هو بالمرصاد.

قيل لأعرابي: أين ربّك ؟ قال: بالمرصاد، وليس يريد به المكان (٥).

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: أنا لك بالمرصد وبالمرصاد أي: لا تفوتني، ومنه: «إنّ ربّكَ لَبالمِرصاد»(٦).

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٧٩.

(٢) سورة النبأ: الآية ٢١ و٢٢.

(٣) سورة مريم: الآية ٧١.

(٤) مجمع البيان: ج٥ـ ٦ ص٥٢٥.

(٥) الجامع الأحكام القرآن: ج ٢٠ ص ٥٠.

(٦) اساس البلاغة: ص٢٣٣.

اللّهُمَّ خُذْ لِنَفْسك مِنْ نفسِي ما يُخَلِّصُها، وأبقِ لِنَفْسي مِنْ نَفْسِي ما يُصْلِحُها، فَإنَّ نَفْسِي هَالكَةٌ أو تَعصمها.

وفي نهج البلاغة من كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشجا من مساغ ريقه(١).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «إنّ ربّك لبالمرصاد» قال: قنطرة على الصراط لايجوزها عبد بمظلمة عبد(٢).

وعن أبي جعفر عليه السّلام: يوضع على جهنّم صراط أدقّ من الشعر وأقطع من السيف، عليه ثلاث قناطر: الأُولى عليها الأمانة والرحم، والثانية عليها الصلاة، والثالثة عليها ربّ العالمين لا إله غيره، «وفي رواية: عدل ربّ العالمين»(٣)، فيكلّفون الممرّ عليها فتحبسهم الأمانة والرحم، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين جلّ ذكره، وهو قوله تبارك وتعالى: «إنّ ربّك لبالمرصاد». والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة(٤)*.

قيل: يمكن أن يكون المعنى اجعل حصّة من نفسي متعلّقة بجنابك المقدس، ليكون ذلك سبباً لخلاص نفسي، وأبق منها مايكون فيه صلاحها؛ فإنّ الخلاص قد يكون مع عدم الصلاح، إنتهى.

وقيل: المعنى اصطف من أعمال نفسي مايخلّصها من سخطك، وأبق لها من مساعيها مايكون به صلاحها.

وقيل: معناه أفعل بي مايوجب نجاة نفسي وخلاصها، من نفع أو ضرر أو فقر أو غنى أو موت أو حياة، وإن كرهت بعض ذلك، وأبق لي من الأعمال الصالحة مايوجب صلاح نفسي ووفّقني له.

---

(١) نهج البلاغة: ص ١٤١ الخطبة ٩٧.
(٢) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص ٥٧٣ ح ١٣.
(٣) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص ٥٧٢ ح ٩.
(٤) الروضة من الكافي: ص ٣١٢.

....

وقيل يحتمل أن يكون المراد بقوله عليه السّلام: «خذ لنفسك من نفسي مايخلّصها» في الإعمال السيّئة والأخلاق الذميمة التي يكون نفيها سبباً لخلوص النفس من الشوائب أو خلاصها من العذاب، فيكون قوله: «لنفسك» أي: لأجل القرب منك. ويحتمل أن يكون المراد به اصطفاءالأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة، التي تكون سبباً لخلوص نفسي أو خلاصها، فيكون قوله: «لنفسك» أي: لأجل رضاك. ولا يخفىٰ بُعد الاحتمال الأول.

هذا ما انتهىٰ إلينا من أقوال الأصحاب في حلّ هذه العبارة من الدعاء.

والذي يخطر بالبال على وجه الاحتمال، أنّه لمّا كانت النفس مكلّفة بالقيام بأمرين:

أحدهما: لله تعالىٰ، وهو وسبب نجاتها وخلاصها من سخطه وعذابه تعالى.

والثاني: للنفس، وهو مالا بدّلها منه من أمر معاشها.

سأل عليه السّلام أن يجعل نفسه قائمة بما هو لله تعالى وهو سبب خلاصها، ولمّا كان هذا المعنىٰ يوجب استغراق النفس فيه، بحيث لايمكنها الاشتغال معه بغيره ولا التوجّه والالتفات إلى أمر آخر، سأل ثانياً أن يبقي لنفسه من نفسه ممّا لابدّ لها منه مقدار مايكون فيه صلاحها، كي لا تكلّ وتحسر عن القيام بما هو لله، ولا(١) تأشر وتبطر فتشتغل بغير ما هو لله، فيكون اشتغالها به في الحقيقة عائداً إلىٰ الأمر الأوّل وفي ذلك صلاحها، والله أعلم بمقاصد أوليائه.

ويؤيّد هذا المعنىٰ الأخير مافي نسخة أخرىٰ: «وأبق لنفسك من نفسي»؛ إذ كان مايصلح النفس على هذا الوجه عائداً إليه سبحانه.

والفاء من قوله: «فإنّ نفسي»: للسببيّة، بمعنىٰ اللام.

---

(١) (ج): لله تعالى وأن لا.

اللّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتي إنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعي إنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغاثَتِي إنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمّا فاتَ خَلَفٌ، ولِما فَسَدَ صَلاحٌ، وَفيما أنكَرْتَ تَغْييرٌ فامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ البَلاءِ بِالعافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلالِ بِالرَّشادِ، وَاكْفِني مَؤُنَةَ مَعَرَّةِ العِبادِ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ المَعادِ، وَامْنِحْني حُسْنَ الإرْشادِ.

وهالكة: أي غير ناجية.

قيل: الهلاك في الأصل: انتهاء الشيء إلى الفساد.

وقال أمين الإسلام أبو علي الطبرسي: أصل الهلاك : الضياع، وهو مصير الشيء بحيث لايدري أين هو؛ ولهذا يقال للكافر: هالك وللميّت هالك وللمعذّب هالك (١).

وفي القاموس: الهالكة: النفس الشرهة(٢)، أي: الشديدة الحرص.

وإرادة هذا المعنىٰ هنا صحيح.

وأو: بمعنىٰ إلّا الاستثنائيّة، و«أنّ» مضمرة بعدها، وهي الناصبة للفعل.

والمعنىٰ: إلّا أن تعصمها، أي: تقيها وتحفظها فلا تكون هالكة.

وأن والفعل مؤوّل بمصدر معطوف على مصدر متصيّد من اسم الفاعل المتقدّم، أي: ليكونن هلاك لنفسي أو عصمة منك لها، والله أعلم *.

العدة بالضمّ: ما أعددته وهيأته لحوادث الدهر من المال والسلاح.

وحزن حزناً من باب تعب، والاسم الحزن بالضمّ فهو حزين. ويتعدّىٰ في لغة قريش بالحركة، يقال: حزنني الأمر يحزنني -من باب قتل- وفي لغة تميم بالألف، فيقال: أحزنني الأمر.

ومنع أبو زيد استعمال الماضي من الثلاثي متعدّياً، فقال: لايقال: حزنه، وإنّما

---

(١) مجمع البيان: ج ٢-١ ص ٢٨٨. (٢) القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٢٥.

....

يستعمل المضارع من الثلاثي، فيقال: يحزنه (١).

والحزن: كيفيّة نفسانيّة تحصل لوقوع مكروه أوفوات محبوب في الماضي.

وإن: حرف شرط استغني عن جوابه بحذفه؛ لدلالة ما تقدّم من الكلام عليه، والتقدير: إن حزنت فأنت عدّتي، فحذف الجواب وجوباً لما ذكر.

والمنتجع بفتح الجيم: اسم مفعول من انتجعت فلاناً: إذا طلبت معروفه، وأصل الانتجاع: طلب الكلاء في موضعه.

وحرمت زيداً المعروف -من باب ضرب- يتعدّى إلى مفعولين حرماناً بالكسر فهو محروم أي: منعته إيّاه.

واستغاث به: طلب أن يغيثه أي: يعينه وينصره، فهو مغيث له.

وكرثه الغمّ بالثاء المثلّثة -من باب قتل-: اشتدّ عليه وأقلقه وبلغ منه المشقّة، ويعدّى بالهمزة أيضاً فيقال: أكرثه.

وتقديم الظرف للتخصيص، أي: بك استغاثتي لابغيرك ، وقس عليه مابعده.

وفات الأمر يفوت: ذهب.

والخلف بفتحتين: اسم من أخلف الله عليه بالألف، أي: ردّ عليه ماذهب، فهو بمعنى العوض.

قال الزمخشري في الأساس: اخلف الله عليك: عوّضك ممّا ذهب منك خلفاً(٢)، انتهى.

وفي الحديث: اللّهم اعط كلّ منفق خلفاً (٣).

قال الكرماني: هو بفتح اللام أي: عوضاً عاجلاً مالاً أو دفع سوء، أو آجلاً

---

(١) المصباح المنير: ص١٨٣.

(٢) أساس البلاغة: ص١٧٣.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٦٦، صحيح البخاري: ج٧ ص٢٠٤.

....

ثواباً فكم من منفق قلما يقع له الخلف المالي (١)، إنتهىٰ.

وفسد الشيء ـ من باب قعد ـ: خرج عن كونه منتفعاً به. ومقابله الصلاح، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة.

وأنكرت عليه فعله إنكاراً: عبته(٢) وهجنته.

وغيّرت الشيء تغييراً: أزلته عمّا كان عليه فتغيّر، يعني أنّك قادر على تغيير مالا ترتضيه بما ترتضيه، وفي أمثالهم: من أنكر غيّر (٣).

ومنّ عليه بالعتق منّاً ـ من باب قتل ـ وامتنّ عليه به أيضاً: أنعم عليه به.

والفاء: فصيحة، أي: إذا كنت بهذه الصفات فأنعم عليّ قبل حصول البلاء بالعافية.

والمراد بالبلاء هنا: الإصابة بالمكروه.

والعافية: دفع الله تعالى عن العبد مايكرهه. وكلّ منها يكون جسمانياً ونفسانياً.

وطلب الشيء ـ من باب قتل ـ طلباً محرّكة: حاول حصوله لديه.

والجدة: الغنىٰ، يقال: وجد يجد جدةً: إذا استغنىٰ غنىٰ لا فقر بعده.

والضلال: فقدان ما يوصل إلىٰ المطلوب.

وقيل: سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب.

والرشاد: اسم من رشد يرشد رشداً ـ من باب تعب ـ ورشد يرشد ـ من باب قتل ـ: إذا اهتدىٰ وعرف الصواب.

والمؤونة قيل: من مان يمونه: إذا قام بكفاية أمره، وأصلها موونة بواوين علىٰ فعولة، قلبت الواو الأُولىٰ همزة؛ لأنّ الواو المضمومة المتوسّطة تقلب همزة، نحو: أدؤر

---

(١) لم نعثر عليه في شرح الكرماني. (٢) (ج) عيبته. (٣) لم نعثر عليه.

....

في جمع دار.

وقيل: الهمزة أصليّة، فهو فعولة بمعنى الثقل من مأنت القوم: إذا احتملت(١) مؤونتهم.

وقيل: بمعنى العدّة من قولهم: أتاني هذا لأمر ومامأنت له مأناً بالهمزة: إذا لم يستعدّ له.

وقيل: من الأون: بمعنى الثقل لكون المؤونة مستلزمة للثقل، والأصل مأونة، نقلت حركة الواو إلى الهمزة وصارت مؤونة، ووزنها على هذا مفعلة.

وقيل: هي من الاون بمعنى العدل وأحد جانبي الخرج لأنّه يثقل على الإنسان.

وقال الفراء: هي من الأين وهو التعب والشدّة(٢).

والأصل مأينة، نقلت حركة الياء إلى الهمزة فصارت مَؤْيُنة، ثمّ قلبت الياء واواً؛ لسكونها وانضمام ماقبلها، فصارت مؤونة، ووزنها على هذا مفعلة، واستبعد بكثرة التغيير فيه، وقد تستعمل بدون همزة فيقال: مؤونة كسورة.

والمعرّة: مفعلة من عرّفلان فلاناً: إذا شانه وألحق به عيباً.

وتطلق على الأمر القبيح المكروه وعلى الفساد والمشقّة، وإضافتها إلى العباد من باب الإضافة إلى الفاعل.

والمعنى: ادفع عنّي مؤونة مايلحقني من العباد، من العيب والمكروه والمشقّة والفساد.

والمعاد: إمّا مصدر أو ظرف، كما تقدّم.

ومنحه يمنحه منحاً ـ من بابي نفع وضرب ـ: أعطاه.

وحسن الإرشاد: حسن الهداية، والدلالة على الصواب. وفي نسخة: «حسن

---

(١) (ج): حملت.

(٢) لسان العرب: ج١٣ ص٣٩٦.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأدْرَأْ عَنّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُني بِنِعْمَتِكَ، وَأصْلِحْني بِكَرَمِكَ، وَداوِني بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّني في ذَراكَ، وَجَلِّلْني رِضاكَ، ووَفِّقْني إذا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأُمورُ لأَهْداها، وَإذا تَشابَهَتِ الأعمالُ لأزْكاها، وَإذا تَناقَضَتِ المِلَلُ لِأَرْضاها.

الارتياد» اي: الطلب.

يقال: ارتاد الرجل الشيءارتياداً أي: طلبه. وحسن الطلب من مهمّات الأُمور؛ لأنّه أنجح للمطلب وآكد في قضاء الإرب(١)، والله أعلم *.

درأ الشيء درأً -من باب نفع- دفعه، وحذف المفعول للتعميم مع الإختصار، أي: ادرأ عنّي كلّ سوء، وهذا التعميم وإن أمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنّه يفوت الاختصار. وإنّما لم يجعله من قبيل ما نزلّ منزلة اللازم؛ لأنّ التأمّل الذوقي يشهد أنّ القصد في هذا المقام إلى المفعول؛ فإنّ الحمل علىٰ أمثال هذه المعاني ممّا يتعلّق بقصد المتكلّم ومناسبة المقام؛ ولذا جعل صاحب المفتاح «فلان يعطي» محتملاً للتنزيل منزلة اللازم وللقصد إلىٰ تعميم المفعول (٢).

واللطف: الرفق، والبرّ.

وغذوت الصبي باللبن فاغتذىٰ أي: ربيّته به، وغذّيته بالتثقيل مبالغة، والغذاء: ما يُغتذىٰ به من الطعام والشراب وهو ما به نماء الجسم وقوامه.

والنعمة: ما قصد به الإحسان والنفع، واستعمال الغذاء فيها استعارة تبعيّة، أوهي استعارة مكنيّة تخييليّة او تمثيليّة، على ما تقدّم بيانه.

والإصلاح: إعادة ما فسد إلىٰ الصلاح.

والكرم: إفادة ماينبغي لالغرض.

وداويته مداواةً عالجته بالدواء، وهو مايتداوىٰ به لدفع المرض. وحذف متعلّق

---

(١) (ج): الأدب.

....

المداواة للتعميم، أي: داوني من كلّ داء جسماني ونفساني.

والصنع بالضمّ والصنيعة: ما اصطنع من خير وإحسان.

يقال: ما احسن صنع الله عندك.

وأظلّه: ستره عن الشمس، وألقىٰ عليه ظلّه.

والذرىٰ بالفتح: كلّ ما استترت به.

يقال: أنا في ظلّ فلان وفي ذراه، أي: في كنفه وستره، حكاه الجوهري عن الأصمعي(١).

وقال الفارابي في ديوان الأدب: الذرىٰ الظلّ، يقال: كنّا في ذراه أي: في كنفه(٢).

والمعنىٰ: استرني في سترك وكنفك.

وجلّلني رضاك أي: ألبسني إيّاه وغطّني به.

قال ابن فارس في متخيّر الألفاظ: جلّل الأرض المطر بالتثقيل: عمّها وطبقها فلم يدع شيئاً إلّا غطّى عليه، ومنه يقال: جلّلت الشيء: إذا غطّيته(٣).

واشتكلت الأُمور: التبست. وفي نسخة: «أشكلت» وهو المسموع.

وأهدىٰ الأُمور: أقربها إلى الصواب، أو أعظمها دلالة علىٰ الحقّ.

وتشابهت الأشياء واشتبهت أشبه كلّ منها الآخر فالتبست.

وأزكاها: أطهرها، أو أكثرها نفعاً وزيادةً في الثواب.

وتناقض الكلامان: تدافعا، كأنّ كلّ واحد نقض الآخر أي: أبطله، وفي كلامه تناقض: إذا كان بعضه يقتضي إبطال بعض.

والملل: جمع ملّة وهي المذهب.

---

(١) الصحاح: ج ٦ ص ٢٣٤٥. (٢) ديوان الأدب ج ٣ ص ٣٣. (٣) متخيّر الألفاظ ص ٢٠٨.

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْني بِالْكِفايَةِ، وَسُمْني حُسْنَ الوِلايَةِ، وَهَبْ لي صِدق الهِدايَةِ، وَلا تَفْتِنّي بِالسَّعَةِ، وَامْنِحْني حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلا تَجْعَل عَيْشي كَدّاً كَدّاً، وَلا تَرُدَّ دُعائي عَلَيَّ رَدّاً، فَإنّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِداً، وَلا أدعومَعَكَ نِدّاً.

وأرضاها أي: أعظمها إرضاءً لك، أو أعظم ماترضاه منها.

فإن قلت: أفعل التفضيل إنّما يصحّ في شيئين يشتركان في معنىٰ ثمّ يكون للمفضّل فضل علىٰ الآخر فيه، وكيف يتصوّر في غير هذه الملّة رضا الله تعالىٰ حتّىٰ يستقيم هذا التفضيل؟ قلت: لاشيئ من الملل إلّا وفيه نوع مما يرضي الله تعالى أو يرضاه الله تعالى، كالاعتراف بالله سبحانه ومكارم العادات وقوانين السياسات، إلّا أنّ بعض الخلل أبطل الكلّ فالكلّ ينهدم بانهْدام الجزء، فصحّ التفضيل، والله أعلم *.

توّجه: ألبسه التاج، وهو مايصاغ للملوك من الذهب والجوهر(١) فتضعه علىٰ رؤوسها.

والكفاية: الاستغناء، من كفى الشيء يكفي كفايةً: إذا حصل به الإستغناء عن غيره.

شبّه الكفاية في نفسه بالتاج في الإجلال والتوقير والعظمة، ودلّ على ذلك بالتتويج، فتكون استعارة بالكناية، وإثبات التتويج تخييل، ولك جعلها من باب الاستعارة التبعيّة أو التمثيليّة، كما بينّاه فيما سبق.

وسامه الأمر يسومه أولاه إيّاه.

قال الجوهري: سمته خسفاً: أوليته إيّاه(٢)، وسمته الأمر أيضاً: أردته منه.

قال الزمخشري: في الأساس: سمت المراة المعانقة: أردتها منها وعرضتها عليها(٣).

---

(١) (ج): والفضّة. (٢) الصحاح: ج ٥ ص ١٩٥٦. (٣) أساس البلاغة: ص ٣١٥.

....

أي: أولني حسن الولاية، أو أردها منّي.

والولاية بالفتح والكسر: مصدر وليت الشيء إذا قمت به.

وقال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر، والولاية بالكسر الاسم مثل الإمارة والنقابة؛ لأنّه اسم لما توليّته وقمت به، فإذا أرادوا المصدر فتحوا(١).

والمراد بحسن الولاية: حسن القيام بما يتولاّه ويقوم به من الأُمور.

والولاية بالفتح والكسر أيضاً: النصرة. وإرادة هذا المعنىٰ محتمل هنا، أي: أولني حسن نصرتك لي.

والصدق في اللغة: مطابقة الحكم للواقع، وقد يراد به مطلق الجودة، وهو المراد هنا؛ وذلك لمّا كان الصدق في الحديث مستحسناً جيّداً(٢) صاروا يستعملونه في مطلق الجودة، حتّىٰ قالوا: خلّ صادق الحموضة، وعنب صادق الحلاوة.

والصدق في اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحقّ في مواطن الهلاك.

وقيل: هوأن تصدق في موضع لاينجيك منه إلّا الكذب.

وقيل: الصدق أن لايكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في اعمالك عيب. وإرادة هذا المعنىٰ هنا حسنة.

والمراد بالهداية: إمّا اهتداؤه، أو هداية الله تعالىٰ له، أو هدايته هو لغيره، فيكون المراد بصدقها علىٰ المعنىٰ الأوّل الثبات عليها والرسوخ فيها، وعلىٰ المعنيين الآخرين الإيصال إلى المطلوب؛ إذ كان الصحيح أنّها عبارة عن الدلالة على ما من شأنه الإيصال إلى البغية من غير أن يشترط في مدلولها الوصول؛ ولذلك كانت الدلالات التكوينيّة المنصوبة في الآفاق والأنفس، والبيّنات التشريعيّة الواردة في الكتب السماويّة على الإطلاق، بالنسبة إلىٰ البريّة كافّة برّها وفاجرها،

---

(١) لسان العرب: ج ١٥ ص ٤٠٧.

(٢) (ج): جدّاً.

....

هدايات حقيقيّة فائضة من عندالله جلّ جلاله.

ويحتمل أن يراد بصدق الهداية هنا الهداية الخاصّة، وهي كشف الأسرار على قلب المهدي بالوحي أو الإلهام، وهي مرتبة صاحب الدعاء ومن هو في رتبته.

ولا تفتنّي بالسعة أي: لا تضلّني بالغنى، وقد تقدّم أنّ الفتنة هي الضلال عن الحقّ بمحبّة أمرٍ ما من الأُمور الباطلة، والاشتغال به عمّا هو الواجب من سلوك سبيل الله تعالىٰ.

والمنح: العطاء، منحه من بابي نفع وضرب.

والرواية في الدعاء وردت بالوجهين.

والدعة: الراحة وخفض العيش، والهاء عوض من الواو، تقول منه: ودع الرجل -من باب حسن- فهو وادع أي: مستريح لا كلفة عليه، ورجل متّدع أي: صاحب دعة وراحة.

والعيش: الحياة، وما يعاش به.

والكدّ: الشدّة والتعب في الكسب، كدّ في عمله كدّاً: إذا جهد وتعب، وكرّر الكدّ لدلالة التكرير على التتابع والتكثير، أي: كدّاً متتابعاً، كقوله تعالى: «كلاّ إذا دُكّت الأرضُ دَكّاً دكّاً»(١) أي: مرّة بعد أُخرىٰ، وليس الثاني: تأكيداً للأوّل فيها كما توهّمه كثير من الناس.

قال ابن هشام في شرح القطر: ليس من توكيد الاسم قوله تعالى: «كلاّ إذا دكّت الأرض دكّاً دكّاً وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً»، خلافاً لكثير من النحويّين؛ لأنّه جاء في التفسير أنّ معنىٰ دكّاً دكّاً: دكّاً بعد دكّ، وأنّ الدكّ كرّر عليها حتّىٰ صارت هباءً منثوراً، وأن معنىٰ «صفّاً صفّاً» أنّه تنزل ملائكة كلّ

(١) سورة الفجر: الآية ٢١.

....

سماء فيصطفّون صفّاً بعد صفّ محدقين بالجنّ والإنس، وعلى هذا فليس الثاني منهما توكيداً للأوّل بل المراد التكرير، كما تقول علّمته الحساب باباً باباً(١)، إنتهى.

فإن قلت: إذا لم يكن الثاني توكيداً للأوّل فعلام نصب وما العامل فيه؟

قلت: المختار فيه وفي نظائره ان يكون الجزء الثاني معمولاً للعامل الأوّل أيضاً؛ لأنّ مجموع الجزءين هو المعمول في المعنىٰ، إذ معنىٰ «ولا تجعل عيشي كدّاً كدّاً»: لاتجعله متتابع الكدّ، ونظيره في الفاعل: تلقّفها رجل رجل. وفي الخبر: الرمّان حلوحامض، وفي الحال: دخلوا رجلاً رجلاً، وحسبته باباً باباً، وفي المضاف إليه. كلّ فرد فرد، فالمجموع يستحقّ إعراباً واحداً، إلّا أنّه لمّا تعدّد ذلك المستحقّ مع صلاحيّة كلّ واحد للإعراب أُجري عليها إعراب الجميع دفعاً للتحكّم. وقد استوفيت الكلام على هذه المسألة في شرح الصمديّة، ونقلت أقوال العلماء فيها ومايرد علىٰ كلّ منها بما لامزيد عليه، فليرجع إليه.(٢).

وردّ علىٰ زيد قوله: لم يقلبه، فردّ الدعاء هنا بمعنىٰ عدم قبوله. وردّاً: مفعول مطلق مؤكّد لعامله.

والضدّ: النظير والكفو.

وقال أبوعمرو: الضدّ مثل الشيء، والضدّ خلافه (٣).

وفي القاموس: الضدّ بالكسر: المثل، والمخالف ضدّه(٤).

قوله عليه السّلام: «لا أجعل» أي: لا اعتقد، من الجعل بمعنىٰ التصيير الذي يكون بالاعتقاد، ومنه: «وجَعلوا الملائكةَ الذينَ هم عبادُ الرحمٰنِ إناثاً» (٥).

وقوله: «ولا أدعو» أي: لاأعبد واستعمال الدعاء بمعنىٰ العبادة كثير في

---

(١) شرح قطر الندىٰ ص ٢٩٢. (٢) لم نعثر عليه. (٣) لسان العرب: ص ٢٦٣.
(٤) القاموس المحيط: ج ١ ص ٣٠٩. (٥) سورة الزخرف: الآية ١٩.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْني مِنَ السَّرَفِ، وَحصِّنْ رِزْقي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتي بِالبَرَكَةِ فيه، وَأَصِبْ بي سَبيلَ الهِدايَةِ لِلْبِرِّ فيما أُنْفِقُ مِنْهُ.

القرآن، ومنه: «قُل إنّما أدعو رَبّي ولا أُشركُ به أحداً»(١) وقوله(٢): «إن يدعونَ من دونهِ إلّا إناثاً»(٣)، أي: لايعبدون. والندّ بالكسر: المثل، قالوا: ولايقال إلا للمثل المخالف المنادّ، من نادوت الرجل: إذا خالفته ونافرته، من ندّ ندوداً: إذا نفر، خصّ بالمماثل بالذات المخالف بالأفعال، كما خصّ المساوي بالمماثل في المقدار.

والظاهر أن المراد بالضدّ هنا: المخالف، وبالندّ: المماثل مطلقاً؛ فإنّ استعمال الضدّ بمعنىٰ المخالف أشهر من استعماله بمعنىٰ الكفو والنظير.

قال الزمخشري: والنيسابوري: معنىٰ قول الموحّد: ليس لله ندّ ولا ضدّ: نفي ما يسدّ مسدّه ونفي ماينافيه(٤)، والله أعلم *.

منعه من الأمر: كفّه عنه.

والسرف محرّكة: اسم من أسرف إسرافاً: إذا جاوز الحدّ في النفقة وغيرها. والمراد به هنا الأوّل، ويرادفه التبذير.

وقد تقدّم الكلام عليه مبسوطاً في الروضة الثامنة عند قوله عليه السّلام: «ونعوذ بك من تناول الإسراف» (٥).

وحصّنه تحصيناً: حماه ومنعه.

والرزق: ما أعطىٰ الله عبده وأمكنه من التصرّف فيه. وتلف تلفاً ـ من باب

---

(١) سورة الجن: الآية ٢٠ (٢) (ج) تعالى. (٣) سورة النساء: الآية ١١٧.

(٤) تفسير الكشاف: ج ١ ص ٩٥، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٦٦.

(٥) ج ٢ ص ٣٨٦.

....

تعب ـ: هلك وفنى فهو تالف، وأتلف ماله: أفناه، ورجل متلف لما له ومتلاف للمبالغة.

والمراد بتحصين الرزق من التلف: صونه عن الضياع والهلاك، إمّا بإلهام صاحبه أدب الإنفاق فينفق منه بدون تبذير يأتي عليه، أو: بحفظه من حوادث الدهر كالنهب والسرقة. ووفّرت الشيء توفيراً: كثّرته.

والملكة محرّكة: هي القيام بالمماليك وما يملك من ذات اليد.

قال عليه السّلام: حسن الملكة نماء، وسوء الملكة شؤم.(١)

والمراد بتوفير الملكة توفير متعلّقها أعني مايملك، وهو الرزق المقدّم ذكره. وإيقاع التوفير عليها مجاز عقلي، نحو قوله تعالى: «ولا تُطيعوا أمرَ المسرفينَ»(٢)، جعل الأمر مطاعاً وإنّما المطاع في الحقيقة هو الآمر ومن لم يهتد لهذا المعنىٰ مع وضوحه جعل الملكة بمعنىٰ الملك، وهو خطأ صريح.

وفي نسخة: «ووفّر ملكي»، فيكون نسبة التوفير إليه حقيقة. والبركة: الزيادة والنماء.

والضمير من «فيه» راجع إلىٰ الرزق.

وقول بعضهم: إنّه للملكة وتذكيره لأنّها بمعنىٰ الملك، غلط وجهل، نعم(٣) هو علىٰ رواية «ملكي» عائد إليه.

وأصب بي سبيل الهداية: أي اقصد بي وأُمّ بي طريق الهداية، من الإصابة بمعنىٰ القصد.

والبّر: الخير، والاتّساع في الإحسان.

---

(١) سنن أبي داود: ج ٤ ص ٣٤١ ح ٥١٦١، عوالي اللئالي: ج ١ ص ٢٧٢ ح ٨٨، الجامع الصغير: ج ١ ص ١٤٨. وفي الجميع: وسوء الخلق.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٥١.

(٣) (ج) وهو.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاكْفِني مَؤُنَةَ الاكْتِسابِ، وَارْزُقْني مِنْ غَيْرِ احتِسابٍ، فَلا أشْتَغِلَ عَنْ عِبادَتِكَ بالطَّلَبِ، وَلا أحْتَمِلَ إصْرَ

والإنفاق: صرف المال في الحاجة.

وضمير: «منه» للرزق، أو للملك على الرواية الأُخرىٰ.

واعلم أنّ مدار هذا الفصل من الدعاء على سؤال صيانة المال وتوفيره وإنفاقه في أبواب البرّ، ولمّا كان المال قوام العباد في أمر المعاش والمعاد، ظاهر النفع في باب الحسنات بيّن الجدوىٰ في أسباب الخيرات؛ وعن(١) هذا سمّاه الله خيراً في مواضع من كتابه، سأل عليه السّلام منعه فيه عن(٢) السرف ، وصونه عن التلف، وتوفير الملكة بالبركة.

ثمّ لمّا كان الغرض من المال إقامةً أوامر الله تعالىٰ ومرضياته، من أداء الحجّ وإراقة دماء القرابين، والشفقة على ضعفاء المسلمين، وصلة الرحم، وقرى الضيف، وحمالة الديات، وكفاية المؤونات، إلىٰ غير ذلك من أبواب البرّ، سأل عليه السّلام إصابته به سبيل البرّ فيما ينفق منه. وهذا المعنىٰ حمل سليمان عليه السّلام على أن سأل ربّه جلّ جلاله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، لأنّه سأل ذلك لحبّ المال نفسه وصرفه إلىٰ لذّات النفس وشهواتها، حاشاه من ذلك.

حكىٰ الزمخشري في ربيع الأبرار قال: لمّا وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لاستباحة أهل المدينة، ضمّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام إلىٰ نفسه أربعمائة منافية بحشمهنّ يعولهنّ إلىٰ أن تقوّض جيش مسلم، فقالت أمرأة منهنّ: ما عشت والله بين أبويّ بمثل ذلك التشريف (٣) *.

كفاه الأمر: إذا اقام به.

والمؤونة: الثقل والمشقّة.

---

(١) و(٢) (ج): ومن.

(٣) لم نعثر عليه في الكتاب.

تَبِعاتِ المَكْسَبِ، اللّهُمَّ فاطْلِبْني بِقُدْرَتِكَ ما أطْلُبُ، وَأجِرْني بِعِزَّتِكَ مِمّا أرْهَبُ.

وكسب -من باب ضرب- كسباً واكتسب اكتساباً: طلب المعيشة، وفي الاكتساب مزيد اعتمال ناشئ عن اعتناء النفس بتحصيل الغرض. وسعيها في طلبه.

والاحتساب: إمّا افتعال من حسبه -من باب علم- حسباناً بالكسر، أي: ظنّه.

أو من حسبه- من باب قتل- حسباً وحسباناً بالضمّ أي: عدّه، أي: من غير أن يكون لي في ظنّ أو في حساب.

وروي عن الصادق عليه السّلام في قوله تعالى: «ويرزقه من حيث لايحتسب» قال: يبارك له فيما آتاه(١).

وعنه عليه السّلام: أنّ الله عزّوجل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لايحتسبون (٢).

وذلك أنّ العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه.

وفي رواية: من أتاه الله برزق لم يخط إليه برجله، ولم يمدّ إليه يده، ولم يتكلّم فيه بلسانه، ولم يشدّ إليه ثيابه ولم يتعرض له، كان ممّن ذكره الله في كتابه: «وَمَن يتّقِ اللهَ يَجعل لَه مَخرجاً ويَرزُقه مِن حيث لايَحتسب»(٣).

قال بعضهم: ويحتمل أن يكون الاحتساب في الدعاء بمعنى الحساب، تلميحاً إلى قوله: «إنّ الله يرزق من يشاءُ بغيرِ حساب»(٤)، أي: بغير تقدير لكثرته، أو بغير استحقاق تفضّلاً منه، أو من غير أن يكون لأحد عليه حساب أو مطالبة، أو بغير

---

(١) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص٣٥٧ ح ٤٦. (٢) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص٣٥٤ ح ٣٤.

(٣) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ص٣٥٦ ح ٤٣. (٤) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

....

تعب وكدّ، أو بغير حساب عليه في الآخرة.

والفاء من قوله: «فلا أشتغل»: سببيّة، ونصب المضارع بعدها بـ «أن» مضمرة وجوباً، لكونها مسبوقة بالدعاء، كقوله:

ربّ وفّقني فلا أعدلَ عن سنن الساعين في خير سنن

وأشتغل: مضارع اشتغلت(١) بالبناء للفاعل.

قال الأزهري: اشتغل بأمره فهو مشتغل بالبناء للفاعل (٢).

قال ابن فارس: ولايكادون يقولون: اشتغل، وهو جائز يعني بالبناء للفاعل(٣).

ومن هنا قال بعضهم: اشتغل بالبناء للمفعول لايجوز بناؤه للفاعل؛ لأنّ الافتعال إن كان مطاوعاً فلازم لاغير، وإن كان غير مطاوع فلابدّ أن يكون فيه معنى التعدّي، نحو: اكتسبت المال، واكتحلت، واختضبت، أي: كحلت عيني، وخضبت يدي، واشتغلت ليس بمطاوع وليس فيه معنى التعدّي.

وأُجيب بأنّه في الأصل مطاوع لفعل هُجِر استعماله في فصيح الكلام، والأصل أشغلته بالألف فاشتغل، مثل أحرقته فاحترق، وفيه معنى التعدّي؛ فإنّك تقول اشتغلت بكذا، والجارّ والمجرور في معنى المفعول.

وقد نصّ الأزهري على استعمال مشتغِل ومشتغَل (٤).

وفي نسخة ابن إدريس: «فلا أُشغل» بالبناء للمفعول مضارع شغلت به، وهي أحسن.

واحتمل الشيء-على افتعله- بمعنى: حمله.

والإصر بالكسر: الحمل الثقيل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه مكانه.

---

(١) (ج) اشتغل. (٢) و(٣) المصباح المنير: ص ٤٣١. (٤) المصباح المنير: ص ٤٣١.

....

وقيل: هو الثقل والشدّة.

والتبعات: جمع تبعة على وزن كلمة.

قال صاحب المحكم: التبعة والتباعة: ما أتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها، والتبعة والتباعة: مافيه إثم يتبع به(١)، إنتهىٰ.

وإرادة المعنىٰ الثاني هنا أنسب، وأكثر أهل اللغة لم يذكروا للتبعة إلّا المعنىٰ الأوّل.

والمكسب: مصدر ميمي بمعنىٰ الكسب. وفي هذه الفقرة دلالة على عزّة اكتساب المال من الوجه الذي يحلّ ويجمل، وأنّ المكاسب الطيّبة الجميلة قليلة عند الحرّ العادل، ومن هنا كان العالم العاقل في أكثر الأحوال مقلّاً؛ لأنّه لا يأخذ المال إلّا كما يجب وفي الوقت الذي يجب، والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث لايبالي فيما يتناول بارتكاب محظور، واستباحة محجور، وتناول محذور، واستنزال الناس عمّا في أيديهم بالمكر، ومساعدتهم علىٰ ارتكاب الشرّ طعماً في نفعهم؛ ولهذا ما يوجد الكريم الفاضل والعالم العادل يتّهم جدّه ويشكو بخته، كما قال القائل.

لا تنكري إن كان أعسرفيكم ذوالمجد واستغنى لئيم المحتد
إنّ البزاة رؤوسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد

وقال أبوتمّام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنىٰ فالسيل حرب للمكان العالي(٢)

وقال آخر:

وحكومة الأيّام يسعد جاهل فيها ويشقىٰ العالم النحرير(٣)

قوله السّلام: «فاطلبني بقدرتك ما أطلب» أطلبه إطلاباً: أسعفه بما طلب.

---

(١) المحكم في اللغة: ج ٢ ص ٤٣. (٢) لم نعثر عليه

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ص ٥١٨.

....

قال في الفائق: إطلاب الحاجة: إنجازها والإسعاف بها، يقال: طلبته فأطلبني أي: أسعفني، كما يقال: سألته فأسألني أي: أعطاني سؤلي(١).

وأجاره إجارةً: حفظه وأمنه.

ورهب رهباً -من باب تعب-: خاف، والاسم الرهبة. ومدار هذا الفصل على سؤال إلهامه عليه السّلام الإجمال في الكسب والطلب، وصونه عن تحمّل المشقّة وارتكاب المآثم فيهما.

وروى ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع: ألا إنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله؛ فإنّ الله تبارك وتعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً، فمن اتّقى الله وصبر أتاه الله برزقه من حلّه، ومن هتك حجاب الستر وعجلّ فأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال، وحوسب عليه يوم القيامة(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: كم من متعب نفسه مقتّر عليه، ومقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير(٣).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جدّاً.

ولا يتوهّم أنّه عليه السّلام سأل ترك الاكتساب مطلقاً، فإنّ ذلك لا يجوز، فقد تظافرت الأخبار عنهم عليهم السّلام أنّ أحد من لا يستجاب له رجل جلس في بيته وقال: يا ربّ ارزقني، فيقال: ألم آمرك بالطلب(٤).

---

(١) الفائق: ج ٣ ص ٦٩. (٢) الكافي: ج ٥ ص ٨٠ ح ١. (٣) الكافي: ج ٥ ص ٨١ ح ٦.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٥١١ ح ٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

اللهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحمَّدٍ وآلِهِ، وصُنْ وَجْهي بِاليَسارِ، وَلا تَبْتَذِلْ جاهي بِالإِقْتارِ فَأَسْتَرْزِقَ أهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيْ شِرارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أعْطاني، وأُبْتَلي بِذَمِّ مَنْ مَنَعَني، وأنْتَ مِنْ دونِهِمْ وَليُّ الإِعْطاءِ وَالمَنْعِ.

وعن عليّ بن عبدالعزيز قال: قال لي أبوعبدالله عليه السّلام: ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل علىٰ العبادة وترك التجارة، فقال: ويحه أما علم أنّ تارك الطلب لايستجاب له، إنّ قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا نزلت «ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب»، أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وآله، فأرسل إليهم فقال: ماحملكم على ماصنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله، الله تكفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: إنّه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب(١).

والروايات في هذا الباب أكثر من أن تحصىٰ *.

هذا الفصل من الدعاء أورده السيّد الرضي في نهج البلاغة، ونسبه إلى أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، إلّا أن بين الألفاظ اختلافاً يسيراً، وعبارة النهج: ومن دعاء له عليه السّلام: اللّهم صُن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار، فأسترزق طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وأبتلي بحمد من أعطاني، وأفتتن بذمّ من منعني، وأنت من وراء ذلك وليّ الاعطاء والمنع، إنّك على كلّ شيءٍ قدير.

صانه صوناً: حفظه ووقاه، وصان الرجل عرضه عن الدنس فهو صين، وصان الثوب: خلاف ابتذله.

والوجه هنا: بمعنىٰ الجاه، ومنه: كان لعليّ عليه السّلام وجه من الناس حياة فاطمة(٢).

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٤ ح ٥.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٩.

....

قال ابن الأثير: أي: جاه وعزّ فقدهما بعدها (١).

واليسار بالفتح: الغنىٰ والثروة.

وابتذله: امتهنه ولم يصنه.

والجاه: القدر والمنزلة والحرمة.

قيل: هو مقلوب من الوجه.

وقتر على عياله قتراً وقتوراً -من بابي ضرب وقعد- وأقتر إقتاراً وقتّر تقتيراً أي: ضيّق في النفقة، كلّ ذلك بمعنىً واحد.

والمراد به هنا: ضيق الرزق والفقر.

سأل عليه السّلام صون جاهه وعزّه باليسار، وعدم امتهان قدره وحرمته بالإقتار؛ لاستلزام الغنى احترام صاحبه عندعامّة الناس.

واستلزام الفقر مهانة المبتلىٰ به عندهم. وفي بعض الآثار: أحسنوا تعهّد المال فإنّه ما افتقر أحد قطّ إلّا أصابه ثلاث خلال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب من مروّته، والرابعة هي العظمىٰ وهي استخفاف الناس به.

وفي وصايا لقمان: يابنيّ أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم يكونا أمرّ من الفقر، فإنّ افتقرت فلا تحدّث الناس كيلا ينتقصوك (٢).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: لا تدعوا التجارة فتهونوا(٣).

وكان بعضهم يقول: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، ومن الذنب للمصرّ، ومن الحكم للمقرّ، وهو عندهم أرفع من السماء وأعذب من الماء، وأحلىٰ من الشهد وأزكىٰ من الورد، خطؤه صواب وسيّئته حسنة، وقوله مقبول

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٩.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٢ ح ٨، مع اختلاف يسير في العبارة. (٣) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٧ ح ٦.

....

وحديثه معسول، يغشىٰ مجلسه ولا تملّ صحبته، والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، ومن سحاب تمّوز، لايسأل عنه إن تخلّف ولا يسلّم عليه إن قدم، إذا غاب شتموه وإن حضر طردوه، وإن غضب ضعّفوه، مصافحته تنقض الوضوء، وقراءته تقطع الصلاة، أثقل من الأمانة، وأبغض من المبرم الملحف.

وكان ينسد لعروة الصعاليك:

ذريني للغنى أسعىٰ فإنّي رأيت الناس شرّهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وان أمسىٰ له حسب وخير
ويكرهه النديّ وتزدريه حليلته وينهره الصغير
وتلفي ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جمّ ولكن للغني ربّ غفور(١)

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قال لابنه محمّد: يا بنيّ إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه؛ فإنّ الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت(٢).

أمره عليه السّلام بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلاثة:

أمّا كونه منقصة للدين؛ فللاشتغال بهمّه وتحصيل مابه قوام البدن عن العبادة.

وأمّا كونه مدهشة للعقل؛ فلأنّه محلّ دهشة العقل وحيرته وضيق الصدر به، وهو ظاهر.

وأمّا كونه داعية للمقت؛ فلمقت الخلق وبغضهم لصاحبه، كما قيل:

الناس أعداء لكلّ مدقع صفر اليدين وإخوة للمكثر(٣)

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج ١ ص ٢٤١ـ ٢٤٢ وفيه: «ويقصيه الندي».

(٢) نهج البلاغة: حديث ٣١٩ ص ٥٣١. (٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص ٢٠٧.

....

قال بعضهم: وربّما يقدح في عدالة الرجل إقلاله.

شهد بعض العدول المقلّين عند قاض بشهادة، فتوقّف في شهادته مع أنّه نسيج وحده في زهادته، فقال له بعضهم: أنّى لك في العدالة رجل مثله؟ قال: هو كذلك إلّا أنّه رجل فقير والذي شهد به عظيم، فعجبوا من قوله. وفي هذا المعنىٰ قال بعضهم:

فصاحة سحبان وخطّ ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس فليس له قدر بمقدار درهم(١)

وقال بعض الأكابر: المال في هذا الزمان عزّ للمؤمن، وقال: المال سلاح المؤمن، وكان بين يديه دنانير يقلّبها، فقيل له: إنّك لتحبّها، فقال: لولا هذه لتمندل القوم بأعراضنا تمندلاً(٢).

وترك ابن المبارك دنانير وقال: اللّهم انّك تعلم أنّي لم أجمعها إلّا لأصون بها حسبي وديني(٣).

وقال الحكماء: المال يرفع صاحبه وإن كان وضيع النسب قليل الأدب، وينصره وإن كان جباناً، ويبسط لسانه وإن كان عيّاً، به تظهر المروءة وتتمّ الرئاسة، يصلك إذا قطعك الناس، وينصرك إذا خذلك الأقربون، ولولاه مامدح كريم ولا صين حريم(٤).

وقال الشاعر:

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنىٰ ولم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر(٥)

---

(١) لم نعثر عليه.
(٢) لم نتحققه.
(٣) لا يوجد لدينا، الكتاب.
(٤) لم نتحققه.
(٥) أدب الدين والدنيا: ص١٤٦.

....

وقال جارالله الزمخشري:

لا تلمني إذا وقيت الأواقي فالأواقي لماء وجهي واقي (١)

وكان بعض المعروفين بالحرص إذا صارالدرهم في يده خاطبه وناجاه وحيّاه وفدّاه، وقال: بأبي أنت وأمّي كم من أرض قطعت، وكيس خرقت، وكم من خامل رفعت، ورفيع بمقارقتك إيّاه أخملت، لك عندي ألّا تعرى ولا تضحى ،ثمّ يلقيه في كيسه ويقول: اسكن على بركة اسم الله في مكان لا تزول عنه ولا تزعج(٢).

واعلم أنّ الغنىٰ المطلوب في الدعاء له عليه السّلام هو مادفع ضرورة الحاجة بحسب الاقتصاد والقناعة، وقام بأوامرالله تعالىٰ ومراضيه، من الحجّ والصدقات وصلة الرحم وما أشبه ذلك ، وهذا هوالغنىٰ المحمود الممدوح بقوله صلّىٰ الله عليه وآله: نعم المال الصالح للعبد الصالح(٣).

لا المفهوم المتعارف بين أرباب الدنيا من جمع المال وإدّخاره والا تّساع به فوق الحاجة؛ فإنّ على هذا الوجه مذموم، بل هو وبال على صاحبه.

قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: من آتاه الله منكم مالاً فليحسن فيه الضيافة، وليصل به القرابة، وليصبر فيه علىٰ النائبة، وليفك منه العاني والأسير، وليعطه ابن السبيل والفقير فتلك تمام المروّة وشرف الدنيا والآخرة(٤).

ثمّ الجاه أيضاً له اعتباران، فما أُريد لله والاستعانة به على أداء حقوق الله

---

(١) المستطرف: ج ٢ ص٤٧.

(٢) لم نعثرعليه.

(٣) بحارالأنوار: ج ٧٣ ص ٦٢ و٧٢ ص ٦٠.

(٤) نهج البلاغة: خطبة ١٤٢ ص١٩٨، مع اختلاف يسير في العبارة.

....

وطاعته، فهو الجاه المحمود الذي سأل الله حفظه عليه باليسار وعدم الإقتار، وهو الذي امتنّ الله سبحانه على الأنبياء، كقوله: «يا مريمُ إنّ الله يبشّركِ بكلمةٍ منه اسمُه المسيحُ عيسى بن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة»(١).

وما أُريد به الفخر والترؤس في الدنيا فهو المذموم.

وفي الحديث النبوي: إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقف بين يديه، فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله(٢).

قوله عليه السلام: «فأسترزق أهل رزقك». الفاء: للسببيّة، أي: فبسبب ابتذال جاهي بالإقتارأسترزق أهل رزقك، الذين من شأنهم أن يكونوا مرزوقين لا أن يُطلب منهم الرزق، وأستعطي شرار خلقك الذين ليسوا بأهل الاستعطاء،وظاهر أنّ الحاجة قد تدعو الى ذلك. والفعلان منصوبان، أمّا الأول فبأنّ مضمرة بعد فاء السببيّة وجوباً، لوقوعه جواباً للدعاء، وأمّا الثاني فبالعطف على الأوّل.

وفي بيانه عليه السلام لهذا السبب تاكيد للالتجاء بالله تعالى في إعادته من الفقر وصيانته عنه؛ إذ كان في استرزاق الخلق من الذلّ والخضوع للمطلوب منه، ومهانة النفس واشتغالها عن التوجّه إلى المعبود، مايجب أن يستعاذ بالله منه، ويضرع إليه في الوقاية عنه، وفي استعطاء الأشرار مايستلذّ معه ذوالمروّة طعم العلقم، ويستحلي مذاق الصبر وسمّ(٣) الأرقم.

وقد تواترت الروايات والآثار، وتطابقت الأخبار والأشعار، علىٰ ذمّ السؤال وكراهيّة بذل الوجه في الطلب إلى الناس، خصوصاً ممّن لم يكن معروفاً بالمعروف.

فمن ذلك مارواه ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ شيئاً لنفسه وأبغضه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٢) الجامع الصغير: ج ١ ص ٣٤، وفيه: «من عبيده فيقف».

(٣) (ج): مسمّ.

....

لخلقه، أبغض لخلقه المسألة، وأحبّ لنفسه أن يُسأل، وليس شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من أن يُسأل، فلايستحي أحدكم أن يسأل الله من فضله ولو شسع نعله(١).

وروي عنه عليه السلام: إيّاكم وسؤال الناس؛ فإنّه ذلّ في الدنيا وفقر تعجّلونه، وحساب طويل يوم القيامة(٢).

وعن الحسين بن أبي العلاء قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: رحم الله عبداً عفّ وتعفّف وكفّ عن المسألة؛ فإنّه يتعجّل الدنيّة في الدنيا، ولايغني الناس عنه شيئاً(٣).

وفي الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام: لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً، ولو يعلم المعطي ما في العطيّة ما ردّ أحد أحداً(٤).

وفي وصيّة أميرالمؤمنين صلوات الله عليه لابنه الحسن عليه السلام: أكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب؛ فإنّك لن تعتاض ممّا تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً، وان استطعت أن لايكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل؛ فإنّك مدرك قسمك وآخذ سهمك، فإنّ اليسير من الله سبحانه أكرم وأعظم من الكثير من خلقه، وإن كان كلٌّ منه، وحفظ ما في يديك أحبّ إليّ من طلب ما في يد غيرك، ومرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس(٥).

وقال بعض السلف، من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرّق، فإن قضاها المسؤول استعبده بها، وإن ردّه عنها رجع حرّاً، وهما ذليلان، هذا بذلّ اللؤم وذاك بذلّ الردّ(٦).

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٢٠ ح ٤، وفيه: «شسع نعل».

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٢٠ ح ١.

(٣) الكافي: ج ٤ ص ٢١ ح ٦.

(٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٠ ح ٢.

(٥) نهج البلاغة: ص ٤٠١ الرسائل ٣١.

(٦) عيون الأخبار: ج ٢ ص ١٣٩.

....

وفي الديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه:

كِد كَدّ العبد إن أحببت أن تصبح حرّاً ... واقطع الآمال عن مال بني آدم طرّاً

لا تقل ذامكسب يزري فقصد الناس أزرى ... أنت ما استغنيت عن غيرك أعلى الناس قدرا(١)

ومن الشعر المنسوب إلى الحسين عليه السلام:

إغن عن المخلوق بالخالق ... تغن عن الكاذب بالصادق

واسترزق الرحمن من فضله ... فليس غير الله من رازق(٢)

وانشد ابن الأعرابي:

أباهاني لا تسأل الناس والتمس ... بكفيّك فضل الله والله أوسع

فلوسئل الناس التراب لأوشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملّوا ويمنعوا(٣)

محمود الورّاق:

شاد الملوك قصورهم وتحصّنوا ... من كلّ طالب حاجة أوراغب

فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ... ياذا الضراعة طالباً من طالب(٤)

سلم الخاسر:

إذا أذن الله في حاجة ... أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم ... ولكن سل الله من فضله(٥)

أحمدبن سيف الأنباري:

لموت الفتى خير من البخل للفتى ... وللبخل خير من سؤال بخيل

---

(١) لايوجد لدينا الكتاب

(٢) البداية والنهاية: ج٨ ص٢٠٩.

(٣) عيون الأخبار: ج ٢ المجلّد الثالث ص١٨٨، وفيه: «أبا مالك».

(٤) عيون الأخبار: ج ٢ المجلّد الثالث ص١٨٧ المستطرف: ج ٢ ص٥٨.

(٥) المستطرف: ج ١ ص ١١٤ وج ٢ ص٥٨.

....

لعمرك ما شيء لوجهك قيمة ... فلا تلق إنساناً بوجه ذليل(١)

ولبعضهم:

إذا اظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعاً وريّاً

فكن رجلاً رجله في الثرىٰ ... وهامة همّته في الثريّا

ولا تخضعن إذا ما افتقرت ... ولا تسأل الرزق ما عشت حيّا

فإنّ إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيّا(٢)

وحكي أن أبا تمّام حبيب بن أوس الطائي قصد البصرة منتجعاً، فلمّا وردها سأل عن شاعرها، فذكر له عبد الصمدبن المعدّل، فقال: أنشدوني شيئاً من شعره، فأنشد قوله:

لست تنفك طالباً لوصال ... من حبيبٍ أو طالباً لنوال

أيّ ماءٍ لحرّ وجهك يبقىٰ ... بين ذلّ الهوىٰ وذلّ السؤال(٣)

فحوّل راحلته عنها ولم يدخلها.

وقريب من هذا المعنىٰ قوله بعضهم في أبي الطيّب المتنبيّ:

أي فضلٍ لشاعر يطلب الفضل ... من الناس بكرة وعشيّاً

عاش حيناً يبيع بالكوفة ماءً ... وحيناً يبيع ماء المحيا(٤)

عبدالصمد بن المعذّل:

تكلّفني إذلال نفسي لعزّها ... وهان عليها أن أهون لتكرما

تقول سل المعروف يحيىٰ بن أكثم ... فقلت سليه ربّ يحيىٰ ابن أكثما (٥)

القاضي عبدالعزيز الجرجاني:

---

(١) المستطرف: ج ٢ ص٥٨. (٢) الكشكول: ص٢٤٢. (٣) أدب الدين والدنيا: ص١٩٣.

(٤) لم نتحققه.

(٥) عيون الأخبار: ج ٢ المجلّد الثالث ص١٨٧.

....

يقولون لي فيك انقباض وإنّما رأوا رجلاً عن مورد الذلّ أحجما
ذا قيل هذا مورد قلت قد أرىٰ ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظما (١)

وأمّا سؤال من ليس أهلاً للمعروف ومن هو باللؤم موصوف، فهو أدهىٰ وأمرّ وأسوأ وأضرّ.

وقد روي أن في زبور داود عليه السّلام: ان كنت تسأل عبادي فاسأل معادن الخير ترجع مغبوطاً مسروراً، ولا تسأل معادن الشرّ ترجع ملوماً محسوراً(٢).

وفي الأثر: أنّ **الله تعالى اوحى إلى موسى عليه السلام:** لئن تدخل يدك في فم التنّين إلى المرفق خير من تبسطها إلى غنّي قد نشأ في الفقر(٣).

ومن كلامهم: لاشيء أوجع للأحرار من الرجوع إلى الأشرار.

وقيل لأعرابي: ما السقم الذي لايبرأ والجرح الذي لايندمل؟ قال: حاجة الكريم إلى اللئيم (٤).

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السّلام: فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها (٥).

وعنه عليه السّلام: ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند من تقطره(٦).

وأوصىٰ بعضهم ابنه فقال: لا تدنسّ عرضك، ولا تبذلنّ وجهك بالطلب إلى من إن ردّك كان ردّه عليك عيباَ، وإن قضىٰ حاجتك جعلها عليك منّاً، واحتمل الفقر بالتنزّه عمّا في أيدي الناس، والزم القناعة بما قد قسم لك.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) ربيع الأبرار مخطوط: ص١١٨ باب الطلب.

(٣) المستطرف: ج ٢ ص٥٨، ربيع الأبرار مخطوط: ص ١٢١ باب الطلب.

(٤) المستطرف: ج ٢ ص٥٨.

(٥) نهج البلاغة: ص٤٧٩ الحكم ٦٦.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٦ ص٣٠٩ ح ١٤.

....

وقال رجل لابنه: إيّاك أن تريق ماء وجهك عند من لاماء في وجهه(١).

رأى الاصمعي كنّاساً يكنس كنيفاً، وهو ينشد:

وأكرم نفسي إنّني إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحدٍ بعدي

قال: فقلت له، يا هذا إنّك والله لم تترك من الهوان شيئاً إلاّ وقد فعلته بنفسك مع هذه الحرفة، فقال: بلىٰ والله انني صنتها عمّا هو أعظم من هذا من الهوان، قلت: وأيّ شئ هو؟ قال: سؤال مثلك، قال: فانصرفت عنه وأنا أخزى الناس.

وفي الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنَّ محمّد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرىٰ أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً افضل منه، حتّىٰ رأيت ابنه محمّدبن عليّ عليهماالسّلام، فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأيّ شيءٍ وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيني أبوجعفر محمّد بن عليّ عليه السّلام، وكان رجلاً بادناً ثقيلاً، وهو متّكئ على غلامين أسودين أومولييْن، فقلت في نفسي: سبحان الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة علىٰ هذه الحالة في طلب الدنيا، أما لأعظنّه، فدنوت منه فسلّمت عليه، فردّ عليّ ببهر(٢) وهو يتصابّ عرقاً، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة علىٰ هذه الحالة في طلب الدنيا، أرأيت لوجاءك أجلك وانت على هذه ماكنت تصنع؟ فقال: لوجاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عزّوجل، أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنّما كنت أخاف أن لوجاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني(٣).

---

(١) المستطرف: ج ٢ ص٥٨.

(٢) بالباء الموحّدة المضمومة: وهو تتابع النفس يعتري الانسان عند السعي الشديد والعدو.

(٣) الكافي: ج ٥ ٧٣ ح ١.

....

وممّا جاء نظماً في هذا المعنىٰ قول عمر بن أحمد الباهلي:

ومن يطلب المعروف من غير أهله ... يجد مطلب المعروف غير يسير
إذا أنت لم تجعل لعرضك جنّةً ... من الذمّ سار الذمّ كلّ مسير(١)

وقال آخر:

وإذا بليت ببذل وجهك سائلاً ... فابذله للمتكرّم المفضال
إن الجواد إذا حباك بموعد ... أعطاك سلساً بغير مطال
ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضاً ولو نال المنىٰ بسؤال
وإذا السؤال مع النوال قرنته ... رجح السؤال وخفّ كلّ نوال(٢)

وقال آخر:

قطعي يدي بيدي أخفّ عليّ من ... مدّي إلى نذل لأخذ يديدا
غضب الإله عليّ إنّ أك راضياً ... ليدي بأن تمتاح من يده يداً(٣)

وقال آخر:

واسأل العرف إن سألت جواداً ... لم يزل يعرف الغنا واليسارا
فإذا لم تجد من الذلّ بدّاً ... فالق بالذلّ إن لقيت الكبارا
ليس إجلا لك الكبير بذلٍّ ... إنّما الذلّ أن تجلّ الصغارا(٤)

أبو شراعة العبسي:

إنّ الغنىٰ عن لئام الناس مكرمة ... وعن كرامهم أدنىٰ إلى الكرم(٥)

---

(١) انوار الربيع للمؤلف: ج٦ ص٩٥.

(٢) الكافي: ج٤ ص٢٥.

(٣) لم نتحققه.

(٤) بحارالأنوار: ج٩٦ ص١٦٠، المخلاة: ص١١، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٥) لم نعثر عليه.

....

منصور الفقيه:

الموت اسهل عندي بين القنا والأسنة

والخيل تجري سراعاً مقطّعات الأعنّة

من أن يكون لنذل عليّ فضل ومنّة (١)

قوله عليه السّلام: «فأفتتنَ بحمدِ من أعطاني» الفاء: عاطفة سببيّة مفيدة للتعقيب.

والافتتان هنا: بمعنى الميل، من قولهم فتن المال الناس ـ ممن باب ضرب ـ فتوناً فاتتنوا أي: استمالهم فمالوا.

والابتلاء: الإصابة بالمكروه، يروي ابتلاء بالبناء للمفعول، وأبتلي بالبناء للفاعل، فالأوّل من ابتلاه ابتلاءً، والثاني مطاوع بلاه فابتلى هو، وفي بيان هذا السبب تأكيد آخر للإعاذة من الفقر الموجب لاسترزاق الخلق واستعطاء شرارهم؛ إذ كان ذلك مستلزماً للصرف عن الله تعالى والتوجّه إلى قبلتهم الحقيقيّة.

والواو من قوله: «وأنتَ»: للحال، أي: لا تبتذل جاهي بالإقتار، فيلحقني بسببه مايلحقني من المكاره المعدودة، والحال أنّك من دون الخلق وليّ الإعطاء والمنع.

ودون هنا: تفيد التجاوز والتخطّي، كما تقول لمن وهبته ملكاً: هذا لك من دون الناس، أي: لايتجاوز منك إلى غيرك .

ومن:ابتدائيّة.

والوليّ: فعيل بمعنى فاعل،من ولي الأمر: إذا قام به، أي: وأنت من دونهم القائم بالإعطاء والمنع.

---

(١) المستطرف: ج ١ ص ٧٠.

اللّهم صَلِ على محمدٍ وآلِهِ، وارزُقني صحّةً في عبادةٍ، وفراغاً في زَهادةٍ، وَعِلماً في استِعمالٍ، وَوَرعاً في إجْمالٍ.

قال ابن أبي الحديد: «ووليّ» المرتفع بأنّه خبر المبتدأ ويكون خبراً بعد خبر، ويجوز أن يكون «وليّ» هوالخبر، ويكون من دونهم جملة مركّبة من الجارّ والمجرور منصوبة الموضع على الحال(١)، إنتهىٰ.

قلت: الظاهر أنّ الوجه الثاني متعيّن؛ لأنّ فائدة الكلام لا تتمّ إلّا به، فتأمّله *.

الصحّة في البدن: حالة طبيعيّة تجري أفعاله معها على المجرىٰ الطبيعي، وقد استعيرت للمعاني، فقيل: صحّت الصلاة: إذا أسقطت القضاء، وصحّ العقد: إذا ترتّب عليه أثره، وصحّ الخبر: إذا طابق الواقع.

والعبادة: أقصىٰ غاية التذلّل والخضوع لله تعالى، ومنه: طريق معبّد اي: مذلّل.

وفي: ظرفيّة مجازيّة، بتشبيه ملابسة الصحّة للعبادة في الاجتماع معها بملابسة الظرف للمظروف، فتكون كلمة «في» استعارة تبعيّة.

ولك أنّ تعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من الصحّة والعبادة ومصاحبة احداهما للأُخرىٰ بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف واصطحابهما، فيكون الكلام استعارة تمثيليّة تركّب كلّ من طرفيها، لكنّه لم يصرّح من الألفاظ التي بإزاء المشبّه إلّا بلفظ «في»، فإنّ مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة، وماعداه تبع له يلاحظ معه في ضمن ألفاظ منويّة، فلا تكون كلمة «في» استعارة، بل هي على معناها الحقيقي.

ولك أن تشبّه العبادة بما يكون محلاً وظرفاً للشيء على طريقة الاستعارة بالكناية، ويكون ذكر كلمة «في» قرينةً وتخييلاً، وقس على ذلك مابعده.

---

(١) لم نعثر عليه.

....

سأل عليه السّلام أن تكون صحّته مستعملة في عبادته تعالى؛ حذراً من صرفها فيما ليس لله فيه رضىً.

في الحديث: صحّة الأبدان والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك (١).

والفراغ: خلاص الإنسان من المهمّات.

والمراد هنا: الفراغ من المهمّات الدنيويّة.

والزهادة: الزهد، وهو في اللغة: ترك الميل إلى الشيء لعدم الرغبة فيه، وفي الاصطلاح: هو بغض الدنيا والإعراض عنها.

وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة. وسيأتي الكلام عليه مبسوطاً في الروضة الثانية والعشرين إن شاء الله تعالى.

ولمّا كان الفراغ من دواعي الفساد وبواعث طموح النفس إلى راحة الدنيا، كما قيل:

إنّ الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أيّ مفسدة

سأل عليه السّلام أن يكون فراغه منوطاً بالزهادة، محاطاً بها أحاطة الظرف بالمظروف، حتّىٰ لايكون شيء منه خارجاً عنها، فلا يشتغل بشيء من شهوات النفس الأمّارة، ولا يلتفت إلى مايصرفه عن قبلته الحقيقيّة.

والمراد بالعلم هنا: ما تعلّق بكيفيّة العمل؛ بدليل قوله: «في استعمال»، فإنّ العلم قسمان:

علم عقلي، كالعلم بذات الله سبحانه وأفعاله وصفاته، وهو مراد لنفسه.

---

(١) ربيع الأبرار مخطوط: ص١١٧ باب الصحّة والسلامة والعافية، وفيه: «صحّة الأبدان والأسماع والأبصار».

....

وعلم عملي، وهو المتعلّق بكيفيّة إعمال الطاعات وتروك المعاصي والسيّئات، وهو مطلوب للعمل به.

فالأوّل علم حرّ مطلق لا تعلّق له بالعمل، بل هو نتيجة العمل وثمرته ويسمّىٰ علم الوصول.

والثاني علم خادم مقيّد متعلّق بالعمل، وهو وسيلة العمل ومبدؤه، ويسمّىٰ علم السلوك .

ولايبعد أن يراد بالعلم المسؤول هنا المتعلّق بمعرفة الله تعالى ومايليق به، ومعرفة مايجب معرفته عقلاً وشرعاً، وهوالذي يجب التديّن به والاعتقاد له والعكوف عليه والمحافظة له، ثمّ العمل بمقتضاه إن كان المقصود منه العمل، فيصير بذلك عالماً ربّانياً، كما قال تعالى: «كُونوا رَبّانيّين»(١).

قال الأزهري: هم أرباب العلم الذين يعملون بما يعلمون، وبهما يتحقق كمال الدين وتمامه (٢).

كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: إنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به(٣).

وسرّ ذلك أنّ الانسان بالعلم يعرف واضع الدين وحدوده ، وأحكامه ولواحقه وشرائطه، ومداخله ومخارجه، ومصالحه ومفاسده، وبالعمل يحقّقه ويقيمه ويوجده، ويضع كلّ واحد من أجزائه في موضعه، ويخرجه من حيّز البطون إلى حيّز الظهور، فلولا العلم بطل العمل، ولولا العمل بطل العلم وصار بلا فائدة؛ ولهذا وردت الأخبار والآثار مستفيضة بالحث على العمل بالعلم،وذمّ العلم بدون العلم(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

(٢) شرح الكافي للمولىٰ محمّد صالح المازندراني: ج ٢ ص ٩، نقلاً عنه.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٠ ح ٤.

(٤) راجع شرح الكافي للمولى محمّد صالح المازندراني: ج ٢ ص ٩.

....

فمن ذلك ماروواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده إلى صاحب الدعاء علي بن الحسين عليه السّلام، أنّه قال: مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم مالا تعلمون ولمّا تعملوا بما علمتمّ؛ فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد به صاحبه إلّا كفراً، ولم يزدد من الله إلّا بعداً(١).

وعن أميرالمؤمنين عليه السّلام: إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون(٢).

وعنه عليه السّلام: من أخذ العلم من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهو حظّه(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب، كما يزلّ المطر عن الصفا(٤).

والورع: الكفّ عمّا لاينبغي، يقال: ورع عن المحارم يرع بكسرتين ورعاً بفتحتين ورعةً كعدة فهو ورع: أي كثيرالورع، وورّعته عن الأمر توريعاً: كففته فتورّع.

وقد قسّموا ورع الأنفس على أربع درجات:

الأُولى: هي الورع عمّا يوجب التفسيق وسقوط العدالة، وهذه أدناها.

الثانية: ورع الصالحين، وهو التحرّج عمّا تتطرّق إليه شبهة الحرمة، وإن ساغ ذلك في الفتوىٰ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله: دع مايريبك إلى مالا يريبك(٥).

والثالثة: ورع المتّقين، وهو ترك المباح خوفاً من انتهائه إلى المحظور، مثل ترك التحدّث بأحوال الناس حذراً من أن ينجرّ إلى الغيبة.

---

(١) الكافي: ج ١ ص٤٤ ح ٤. (٢) الكافي: ج ١ ص٤٥ ح ٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص٤٦ ح ١، وفيه: «وعمل بعلمه ... فهي حظّه».

(٤) الكافي: ج ١ ص٤٤ ح ٣. (٥) الترمذي: ج ٤ ص٦٦٨.

....

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لايبلغ الرجل درجة المتقين حتّىٰ يدع مالا بأس به مخافة مابه بأس(١).

الرابعة: ورع الصدّيقين، وهو ترك مالا يراد بتناوله القوّة علىٰ طاعة الله اويلمّ بصاحبه بعض خواطر المعصية.

كما يحكىٰ أن ذاالنون المصري كان محبوساً، فكان تبعث إليه امرأة صالحة بطعام تشتريه بغزلها، فكان يقاسي الجوع ولا يتناوله منه، ويقول: إنّه جاء علىٰ طبق حرام، يريد يد السجّان(٢).

ولم يكن بشر الحافي يشرب من الأنهار الكبار التي تحتفرها السلاطين؛ لأنّها حفرت بغير أجرة أو بأجرة دفعت من مال حرام (٣)

وقوله عليه السلام: «في إجمال» أي: في رفقٍ واقتصاد، من أجمل في الطلب: إذا رفق واقتصد ولم يفرط.

والمراد: ورعاً غير خارج عن الاقتصاد إلى حدّ الإفراط، فيخرج عن حقيقة الورع.

ولهذا قال بعض أهل التحقيق(٤): قد يشتبه الورع بالوسواس، وذلك كمن كان له ثوبان، أحدهما لم تلحقه نجاسة، والآخر لحقته فغسله، فيترك الصلاة في المغسول لأنّه مسّته نجاسة (٥)وكمن قبّل أحدٌ يده فيغسلها، ويقول: إنّ الخروج من(٦) عهدة التكليف يتوقّف على غسلها؛ لأنّ من الجائز أن يكون من مسّها نجساً.

---

(١) نهج الفصاحة: ص٥٢٥، الجامع الصغير: ج٢ ص٢٠٤، سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٤٠٩ ح٥/٤٢، مع اختلاف يسير فيها.

(٢) و(٣) إحياء علوم الدين: ج٢ ص٩٧، المحجّة البيضاء: ج٣ ص٢١٦.

(٤) راجع إحياء علوم الدين: ج٢ ص١١٢-١١٣.

(٥) لم نعثر عليه. (٦) (ج): عن.

اللّهُمّ اختِمْ بِعَفْوِكَ أجَلي، وَحَقّقْ في رَجاءِ رَحْمَتِكَ أمَلي، وَسَهّلْ إلىٰ بُلوغِ رِضاكَ سُبُلي، وَحسّنْ في جَميعِ أحوالي عَمَلي.

وظاهر أنّ مثل ذلك من الوسواس، وإن عدّه بعض العامّة من باب الورع.

ورئي رجل بعرفات وبيده زبيبة، وهو ينادي ألا من ضاعت له زبيبة، فقيل له: أمسك فإنّ هذا من الورع الذي يمقت الله عليه(١)، والله أعلم *.

ختم الشيء يختمه -من باب ضرب-: أتمّه وأنهاه، وختمته به: جعلته خاتمةً له، وخاتمة كلّ شيء: آخره.

والمراد بالأجل هنا: مدّة العمر، ويطلق على وقت انقطاع الحياة كما تقدّم في أوائل الروضة الأولىٰ.

والغرض طلب حسن الخاتمة وسعادة العاقبة؛ لما تقرّر من أنّ كلّ من مات على شيء حكم له به خير وشرّ.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السّلام: أنّ من كتبه الله سعيداً، وإن لم يبق من الدنيا إلّا فواق ناقة، ختم له بالسعادة(٢).

وحققت حذره وأمله -من باب قتل- وأحققته احقاقاً وحقّقته تحقيقاً: إذا فعلت ما كان يحذره ويأمله.

والرجاء: تعلّق القلب بحصول أمر محبوب في المستقبل قريب الحصول لحصول أكثر أسبابه، والأمل أبعد منه.

ولذلك سأل عليه السّلام تحقيق الأمل الذي هو بعيد بالنسبة إلى الرجاء، وجعل الرجاء هوالمأمول؛ وذلك لشدّة الإشفاق والخوف، حتّىٰ كأنّ الرحمة التي تعلّق قلبه بحصولها لم يحصل لديه أكثرأسبابها، فيرجوها بل يأمل رجاءها المستلزم لحصول أكثر أسبابها.

---

(١) لم نتحققه.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٥٤ ح ٣.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْني لِذِكْرِكَ في أوقاتِ الغَفْلَةِ، واسْتَعْمِلْني بِطاعَتِكَ في أيّامِ المُهْلَةِ، وَأنهَجْ لي إلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبيلاً سَهْلَةً أكْمِلْ لي بِها خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.

والسهل: خلاف الحزن، وهو ما غلظ من الأرض وصعب سلوكه، وسهل الطريق تسهيلاً: جعله سهلاً.

والسبل بضمّتين: جمع سبيل، وهو الطريق.

وفرّق بينهما: بأنّ السبيل أغلب وقوعاً في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلّا مقترناً بوصف أو إضافة تخلصه لذلك، كقوله تعالى: «يَهدي إلى الحقّ وإلى طريقٍ مستقيم»(١).

والمراد بالسبل: الطاعات والخيرات والأسباب التي يكتسب بها العبد الملكات الفاضلة الموصولة إلىٰ رضاه تعالى، وبتسهيلها: توفيقه للقيام بها من غير مشقّة وعسر، وهي استعارة مرشّحة.

والأحوال: جمع حال، والمراد بها هنا المعنىٰ اللغوي، وهو الوصف حالاً كان أو ملكة، فيعمّ الصحّة والمرض، والسرور والحزن، والحلم والغضب، وغير ذلك من الكيفيّات النفسانيّة راسخة كانت أو زائلةً.

وتحسين العمل: توفيقه لتأدية ماتوجبه المعرفة شرعاً أو عرفاً من الأعمال بأحسن جهاتها وبمقدار تمامها *.

نبه للأمر نبهاً ـ من باب تعب ـ: فطن له، ونبّهته له وعليه تنبيهاً: فطّنته.

والذكر: عبارة عن وجدان المذكور وحضوره في القلب.

وله لبّ هو المقصود، وقشور ثلاثة.

فالأعلىٰ ذكر اللسان، ثمّ ذكر القلب تكلّفا بحيث يحتاج إلى مراقبته حتّىٰ

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.

....

يحضر، ثمّ ذكره طبعاً بأن يتمكّن من القلب، بحيث يحتاج إلى تكلّف في صرفه عنه إلى غيره، ثمّ استيلاء المذكور وانمحاء الذكر والذاكر، بأن يفنى عن نفسه وذكره ولا يلتفت إلى قيامه أيضاً، ذاهباً إلى ربّه أوّلاً، ثمّ ذاهباً فيه بالاستغراق به آخراً؛ لو التفت إلى شيء من ذلك لكان معرضاً عن الله غير منفكّ عن الشرك الخفيّ، وهذه الحالة سمّاها العارفون بالفناء لأنّه «جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ»(١).

والغفلة عن الشيء: عدم حظوره بالبال.

وقيل: متابعة النفس علىٰ ماتشتهيه.

وقيل: إبطال الوقت بالبطالة.

وقد تقدمّ الكلام على كلّ من الذكر والغفلة مبسوطاً في الرياض السابقة(٢).

والمهلة بالضمّ: التأخير والإنظار، يقال: أمهلته إمهالاً ومهلّته تمهيلاً: أنظرته وأخرّت طلبه.

والمراد بأيّام المهملة: مدّة العمر وأيّام حياته في الدنيا.

واعلم أنّه لمّا كان غرض العناية الإلهيّة سوق كلّ ناقص إلى كماله، اقتضت عنايته سبحانه عدم معاجلة العباد بالعقاب والانتقام، والأخذ بالذنوب والمعاصي في هذه الحياة الدنيا، ليراجعوا التوبة ويرجعوا إلى الإنابة، فكأنّه سبحانه أنظرهم ببقائهم في الدنيا وأمهلهم مدّة حياتهم فيها؛ فلذلك عبّر عن مدّة العمر بأيّام المهلة.

ونهجت الطريق أنهجه ـ من باب منع ـ وأنهجته إنهاجاً: أوضحته وأبنته.

ومحبّة العبد لله تعالى قيل: هي إرادته لطاعته وامتثال أوامره ونواهيه.

---

(١) سورة الأسراء: الآية ٨١.

(٢) الذكر، ص ٤٥١ والغفلة، ص ١٩.

....

وقال المحقّقون: هي كيفيّة روحانيّة مترتّبة على تصوّر الكمال المطلق الذي فيه علىٰ الاستمرار، ومقتضية للتوجّه التامّ إلى حضرة القدس بلافتور وفرار.

وأمّا محبّته لغيره فكيفيّة تترتّب على تخيل كمال فيه من لذّة أو منفعة أو مشاكلة تخيّلاً مستمرّاً، كمحبّة العاشق لمعشوقه والمنعم عليه لمنعمه والوالد لولده والصديق لصديقه، وقد سلف الكلام على هذا المطلب في الروضة السادسة(١) مبسوطاً، فليرجع إليه.

والسبيل: تؤنّث وتذكّر.

قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنّثون السبيل والطريق والزقاق والسوق، وتميم تذكّر كلّ ذلك(٢)، وقد ورد التنزيل بلغة الحجاز، قال تعالى: «قُل هذه سَبيلي»(٣)؛ ولذلك جاء عليه السّلام بصفتها مؤنّثة وهي قوله «سهلة» بتاء التأنيث.

والكمال: التمام، وإكمال الشيء: إتمامه.

وفرّق بعضهم بينهما فقال: الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل؛ ولهذا كان قوله تعالى: «تِلك عَشرةٌ كاملةٌ» أحسن من تامّة؛ فإنّ التامّ من العدد قد علم، وإنّما نفى احتمال نقصٍ في صفاتها.

وقيل ثمّ يشعر بحصول نقص قبله، وكمل لايشعر بذلك.

وقال العسكري: الكمال: اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتمام: اسم للجزء الذي يتمّ به الموصوف؛ ولهذا يقال: القافية تمام البيت ولايقال: كماله، ويقولون: البيت بكماله أي: باجتماعه (٤).

ويؤيد هذا المعنىٰ الرواية الأُخرىٰ في الدعاء: «واجمع لي بها خير الدنيا

---

(١) ج٢، ص٢٥٤.

(٢) المصباح المنير: ص٣٤٥.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٤) الفروق اللغوية: ص٣٢٤ رقم ١٥٠١.

....

والآخرة» بدل «أكمل لي».

والضمير من «بها» راجع إمّا إلى المحبّة أو السبيل.

واعلم أنّه ليس المراد بخير الدنيا ما يتبادر إلى أكثر الأذهان من المعنى المشهور في العرف العام، وهو كثرة المال والقنيات الدنيوية، بل المراد به: ما كان وسيلة إلى خير الآخرة الذي هو السعادة الأُخروية كما قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وقد سئل عن الخير ما هو: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربّك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل سارع في الخيرات(١).

ولا يقلّ عمل مع التقوى، وكيف يقلّ ما يتقبّل؟(٢).

فتراه عليه السّلام كيف حصر خير الدنيا في أمرين:

أحدهما: الاشتغال بمحو السيئات وإعدامها، وتدارك فارط الذنوب بالتوبة. فتسعد النفس بذلك لاكتساب الحسنات.

الثاني: الاشتغال باكتساب الحسنات والمسارعة في فعل الخيرات: ليفوز بالسعادة الأُخروية، ولا واسطة من الخير المكتسب بين هذين الأمرين.

ولمّا كانت محبته تعالى مستلزمة للتوجّه التامّ إلى حضرته المقدّسة من غير فتور ولا كلال، كانت سبباً لكمال خير الدنيا بهذا المعنى، ولكمال خير الآخرة بالطريق الأولى، والله أعلم.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله عزّوجل: إذا أردت أن أجمع للمسلم خير

---

(١) نهج البلاغة: حكمة ٩٤ ص٤٨٤. (٢) نهج البلاغة: حكمة ٩٥ ص٤٨٤.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كأفْضَلِ ما صَلَّيْتَ عَلىٰ أحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأنْتَ مُصَلٍّ عَلىٰ أحدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنا في الدُنيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِني بِرَحْمَتِكَ عَذابَ النارِ.

الدنيا والآخرة جعلت له قلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وجسداً علىٰ البلاء صابراً، وزوجة مؤمنة تسرّه إذا نظر إليها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله(١) ».

الجارّ والمجرور من كاف التشبيه، وأفعل التفضيل في محلّ نصب على أنّه صفة لموصوف محذوف وهو مصدر منصوب بـ «صلّ»، والتقدير: صلّ على محمّد وآله صلاةً كائنةً كأفضل ماصليّت فحذف المصدر ونابت صفته منابه، فهي ظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف وجوباً، وهذا هو المشهور في إعراب نحو ذلك.

وذهب سيبويه وابن هشام إلى غير ذلك، قال ابن هشام في شرح القطر: ليس ممّا ينوب عن المصدر صفته، نحو: «فكلا منها رغداً» خلافاً للمعربين، زعموا أنّ الأصل أكلاً رغداً، وأنّه حذف الموصوف ونابت صفته منابه وانتصبت انتصابه(٢).

ومذهب سيبويه أنّ ذلك إنّما هو حال من مصدر الفعل المفهوم منه، والتقدير: فكلا منها حال كون الأكل رغداً، ويدلّ على ذلك أنّهم يقولون: سير عليه طويلاً، فيقيمون الجارّ والمجرور مقام الفاعل، ولا يقولون: «طويل» بالرفع، فدلّ على أنّه حال لامصدر، وإلّا لجاز إقامته مقام الفاعل؛ لأنّ المصدر يقوم مقام الفاعل(٣)، إنتهىٰ.

وعلى هذا، فالجارّ والمجرور في محلّ نصب على الحاليّة، والتقدير: فصلّ على محمّد وآله حال **كون الصلاة** كأفضل ما صليّت.

وما: موصول اسمي بمعنى التي، والعائد محذوف، وحذفه مطرّد كثير في باب

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٢٧ ح٢. (٢) شرح قطر الندى: ص٢٢٦. (٣) شرح قطرالندى: ص٢٢٦.

....

الصلة، والتقدير: كأفضل الصلاة التي صلّيتها على أحد من خلقك.

والواو من قوله: «وأنت مصلّ»: عاطفة، والجملة معطوفة على الموصول، وهي صلة لموصول محذوف، أي: وما أنت مصلّ، كقوله تعالى: «آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم»(١) أي: والذي أُنزل إليكم؛ لأنّ الذي أُنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا، وكذلك ما(٢) نحن فيه؛ لأنّ الصلاة التي صلاّها على أحد قبله غير الصلاة التي يصلّيها على أحد بعده، والعائد محذوف من قوله: «مصلّ»، والتقدير: والصلاة التي أنت مصلّيها على أحد بعده.

ويحتمل أن تكون «ما» مصدريّة، فلا تحتاج إلى عائد، والتقدير: كأفضل صلاتك على أحد، وتكون جملة قوله: «وأنت مصلّ» معطوفة على المصدر بتقدير «ما» المصدريّة، أي: وما أنت مصلّ.

وقد جوّز غير سيبويه كون صلة ما المصدريّة جملة اسميّة.

قال الرضي: وهو الحقّ وإن كان قليلاً(٣) كما في نهج البلاغة: بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية(٤).

وقال الشاعر:

أعلاقة أُمّ الوليد بعدما ... افنان رأسكَ كالثغام المخلس(٥)

وسوّغ حذف ما المصدرية دلالة ماقبلها عليها.

على أنّ أبا الفتح قال به في قوله:

بآية يقدمون الخيل شعثاً ... كأنّ على سنابكها مدار

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) (ج) فيما.

(٣) الكافية في النحو: ج ٢ ص٣٨٦.

(٤) نهج البلاغة: ص٩٠، وفيه: «ثم عمرّ تم في الدنيا». (٥) مغني اللبيب: ص٤٠٩.

....

وأعلم أنّ الغرض من التشبيه في الصلاة هنا أن يختصّ نبيّنا وآله صلوات الله عليهم بأفضل صلاة مماثلة لأفضل الصلوات التي عمّت الخلق، فينطبق الكلام على القاعدة المقرّرة المشهورة من وجوب كون المشبّه به أقوى من المشبه؛ إذ لاريب أنّ الصلاة العامّة للكلّ من حيث العموم أقوى من الخاصّة بالبعض.

وهذا أولى وأنسب من قول بعضهم: إنّ التشبيه باعتبار التحقّق والظهور في المشبّه به.

قوله عليه السّلام: «وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» اقتباس من قوله تعالى: **«فمِن الناسِ مَن يقولُ رَبّنا آتِنا في الدُّنيا وماله في الآخرة من خَلاق *** ومِنهم مَن يقولُ ربّنا آتِنا في الدُنيا حسنةً وفي الآخِرةِ حسنةً وقِنا عَذابَ النّارِ أولئك لهم نصيبٌ ممّا كسَبوا واللهُ سريعُ الحساب» (١).

قيل: المراد بالحسنتين أمّا في الدنيا: فالصحّة، والأمن، والكفاية، والولد الصالح، والزوجة الصالحة، والنصر على الأعداء.

وأمّا في الآخرة: فالفوز بالثواب، والخلاص من العقاب.

وعن النّبي صلّى الله عليه وآله: من أوتي قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وآخرته، فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار(٢).

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء، وعذاب النار أمرأة السوء(٣).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠١ و٢٠٢. (٢) مجمع البيان: ج ١ـ ٢ ص٢٩٨.

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص٢١٦، أنوارالتنزيل وأسرار التأويل: ج ١ ص ١١٠، وفيه «المرأة السوء»، روح المعاني: ج ٢ ص ٩١، وفيه «المرأة السوء»، وقريب منه ما ورد في تفسير القرطبي: ج ٢ ص ٤٣٢.

....

وروىٰ ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السّلام في هذه الآية: رضوان الله والجنة في الآخرة، والمعاش وحسن الخلق في الدنيا(١).

وقيل: الحسنة في الدنيا العمل النافع وهو الإيمان والطاعة، وفي الآخرة التنعمّ بذكرالله والأُنس به وبرضوانه(٢).

وعن قتادة: الحسنتان طلب العافية في الدارين(٣).

وقيل: هي في الدنيا فهم كتاب الله، وفي الآخرة الجنة(٤).

وقيل: الأُولىٰ الجهاد، والثانية ثواب المجاهدين (٥).

وقيل: في الدنيا العلم والعبادة، وفي الآخرة الجنة(٦).

وقال مقاتل: الأُولىٰ الرزق الواسع، والثانية المغفرة والثواب(٧).

وقال عطيّة: الأُولىٰ العلم والعمل، والثانية الثواب والمساهلة في الحساب(٨).

وقيل: الأُولىٰ التوفيق والعصمة، والثانية النجاة والرحمة(٩).

وقيل: الأُولىٰ الولد الصالح، والثانية صحبة الأنبياء عليهم السلام والصالحين(١٠).

وقيل: الأولىٰ المال والنعمة، والثانية تمام النعمة، وهو النجاة من العذاب والوصول دار الثواب (١١).

وقيل: الأُولى الاخلاص، والثانية الخلاص (١٢).

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٧١ ح ٢.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٥ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٣) التفسير الكبير للفخرالرازي: ج ٥ ص ١٨٩.

(٤) نفس المصدر السابق ، والقائل هوالحسن.

(٥) راجع كتب التفاسير ذيل الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

(٦) الدرّالمنثور: ج ١ ص ٢٣٤، والقائل هو الحسن.

(٧) و(٨) و(٩) و (١٠) راجع كتب التفاسر: ذيل الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

(١١) و (١٢) راجع كتب التفاسير ذيل الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

....

وقيل: الأُولىٰ والثانية كلاهما حسن العاقبة(١).

ومنشأ كثرة الأقوال في ذلك مجيءُ الحسنة منكّرة في حيّز الإثبات، فكلّ من المفسّرين حمل اللفظ على ماراَه أحسن أنواع الحسنة عقلا أوشرعاً، وبالجملة: فهذه الكلمة جامعة لخيرات الدنيا والآخرة.

قال النظام النيسابوري: ويمكن أن يقال: التنوين للتعظيم، أي: حسنة أيّ حسنة، أو يريد حسنة توافق حال الداعي وحكمة المدعوّ، وفيه من حسن الطلب ورعاية الأدب ماليس في التصريح به؛ فإنّه لايكون إلّا مايشاء هو، أو يريد حسنة ما و إن كانت قليلة؛ فإنّ النظر إلىٰ المنعم لا الإنعام.

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لايقال له قليل

ولكون دفع الضرر أهمّ من جلب النفع، صرّح بذلك في قوله: «وقنا عذابَ النار»(٢).

وقيل: معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدّية إلىٰ النار،(٣) والله أعلم.

هذا آخر الروضة العشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، وقد وفّق الله لإتمامه مع توزّع البال وتنوّع البلبال، ضحىٰ يوم الجمعة التاسع عشر من صفر، سنة احدىٰ ومائة وألف، و لله الحمد باطناً وظاهراً وأوّلاً وآخراً.

---

(١) راجع كتب التفاسير ذيل الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج ١ ص ٢١٦ مع تقديم وتأخير.

(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج ١ ص ١١٠.